تاريخ

يوسيفوس

اليهودي

ليسَ بانسانٍ ولا عالمٍ من لا يعي التاريخ في صدرهِ
ومن درى اخبار مَنْ قبلهُ اضاف اعماراً الى عمرهِ

طبع بنفقة الخواجات سليم نقولا مدور وابرهيم سركيس

بيروت ١٨٧٢

تاريخ

يوسيفوس

اليهودي

ليسَ بانسانٍ ولا عالمٍ　　من لا يعي التاريخ في صدرهِ
ومن درى اخبار مَنْ قبلهُ　　اضاف اعمارًا الى عمرهِ

طبع بنفقة الخواجات سليم نقولا مدور وابرهيم سركيس

بيروت ١٨٧٢

بسم الله المبدي المعيد

الحمد لله الذي له علم ما كان وما يكون . اما بعدُ فلما كان التاريخ من الذّ العلوم وانفعها وكان كثيرون يرغبون ان يقفوا على تاريخ يوسيفوس بن كربون اليهودي طبعنا هذا الكتاب با اللغة العربية لتعم

فائدتهُ ابناء هذه اللغة

و بالله التوفيق

م

الفصل الاول

ادم ولد شيت وشيت ولد انوش وانوش ولد قينان وقينان ولد مهللئيل ومهللئيل ولد يارد ويارد ولد اخنوخ واخنوخ ولد متوشالح ومتوشالح ولد لامك ولامك ولد نوح ونوح ولد سام وحام ويافث. ويافث ولد جومر وماجوج وماداي. وماداي ولد توبال وماشك وتيراس وبنو جومر اشكناز وريفاث وتوجرمة وبنو ياوان اليشة وكتّيم ودودانيم

هذه ذكر قبائل يافث والمواضع التي سكنوا فيها

بنو يافث ماداي ومحلهُ الشمال من بلاد العجم وياوان ومنهُ اليونانيون الذين يسكنون بارض مكدونيا وتوبال ومحلهُ بجوار ماجوج بين البحر الاسود وبحر الخزر وماشك ومحلهُ بجوار ماجوج وتوبال وقد سكن بعض نسلهِ على شط بحر بلتيك ومنهُ تسلسل بعض المسكوبيين

قال صاحب الكتاب وكان اهل الارض بعد الطوفان اجتمعوا الى موضع واحد من الارض فاقاموا فيهِ وكانت لغتهم واحدة ففرقهم الله في الارض وخالف بين السنتهم ولغاتهم فصاروا اممًا مختلفة . قال فلما شتت الله بني ادم وفرقهم في الارض مضى بنو كتيم الى ارض اسبانيا واقاموا بها ومضى بنو توبال الى ارض يوسينا واقاموا هناك وبنوا مدينة وسموها اسبانيا على اسم البنَّاء الذي بناها وكانوا يرغبون في مصاهرة اعمامهم بني توبال ويطلبون منهم ان يزوجوهم بناتهم وكان بنو توبال يكبرون عليهم ولا يريدون ان يزوجوهم . فلما كان في بعض السنين خرج بنو توبال في زمن الحصاد ليحصدوا زرعهم وخلت مدينة اسبانيا من الرجال فاجتمع جماعة من الكتيم ومضوا الى المدينة فدخلوها وسبوا من وجدوا فيها من البنات ومضوا بهم الى حصون لهم في جبل منيع فلما علم بنو توبال بذلك حضروا مسرعين الى الكتيم ليحاربوهم فلم يقدروا عليهم فانصرفوا عنهم في تلك السنة وعادوا اليهم في السنة الاخرى فلما علم الكتيم بمجيئهم اخذوا الاولاد الذين ولدوا لهم من بنات توبال في تلك المدة واصعدوهم على سور المدينة ثم قالوا لبني توبال نحن لا نريد ان نحاربكم وان قاتلتم انما تقاتلون اولادكم واصهاركم الذين هم اقرب الناس اليكم فكف بنو توبال

عن القتال وانصرفوا

ذكر خبر صفو بن اليفاز بن عيسو بن اسحق بن ابرهيم وسبب ملكهم على الكتيم

قال صاحب الكتاب لما خرج يوسف بن يعقوب الى الشام ليدفن اباهُ ولقيهُ بنو العيس فحاربوهُ فغلبهم يوسف واسر صفواً بن اليفاز وجماعة منهم وحملهم معهُ الى مصر الى اعساس ملك افريقية فقبلهُ اعساس واحسن اليهِ وكان في بلاد الكتيم في ذلك الزمان رجل يقال لهُ عوصو وكان عظيماً عند الكتيم فمات ولم يكن لهُ ولد ذكر وكان لهُ ابنةٌ يقال لها بيناه وكانت موصوفة بالحسن والجمال فوجه اعساس ملك افريقية الى الكتيم يخطبها منهم وارسل ايضاً توريوس ملك نينوى يخطبها فارسلوا الى توريوس يقولون لهُ ان اعساس ملك افريقية قد وجّه الينا يطلب مثلما طلبت فان منعناهُ لم نامن منهُ ان يغزونا الى بلادنا وليس لنا طاقتهُ ولا نقدر ان تخلصنا منهُ فسار اليهم توريوس ليحاربهم فوجهوا الى اعساس يعلمونهُ بذلك فسار اعساس بجيشهِ لمحاربة توريوس فالتقيا في ارض اسبانيا وكانت بينهم حروب كثيرة كان الظفر اولاً لتوريوس فقتل جماعة من اصحاب اعساس ثم بعد ذلك غلب اعساس توريوس فقتلهُ واستباح عسكرهُ وامران

بجعل في تابوت من نحاس وبجعل فالس بن اخيهِ في تابوت من ذهب ودفنهما وبنى على قبورهما برجين عظيمين متقابلين على الطريق وهما باقيان الى الآن بين البانوا ورومية واخذ اعساس يناه بنت عوصوو ومضى بها الى قرطاجنة مدينة ملكهِ فلما اقامت بها مدة ايام مرضت وطال مرضها فامر اعساس الاطباء والحكماء بمداواتها وسألهم عن سبب مرضها فقالوا انها لم تمرض الَّا لاختلاف الماء والهواء عليها وقد سمعنا انها كانت تشرب في بلدها من ماء العين التي تجري الى مدينتها فامر اعساس باحضار ماء من تلك العين ثم وزنهُ فكان اخف من جميع مياه افريقية فامر اعساس بان تُعمَل قناة من تلك العين الى قرطاجنة فعُملت وجرى الماء فيها ونقل من بلاد الكتيم حجارةً وترابًا وبنى لها منازل وقصورًا وانما فعل ذلك لعظم موضع يناه في قلبهِ ومحبتهِ اهل مملكتهِ لها وفرحهم فيها

قال وصار اهل افريقية في ذلك الزمان يغزون الكتيم وينهبونهم ويفسدون بلادهم وكان صفو بن اليفاز هناك حين كانوا يغزونهم فهرب صفو بن اليفاز من افريقية الى الكتيم واقام عندهم فحسنت حالهُ فيهم وايسر ولما كثر غزو اهل افريقية الى الكتيم اجتمع الكتيم الى جبل سبع فاقاموا فيهِ وصفو بن اليفاز معهم وفي

بعض الايام هرب ثور بقر لصفو فخرج في طلبهِ فرآهُ من ورائهِ فمضى نحوهُ واذا هناك اسد عظيم قد افترسهُ وهو ياكل منهُ فشد صفو عليهِ فقتلهُ وعاد الى الكتيم فاخبرهم بذلك فلهذا عظموهُ لان ذلك الاسد كان هائلاً جدًا وكان اضرَّ بهم وافنى بهائمهم ولم يكن احد منهم يجسر عليهِ وفرحوا بقتلهِ وعظم قدر صفو عندهم بذلك والتمسوا امرًا جليلاً يكافئونهُ بهِ فاتفقوا على ان يجعلوا لهُ عيدًا يعيدونهُ كل سنة يذبحون لهُ فيهِ ذبائح ويهدون اليهِ هدايا وسموا ذلك اليوم يانوس اي الاسد ثم ان اهل افريقية غزوا الكتيم على عادتهم فخرج اليهم صفو مع اهل الكتيم فكسرهم وقتل منهم جماعة وهرب الباقون ولم يعودوا بعد ذلك فاستراح الكتيم منهم وشكروا صفوًا على ما فعلهُ وملَّكوهُ عليهم وسموهُ يانوس كاسم الاسد الذي قتلهُ

واما اسطريوس فهو اسم الكوكب الذي كانوا يعبدونهُ في ذلك الزمان وهو زحل فلما ملك صفو على الكتيم وقوي فغزا بني توبال وجميع الامم حارتهم فغلبهم وعلا عليهم وعظم امر صفو واستقام ملكهُ وهو اول ملك ملك في بلد اسبانيا وكانت مدة ملكهِ ٥٥ سنة

ذكر من ملك على الكتيم بعد صفو المذكور

ولما مات صفو ملك بعده افوفوس خمسين سنة وملك بعده فسوس ليطرس وهو الذي بنى هيكلاً عظيماً لزحل وصنع سفناً كثيرة وسار الى قرطاجنة لمحاربة احياويل بن اعساس ملك افريقية وذلك ان لطينوس اراد ان ياخذ صفوشا ابنة احياويل هذا كما فعل اعساس ابوهُ بالكتيم لما اخذ منهم بيناه ابنة عوصو قهرًا وكانت صفوشا ايضاً موصوفة بالحسن والجمال حتى ان اهل زمانها كانوا يرقمون صورتها على ثيابهم لافراط حبها فجاء لطينوس بعسكرهِ ونزل على قرطاجنة وحاصرها وقطع قناة الماء التي كان اعساس الملك قد بناها وهدم بعضها فخرج اليهِ احياويل وكانت بينهما حروب عظيمة هلك فيها احياويل واستباح لطينوس عسكرهُ ثم دخل الى قرطاجنة واخذ صفوشا ابنة احياويل ومضى بها الى بلاد الكتيم فعظم شان لطينوس لذلك وقوي امرهُ وكانت مدة ملكهِ خمساً واربعين سنة ثم مات وملك بعده اسكيانوس ثماني وثلاثين سنة وملك بعده سلاكيوس تسعاً وعشرين سنة وبعده الطينوس خمسين سنة وهو الذي غزا الى المنيله وبرجوينا وقهرهم وبنى هيكلاً للزهرة وعطل هيكل زحل واحرق كهنتهُ بالنار على مذبح الزهرة ثم مات وملك بعده يوليانوس تسعاً وثلثين سنة

وبعدهُ انتيفونوس اربعًا وعشرين سنة وبعدهُ كركيطوس ثلثًا وعشرين سنة وبعدهُ ينتراوس ثماني وعشرين سنة وبعدهُ اغريقاس وبعدهُ اومولوس تسع عشرة سنة وبعدهُ اسوطو سبعًا وثلثين سنة وبعدهُ فروكاس ثلثًا واربعين سنة وبعدهُ رومانوس ثماني وثلثين سنة وفي زمان رومانوس هذا غلب داود الملك لبني اسرائيل على الشام وعلى ادوم فقتل منهم مقتلة عظيمة وهرب منهم جماعة الى بلاد الكتيم فاعطاهم رومانوس موضعًا على ساحل البحر بقرب الجبل فبنوا هناك مدينة وسموها صربنوا باسم صاحبها الذي هرب من داود وكان اسمهُ صربنا وهو من نسل بيت هدد عانة ملك الشام فلما كان بعد مدة حفر في تلك المدينة عين الماء بقرب الشط ثم خسف بها ثم غلب البحر عليها وغطاها فبنوا مدينة اخرى فسموها صربنوا باسمها اما صربنوا القديمة فهي معروفة الى الآن بين يافولي وبين صربنوا الجديدة والنفط يطلع على وجه الماء فيجمعهُ اهل يافولي واهل صربنوا الجديدة اما رومالوس الملك فانهُ خاف من داود ملك اسرائيل فبنى سورًا عظيمًا يحيط بجميع هياكلهِ ومواضعهِ وكان تقدير ذلك خمسة واربعين ميلًا وجعل داخل السور مدينة واحدة وسماها رومية مشتقة من اسمهِ وهي رومية المشهورة وسميت تلك البلاد ايضًا رومانيا مشتقة

من اسم روما لوس وسمي اهلها رومانيين بنسبتهم اليها وهم الروم ولم يزل روما لوس خائفًا حذرًا من داود طول زمانهِ وبنى رومانوس هيكلًا عظيمًا للمشتري وعطل هيكل زهرة الذي كان لطينوس بناهُ ثم مات رومانوس وملك بعدهُ يوماقولوس احدى واربعين سنة وبعدهُ يوليوس اثنتين وثلثين سنة وبعدهُ تروكيونوس سبعًا وثلاثين سنة وبعدهُ سيونوس اربعًا وثلاثين سنة وبعدهُ تركيونوس خمسًا وثلثين سنة ثم قتل وكان سبب قتلهِ انهُ قد كان هوي امرأة رجل من اهالي رومية فاخذها قهرًا فعظم ذلك على المرأة فاخذت السكين بيدها وشقت بطنها فماتت فمضى زوجها واخيها وكمنا لتركينوس في الهيكل فلما دخل على عادتهِ وثبا عليهِ فقتلاهُ فعند ذلك حلفت اهل رومية بأيمان غليظة اكدوها على انفسهم وعلى من بعدهم من الاجيال انهم لايملّكون عليها ملكًا ابدًا ثم اختاروا رجلًا منهم قدموهُ عليهم وسموهُ الشيخ وجعلوا معهُ ثلث مئة وعشرين رجلًا اقوياء امناء يدبرون المملكة فلم يزل الامر برومية على ذلك الى ان تغلب عليهم قيصر الاول فسمى نفسهُ ملكًا وصاروا من بعدهِ يسمون ملوكًا كما سنذكر فيما بعد فلما ولوا الشيخ والثلث مئة والعشرين رجلًا مدبرين على مملكة الروم قوي امرهم الى ان غلبوا جميع الشعوب الذين يجاورونهم بالمغرب ولما كان

بعد ٢٠٠ سنة حدث حروب عظيمة بين الروم وبين الكلدانيين وكان سبب ذلك حرب جرت بين اليونانيين والكلدانيين فاعان الروم اليونانيين فغضب الكلدانيون من ذلك وحاربوا اهالي رومية فاتصلت الحرب بينهم فلما خاف اهالي رومية على مدينتهم من الكلدانيين مضوا الى نهر تيبر فحولوهُ الى مدينتهم التي هي رومية واجروهُ في المدينة من اولها الى اخرها ثم يخرج منها الى البحر وبسطوا جميع ارض ذلك بالنحاس من اولهِ الى اخرهِ ومقدار ذلك ثمانية عشر ميلاً منها ستة اميال عرض المدينة وانما فعلوا ذلك لئلاَّ يمكن من اعدائهم من يغزوهم ان يجري فيهِ السفن. والنهر باقٍ بهذا الوصف الى الآن ولما بلغهم ان بختنصر ملك بابل الكلداني فتح اورشليم عظم خوفهم من الكلدانيين فوجهوا اليهِ رسالة وهدايا وطلبوا الامان وضمنوا لهُ الطاعة فامنهم وعاهدهم واطمأنوا وانقطعت عنهم تلك الحروب الى زمان مادي وفارس

ذكر خروج داريوس ملك مادي وكورش ملك فارس على الكلدانيين وقتل بلطشاصر ملك بابل

قال صاحب الكتاب لما انقضت مدة ملك الكلدانيين وحضر الوقت الذي حكم الله فيهِ بزوال ملكهم والانتقام منهم كما اخبر الانبياء اثار الله عليهم الملوك الذين كانوا يعصونهم ملكين

عظيمين احدهما داريوس ملك مادي والآخر كورش ملك فارس فتزوج كورش ابنة داريوس واتفقا على معصية الكلدانيين واظهار الخلاف على بلطشاصر بن بختنصر ملك بابل فسارا اليهِ بعساكر عظيمة فلما بلغ بلطشاصر خبرهما وجَّه اليهما عسكرًا فهزماهُ وتبعاهُ الى موضع بينهُ وبين بابل مسيرة يوم فاقاما فيهِ فوجَّه اليهما بلطشاصر بعسكر كبير فيهِ الف قائد من قوادهِ وجميع خاصتهِ ورجال عسكرهِ فخرجوا من بابل اخر النهار وساروا في الليل فوافوا عسكر داريوس وكورش قبل الغداة فكبسوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وانهزم ملك الفرس وعاد عسكر بلطشاصر اليهِ ظافرين غانمين فعظم سرور بلطشاصر بذلك وصنع لقوادهِ وليمة عظيمة وبالغ في اكرامهم وحضر معهم في مجلس الشراب فشرب واتصل شربهم في الليل فلما اخذ الشراب من بلطشاصر اراد ان يزيد في اكرام اصحابهِ وسرورهم فامر باحضار آنية الذهب والفضة التي كان اخذها جدهُ بختنصر الملك من هيكل الله وبيتهِ المقدس ونقلها مع جالية بني اسرائيل الى بابل فاحضرت تلك الآنية بحضرة بلطشاصر فشرب فيها الخمر وسقى بها قوادهُ وسراريهُ وخاصتهُ واقبلوا يسبحون اصنامهم ويشكرون لها فسخط الله على بلطشاصر من اجل ابدالهِ آنية القدس وارسل ملاكًا فكتب بامر الله على

حائط المجلس مقابل المنارة كتابًا احمر يتضمن ذكر ما حكم الله عليهِ
وعلى مملكتهِ فنظر بلطشاصر شبه كف انسان واصابعهِ
خارجًا من الحائط وهي تكتب لها نور شديد فاضطرب
الملك وجزع ولحقهُ خوف شديد واعترى الخوف جميع
اجنادهِ ولم يفهم ذلك المكتوب ولا واحد من جميع جندهِ الحاضرين
معهُ لان الخط كان كلدانيًا واللفظ عبرانيًا فامر باحضار دانيال
النبي وفسرها وقال لبلطشاصر انك ايها الملك قد فعلت فعلاً
عظيمًا بابدا لك آنية القدس بايدي جندك وسراريك فنجسوها
ولذلك سخط الله عليك وارسل ملاكًا فكتب هذه الالفاظ ليعلمك
بما يريد ان يفعل وهي مَنَا مَنَا تَقِيل وفَرْسِين . التأويل تفسير منَا
احصى الله ملكوتك وانهاهُ . تَقِيل وُزِنت بالموازين فوجدت
ناقصًا اي انهُ جربك واحسن اليك وظفرك باعدائك فلم تحمدهُ
على ما وهبك من الظفر بل سجت الاصنام وحمدت الاوثان
ذوي الضلال والطغيان . وتفسير فَرْسِين قُسِمَت مملكتك
وأُعطِيَت لمادي وفارس

فلما سمع بلطشاصر قام عن مجلسهِ ومضى الى فراشهِ فجاء اليهِ
خادم من خدامهِ فقتلهُ على فراشهِ في تلك الليلة واخذ راسهُ ومضى
بهِ الى داريوس وكورش واخبرهما بخبر بلطشاصر وما فعل من

ابدالهِ آنية القدس وخبر الكتابة التي كتبها الملك قدامهُ وتفسير دانيال لها وما خبر بهِ من انقضاء ملكهِ وانتقال دولتهِ الى ملوك مادي وفارس بسبب تدنيس آنية قدس الله فلما سمع داريوس ما اخبرها بهِ بادرا ونظرا راس بلطشاصر وشكرا الله عزَّ وجلَّ واعترفا بقدرتهِ واكثرا تسبحتهُ وتمجيدهُ ونذر كورش انهُ يبني بيت الله باورشليم ويرد تلك الآنية اليهِ ويطلق سبي اليهود ويامرهم بالرجوع إلى بلادهم ثم سار كورش وداريوس من موضعهما الى بابل ودخلاها وقتلا جميع اهلها باشد القتل واعظم العذاب . فتم عند ذلك ما اخبرت بهِ الانبياء من انتقام الله من الكلدانيين واهل بابل ومجازاتهم بما فعلوهُ بامتهِ وقدسهِ ثم اقتسم داريوس وكورش مملكة الكلدانيين فاخذ داريوس مدينة بابل واعمالها وتسلم قصر بلطشاصر وجلس على سريرهِ واخذ كورش جميع مملكة الكلدانيين التي هي غير بابل واعمالها واستقر الامر بينهما على ذلك وكان داريوس في ذلك الوقت شيخًا فلم تطل مدتهُ فلما مات اتفق عظماء مادي وفارس واحدًا وبقي الامر على ذلك فلم يتغير فلما كان في السنة الاولى لملك كورش امر باحضار شيوخ الجالية ومقدميهم فاخبرهم بما كان قد نذر من بناء اورشليم واطلاق جالية بني اسرائيل وقال لهم من اختار

من جميع جالية اليهود ان يمضي الى مدينة اورشليم لبناء الهيكل الذي خربهُ بختنصر فليمضِ ويستعن بالله فانهُ يعينهُ وانا كورش عبد الاله العظيم اقدّم جميع ما يحتاج اليهِ لعمارة بيت الله الذي ظفرني بالكلدانيين واعطاني ملكهم فلما سمع اليهود مقالة كورش عظم سرورهم بذلك وشكروا الله على احسانهِ وطلع معهم جماعة كثيرة الى مدينة القدس ومعهم عزرا الكاهن ونحميا ومردخاي ويشوع بن يوصاداق وزربابل وجميع روساء الجالية وبنوا بيت الله على المقدار الذي امرهم بهِ كورش وبنوا المذبح على حدودهِ وقربوا القرابين على واجبها وكان كورش يطلق لهم كل سنة ما يحتاجون اليهِ لخدمة بيت الله من الحنطة والزيت والخمر والبقر والغنم ويطلق لهم مالاً كثيرًا فلم يزل الامر كذلك يجري طول مملكة الفرس وبسط الله يد كورش ونصرهُ على جميع الامم والممالك وفتح الحصون المنيعة واظهر لهُ كنوز الارض وذخائرها ولم يزل مقبلاً مظفرًا اينما توجه كما اخبر اشعيا النبي عن ذلك فان الله لم يفعل بكورش كل ذلك الاّ لاجل احسانهِ لشعب بني اسرائيل وبناء بيت قدس الله

ثم بلغ كورش عن ملك الشطيم انهُ قد عصاهُ فسار اليهِ فقتلهُ وقتل كثيرًا من اصحابهِ وهرب من بقي منهم مع امرأتهِ واخيهِ

وكان اسمها توليد الى حصون منيعة لهم فتحصنوا بها فاحتال عليهم كورش حتى خرجوا من الحصون وقتل كثيرًا منهم وقتل بن ملكهم وهو ابن توليد وفتح حصونهم ومدنهم واستباحها وجعل فيها ولاة من قبلهِ وانصرف راجعًا الى بلدهِ فلما رأَت توليد ان ابنها قد قتل وان ملكها قد زال فلم يجد الصبر فيها موضعًا فحملت نفسها على الموت وجمعت من بقي من رجالها ومضت وكمنت لكورش في الطريق مع اصحابها وكان اكثر اصحابهِ قد تقدم راجعًا الى بلادهِ وبقي معهُ بعض اصحابهِ فكبستهُ توليد بعسكرها فقتلت كورش مع جماعة من اصحابهِ واخذت راسهُ فاخفتهُ وجعلتهُ توليد في زق وملأَتهُ دمًا وقالت اشرب يا كورش وارو من الدماء التي كنت تحب سفكها دائمًا بغير اشفاق ولا رحمة وكانت هذه الحروب نهاية امر كورش وسبب هلاكهِ وقد يهلك اهل الخير كما يهلك غيرهم لما يعلمهُ الله من الصلاح للخلق ولما لهُ سبحانهُ بذلك من السياسة الالهية والتدبير والحكمة

ذكر من ملك بعد كورش على الفرس وجملة من خبر مردخاي اليهودي واستير الملكة ابنة عمهِ مع احشويروش الملك

ولما مات كورش ملك بعدهُ كمبيز ابنهُ فلما انتظم ملكهُ واستقام امرهُ سار الى الشطيم الى توليد التي قتلت اباهُ فاستاصل

جميع اسبابها حتى لم يبقَ لها ذكر وسار الى جميع من عصاهُ من الامم بعد موت ابيهِ فقهرهم وردهم الى طاعتهِ فقوي ملكهُ وعظم شانهُ وانتظم امرهُ ولم تزل اليهود تطيع كورش ومن بعدهِ ملوك الفرس فكانوا يحسنون اليهم ويصلونهم بالاموال الكثيرة ويطلقون لهم ما كان كورش يطلق لهم للقرابين وغيرها لانهم كانوا يجلون بيت الله ويعظمونهُ ويتباركون بهِ ويؤثرون ان يدعوا لهم فيهِ . وكان الامر يجري على ذلك الى ايام ملك احشويروش الملك

فلما ملك احشويروش الملك تغيرت حالة اليهود في زمانهِ وكان السبب في ذلك انهُ استوزر رجلاً يقال لهُ هامان ورفع منزلتهُ وامر الناس باعطائهِ السجود زيادةً في الاكرام لهُ فلما وُلّي هامان وزارة احشويروش ظاهر اليهود بالعداوة وقصدهم بالاذية وذلك ان هامان هذا كان من العمالقة وقد كان بين العمالقة واليهود عداوة قديمة بسبب شاول ملك اسرائيل لان شاول كان قد غزا العمالقة بامر الله عزَّ وجلَّ فقتل منهم مقتلة عظيمة فاشتدت العداوة بين العبرانيين والعمالقة منذ ذلك الزمان لاسيما قبيلة بنيامين. وشاول الملك كان من هذا السبط وازدادت بغضة هامان لليهود بسبب مردخاي لان مردخاي كان يقيم في باب الملك احشويروش لمراعاة استير الملكة ابنة عمهِ التي كان

احشويروش الملك تزوج بها وكان مردخاي اذا رأى هامان لايسجد لهُ ولا يعظمهُ فشق ذلك على هامان وحقد على مردخاي من اجل هذا ولان مردخاي كان ايضًا من سبط بنيامين القبيلة التي كان شاول الملك منها فتجددت في نفس هامان تلك العداوة المتقدمة بما جرى من مردخاي فقصد اليهود بالمكروه وعمل على هلاكهم واتفق ان خادمين من خدام الملك احشويروش كانا قد دبرا على قتل الملك ليفتريا بذلك على اليونانيين لان اليونانيين كانوا يحاربون الفرس في ذلك الزمان [1]

فوقف مردخاي على تدبير الخادمين واخبر بهِ استير ابنة عمهِ وتلك اخبرت الملك بذلك عن مردخاي ابن عمها فبحث الملك عن الخبر فوجدهُ صحيحًا فامر بقتل الخادمين وان تُكتَب نسخة مردخاي في كتب سيرتهِ فعظم ذلك على هامان لحسدهِ مردخاي ولان الخادمين كانا من اصحابهِ ونصحائهِ واحبائهِ وازدادت عداوتهُ لمردخاي اليهودي ولليهود بسببهِ وعمل في هلاكهم وسأل الملك في ذلك فاجاب سؤالهُ لتمكنهِ منهُ وعظم منزلتهِ عندهُ

١ قد زعم قوم ان هذين الخادمين كانا بلبسان الملك خفيهِ فعملا فيهما حيات من النفاثات السم حتى اذا لبسهما بنهشتهُ فيموت لساعتهِ فلما علم مردخاي بذلك اعلم بهِ استير فاعلمت الملك فاخذ الخفين فوجد فيهما الحيات فقتل الخادمين فصلبهما وكتب نسخة مردخاي في سيرتهِ للتذكرة حتى تكون لهُ حسنة عند الملك ليعرف فضلهُ ويعظم قدرهُ

فلما وقف مردخاي على ذلك اشتد قلقهُ وحزنهُ وذكر حلماً كان قد رآهُ في السنة الثانية من ملك احشويروش وذلك انهُ رأى في حلمهِ كأنَّ زلزلةً عظيمة قد حدثت في العالم ورعداً شديداً في جميع الدنيا والناس في خوفٍ وفي فزعٍ عظيم من ذلك. ثم رأى كأنَّ تنينين عظيمين قد اقتتلا وقد انتصب احدهما مقابل الآخر وتقاتلا قتالاً عظيماً شديداً وكان لهما اصوات عظيمة قد علت وارتفعت. وقد اجتمعت جميع الامم وسائر من في العالم لينظروا اليهما فكان بين تلك الامم المجتمعة امة عظيمة ضعيفة حقيرة قليلة العدد وتلك الامم المجتمعة تقصدها بالاذى والشر وتريد هلاكها واستئصالها من الدنيا وهي حائرة لا تدري ماذا تصنع فلما اشتد خوفها واشرفت على الهلاك لم تقدر على حيلةٍ تتخلص بها . ثم رأى بعد ذلك كأنَّ الدنيا قد اظلمت ظلمةً شديدةً وزاد القتال بين التنينين واشتد حتى حنق كل واحد منهما على صاحبهِ وطلب هلاكهُ . ولم يكن احد من تلك الامم يجترئ ان يدخل بينهما ليفرّقهما ويكفهما عن ذلك القتال العظيم فاقاما على تلك الحال طويلاً

ثم رأى كأنَّ عيناً قد ظهرت وجرى منها ماءٌ ضعيف فيما بين التنينين فكفّا عن القتال وافترقا وكان ذلك الماء قد قوي

حتى صار نهرًا شبيهًا بالبحر وظهرت الشمس وانارت الدنيا وزال الظلام منها وكانت تلك الامة الحقيرة قد ارتفعت واستقام حالها وعظم شانها وزال الخوف والفزع من الدنيا وظهر الامن والعدل والخير. ثم استيقظ مردخاي وقد حفظ الرؤيا وكان ينتظر ما يكون من تاويلها

فلما حدث امر هامان قال مردخاي لاستير الملكة ابنة عمهِ ان الرؤيا التي كنت اخبرتكِ عنها منذ زمان قد حضر وقتها ويجب ان تقصدي الله وتسأليهِ الرحمة وتدخلي على الملك وتستعطفيهِ وتجتهدي في خلاص قومكِ . ثم ان مردخاي قصد الله بالصوم والصلوة والبكاء والتضرع والدعاء وقال في دعائهِ

ايها الرب العظيم انت العالِم اني ما امتنعت من السجود لهامان تكبرًا ولا تفزعًا . واني انما امتنعت من السجود لهامان خوفًا منك واجلالًا لك وانفةً من ان اسجد لغيرك واتقرب اليهِ بما يغضبك فامتنعت من ذلك لاتقرب اليك انت ايها السيد اذ ليس ينبغي سجود لاحد سواك واليك تُرفَع الصلوة والتضرع ولولا ذلك لم امتنع لصالح قومي ان اقبّل النعل الذي يلبسهُ هامان والتراب الذي يطاهُ وقد علمت قصدهُ بنا وما يريدهُ من هلاكنا فاسالك ان تخلصنا منهُ وان ترميهُ في الحفرة التي حفرها وفي

الشَرَك الذي نصبهُ لعبيدك فان اعين الكل ترجو خلاصك
لانك لا تطرح عهدك الذي عاهدت آباءنا انك لم تهملنا لاجل
ذنوبنا ومعاصينا التي استوجبنا بها الجلا من اوطاننا والذل
والعبودية . فيا ايها الرب العظيم القادر على المعونة اعنّا وخلّصنا
فقد ضاق بنا الامر جدًّا ولم نزل نلتجي اليك في شدائدنا فتعيننا
وتفرج عنا وتنصرنا على اعدائنا وتكفينا امرهم اذكر يا رب فاننا
امتك التي اخترتها من الامم واختصصتنا دونهم فلا تمكّن بنا
اعداءنا فيقتلونا ويهلكونا ويقولوا ليس لهم اله يقدر على خلاصهم
ويزدادوا بذلك حبًّا لآلهتهم التي ليست بآلهة التي يظنون انها اعانتهم
بذلك بقدرتها فاخذلهم يا رب وكذّب ظنهم حتى يعلموا بطلان
ما يعتقدون في معبوداتهم اذا نظروا معونتك انا واحسانك الينا
ولا تقطع تمجيدك وتسبيحك من افواه ممجديك ومادحيك
واقلب حزننا الى فرحٍ وسرور حتى نعلي لك التسبيح والتقديس
على معونتك لنا وما تنعم بهِ علينا من الكفاءة والخلاص

وجميع الامة التي بمدينة احشويروش وهي شوشن القصر لما
علموا بذلك صرخوا الى الله بسبب هذا العدو وقصدوهُ وايضًا
استير الملكة قصدت الله بخوفٍ لانها جزعت من هذه البلية التي
ادركتهم وغشيتهم ونزعت ثياب الملك والقت زينتها ولبست

ثياب شعر ونشرت شعرها والقت التراب على هامتها واجهدت نفسها بالصوم والصلوة وسقطت على وجهها تبكي وتدعو الى الله وتقول في دعائها هكذا

يا رب اله اسرائيل يا ملك الملوك انت الخالق الكل وبارئ العالم المسلط عليهِ اسألك ان تنصر امتك التي ليس لها ناصرٌ سواك انت العالم اني بُليتُ بالسبي صغيرة وحصلت في هذه البلاد غريبة بينهم يتيمة من ابي وامي اخذني هذا الملك بخلاف مرادي وانا معهُ ايضاً كالغريبة لاني مع غير قومي ومع مَنْ دينهُ غير ديني. ومع ذلك فما تركت عبادتك ولا شغلتني الدنيا والملك الذي انا فيهِ عن طاعتك. وقد علمت ما دبَّرهُ هذا العدو علينا واجتهادهُ في هلاكنا . وقد جزعت نفسي من الهلاك عليَّ وعلى قومي وقصدتك بالتضرُّع والتذلُّل والخضوع اطلب منك الرحمة والفضل كالفقراء والمساكين الذين يتسولون وإن كنت يا رب قد قضيت بهلاكنا فأَمِتني قبل ان أَرَى مكروهاً في قومي وان كنت تشاء بقاءي في الدنيا فاتضرع الى جودك ايها السيد ان تتفضل بخلاص عبيدك واغنام رعيتك من الاسود الضارية والسباع المفترسة المتهيئة لاختطافهم المستعدة لابادتهم ووقوع التهلكة بهم . فانك انت الذي لم يزل يعين آباءنا في الشدائد

ويخلّصهم من الاعداءِ ويحسن اليهم في كل زمان. نطلب منك ايها الرب الرحوم ان تجرينا على عوائدنا الجميلة. وامسك بيدي انا اليتيمة المنقطعة الواثقة بك المتوكلة عليك ان تخلصني من هذا الملك وترزقني منهُ حظًّا وتعطفًا وهبة الحنو عليَّ وتحفظني من هذا الملك في دخولي عليهِ وخروجي من عندهِ حتى ادخل عليهِ واخرج من بين يديهِ بغير رزية اذا شملتني رحمةٌ منك ونظرت الى امتك نظرة تعطُّف واصرفت قلبهُ الى محبة فان قلوب الملوك بيدك وانت اذا شئت قدرت

فلما كان في اليوم الثالث لبست استير الملكة ثيابها وتزينت باجمل زينة واخذت معها جاريتين من جواريها واحدة منهنَّ تتوكأُ عليها والاخرى تمشي خلفها ترفع ذيولها من الارض كسنة الملوك ورسومهم. ثم اظهرت السرور في وجهها واخفت الحزن في قلبها. ثم دخلت القصر الاقصى حيث مجلس الملك فوقفت مقابل الملك وهي خائفة جدًّا فغضب الملك لمخالفتها سنّة الملوك ودخولها اليهِ من غير ان يستدعيها. فلما نظرت استير الى الملك قد ظهر الغضب في وجههِ ازداد خوفها وتواتر جزعها ولبثت واقفة متوكّئة على جاريتها تدعو الى الله في قلبها ولا تدري من عظم حيرتها ماذا تصنع فنظر الله تعالى الى تذللها وخضوعها فرحمها

ورزقها عند الملك حظًّا وزادها في عينيهِ جلالاً وجمالاً واعطفهُ عليها وازال منهُ الحنق والغضب واستدعاها وقربها وسكن روعها فسألتهُ في سلامة قومها فاجاب سؤالها فيما سألتهُ فيهِ واجرى الله على يديها ويدي مردخاي ابن عمها من خلاص الامة وهلاك هامان ما هو في كتاب سفر استير وكتب الانبياء. وكان اليهود بعد ذلك في طاعة الفرس آمنين مطمئنّين الى ان ملك داريوس الثاني فحارب اليونانيين وتمكن منهم وقهرهم واذلهم. وما زال اليونانيون كذلك الى ان ملك اسكندر بن فيلبس المكدوني عليهم وانتصر لهم وجمع الجيوش العظيمة وسار الى داريوس فحاربهُ وانهزم داريوس وهلك وغلب اسكندر على المملكة وعلى جميع الارض

ذكر اسكندر بن فيلبس اليوناني ومسيرهِ الى داريوس وخبرهِ مع اليهود

كان فيلبس ابو اسكندر ملكًا عظيمًا من ملوك اليونانيين وكان قد قهر مَنْ حولهُ من الامم واطاعوهُ جميعهم وكانت مدة ملكهِ ست سنين. ثم قتل وكان سبب قتلهِ ان قائدًا من قوادهِ يقال لهُ فارس هوي امرائهُ ام اسكندر فراسلها واستمالها فامتنعت عليهِ فعمل على انهُ يقتل فيلبس فياخذها قهرًا. فلما لم يتم لهُ ذلك بقي مترقبًا وقتًا ملائمًا ليجد فيهِ فرصة في وجود السبيل الى قتلهِ

فاتفق ان عدوًّا قام على فيلبس ونزل الى بلادهِ فوجَّه فيلبس قائدًا من قوادهِ مع عسكر لمحاربة العدو. ثم وجَّه بابنهِ اسكندر مع بعض العساكر ايضًا الى جهةٍ اخرى. فلما رأَى فارس القائد ان عسكر فيلبس قد تفرق عنهُ طمع في قتلهِ فجمع معهُ جماعة من اصحابهِ فوثب عليهِ فضربهُ ضربات كثيرة فخر فيلبس صريعًا ولم يَمُت وهاج الناس في البلد واضطربت المدينة. وان اسكندر عاد في تلك الساعة. فلما قرب من المدينة سمع ضجة الناس فسال عن الخبر فأُخبِر بما جرَى على ابيهِ. فدخل مسرعًا فوجد اباهُ صريعًا وامهُ اسيرة في يد فارس القائد فقتلهُ. ثم مات فيلبس وملك اسكندر بعدهُ وهو ابن ست عشرة سنة وكان حكيمًا متادبًا فاضلًا وكان معلمهُ الذي علمهُ الحكمة ارسطوطاليس الحكيم وكان اسكندر في صورتهِ يشبه اباهُ وامهُ. ويقال ان وجههُ كان كوجه الاسد وكانت عينهُ اليمنى سوداء تنظر الى اسفل وكانت عينهُ اليسرى كلون عين السنور تنظر الى فوق. وكانت اسنانهُ دقاقًا حادَّة مثل اسنان الكلاب. وكان شجاعًا جريئًا مقدامًا من صباهُ. فلما ملك على اليونانيين ارسل الى مهادنة داريوس ورأَى ان يهدي لهُ هدايا عظيمة وللذين يتركون محاربتهُ فحارب من خالفهُ منهم حتى ارتدوا الى طاعتهِ وأَمن منهم على مملكتهِ اذا بعد عنهم

ثم سار الى بلاد المغرب وما يليها فاقام بها الى ان اطاعتهُ اهلها واستوثق منهم بالأيمان المؤكدة واخذ من رجالهم ومقاتليهم الف مقاتل وجعلهم في مقدمة عسكرهِ . فلما فرغ من ذلك ولم يبقَ وراءهُ من يخافهُ سار الى الامم الذين في طاعة داريوس فحاربهم. ثم جاء الى الشام ففتح مدن الساحل وجاء قاصدًا اورشليم ليحارب اليهود من اجل طاعتهم لداريوس. فلما سار في بعض الطريق رأى رجلاً بهيًّا لابسًا ثيابًا بيضًا وبيدهِ سيف مثل البرق اللامع الساطع البصر وهو يشير بهِ اليهِ كانهُ يريد قتلهُ ففزع اسكندر وعلم ان ذلك الشخص ملاكٌ مُرسَلٌ من الله عزَّ وجلَّ فسقط على وجههِ وسجد. وقال يا سيدي لماذا تقتل عبدك. فقال لهُ لانك تريد ان تمضي الى القدس لتهلك كهنة الله وامتهُ وانا هو الملاك الذي ارسلني الله لنصرتك على الملوك والامم فيكفيك الآن. فقال اسكندر يا سيدي اغفر لعبدك فقد اخطات وان كنت لا تشاء ان اسير في طريقي هذه فانا اعود الى بلادي. فقال لهُ الملاك اذ قد استغفرت عن مآثمك واعترفت بخطاياك فيكفيك فلا ترجع بل امضِ في طريقك. واذا وصلت الى اورشليم ورأيت رجلاً بهيًّا لابسًا ثيابًا بيضًا يشبه منظري وصورتي فانزل عن فرسك وخرَّ لهُ ساجدًا واقبل جميع ما يامرك بهِ ولا

تخالفهُ لانك ان خالفتهُ هلكت فرحل اسكندر عن موضعهِ متوجهاً الى اورشليم . فلما سمع اليهود بمجيئهِ اليهم خافوا منهُ. فلما علم الكاهن الاكبر جمع اليهود الذين هناك وامرهم فصاموا وصلوا وتصدقوا وقصدوا الله عزَّ وجلَّ وسألوهُ الكفاءة. ثم خرجوا يستقبلون اسكندر لما قرب من المدينة وعظيم الكهنة قدامهم. فلما اقبل اسكندر واذا هو بالكاهن يشبه الملاك الذي كان قد رآهُ في طريقهِ . وذكر ما كان الملاك قد امرهُ بهِ . فنزل عن فرسهِ وسقط على وجههِ قدامهُ وسلم عليهِ وعظَّمهُ . فانكر ذلك الملوك والعظماء الذين كانوا مع اسكندر واستعظموا فعلهُ. وقالوا ايها المعظم في الملوك . كيف ترجَّلت وسجدت لهذا الرجل الذي ليس لهُ عليك سلطان . وانما هو من بعض رعيتك وواحد من خدامك وعبيدك . فاخبرهم اسكندر بالخبر عن الملاك الذي ظهر لهُ في الطريق وما امرهُ بهِ. ثم ان الكاهن الاكبر لقي اسكندر بالاكرام والاجلال ومضى معهُ حتى ادخلهُ القدس . فلما رآهُ عظم في نفسهِ وسبح الله وحمدهُ واثنى عليهِ بما هو اهلهُ

ثم قال للكاهن قد احببت ان يكون لي في هذا الهيكل شيءٌ أُذكَر بهِ وانا اطلق لكم من الذهب ما يصنع منهُ صنم على صورتي يجعل في هذا الهيكل ليكون ذكرًا لي فيهِ . فقال لهُ الكاهن ليس

يجوز ان نجعل في بيت قدس الله شيئًا من الاصنام لكن ارى ان يُحمَل المال الذي اطلقتهُ لهذا الموضع فيُصرَف في مصالح الكهنة واليتامى والارامل الذين يصلون فيهِ دائمًا . وانا اجعل لك امرًا تُذكَر بهِ خيرًا مما اردت ان تصنع وهو اني اتقدم الى جميع الكهنة ان يسموا كل مولود ذكر يولد لهم في هذه السنة اسكندر وكلما دخلوا الهيكل ودعي لهم فيهِ باسمك كان ذلك ذكرًا لك بين يدي الله عزَّ وجلَّ في كل وقت . فرضي اسكندر بذلك وحمل الى بيت الله مالاً كثيرًا واعطى الكاهن عطايا فاخرة وسالهُ ان يتوسل الى الله عن امرهِ فيما عزم عليهِ من محاربة داريوس وهل ذلك بارادة الله ام لا يريدهُ فيرجع الى بلادهِ . فقال لهُ الكاهن امضِ ايها الملك في طريقك فان الله معك وهو يظفرك بداريوس ومملكتهِ . ثم احضر لهُ صحيفة دانيال النبي المعظم فقص عليهِ ما ذكر في امر الكبش الذي رآهُ وهو ينطح ما يليهِ من كل جهة . وامر تيس المعز الذي رآهُ وقد اقبل الى الكبش مسرعًا فضربهُ وكسر قرنيهِ . ثم صرعهُ الى الارض وداسهُ وتوطاهُ برجليهِ وقهرهُ ولم يقدر الكبش على ان ينجو من يدهِ

ثم قال الكاهن لاسكندر انت ايها الملك المهثل بتيس المعز وداريوس هو المهثل بالكبش وانت تظفر بهِ كما قال دانيال

النبي واخبر

فلما سمع اسكندر هذا وما شاكلهُ من الكاهن تايَّد ونقوَّى قلبهُ . وامر ان يُكتَب جميع ما جرى لهُ في طريقهِ وبعث بهِ الى رومية ومكدونية . ثم انصرف اسكندر عن اورشليم وسار متوجّهًا الى داريوس . وفي عبورهِ على نابلس استقبلهُ سنبلط السامري وانزلهُ عندهُ وصنع لهُ ولجميع قوادهِ وعظماء اصحابهِ صنعًا عظيمًا وحمل اليهِ هدايا عظيمة نفيسة واموالاً كثيرة وسالهُ ان يامر ببناء هيكل في جبل جرزيم وهو طور تربل

وانما اراد سنبلط بناء هيكل بسبب منسى زوج ابنتهِ الذي كان كاهنًا في بيت الله وكان متزوّجًا بابنة سنبلط. وكان روساء اليهود في ذلك الوقت قد امروا جميع الذين كانوا قد تزوجوا بنساء غريبات من غير امتهم ان يفارقوا نساءهم فقبلوا ما امروهم بهِ وفارقوا نساءهم غير منسى الكاهن فانهُ امتنع من مفارقة ابنة سنبلط السامري فابعدتهُ اليهود لذلك وحطوا مرتبتهُ . فمضى مع امراتهِ الى بيت ابيها سنبلط حميهِ فاقام عندهُ فاراد سنبلط ان يبني هيكلاً في طور تربل شبيهًا بهيكل اورشليم ليستميل اليهِ الناس بان يقول لهم ان هذا هو المكان الذي اختارهُ الله ويجعل منسى صهرهُ كاهنًا فيهِ فلا تنحط منزلتهُ ولا تبطل رياستهُ فلما

اشار سنبلط بهذا لاسكندر في ذلك . قال لهُ قد اجبتك الى ما طلبت من بناء هذا الهيكل . ولكن احذر من ان تفعل شيئًا يكرههُ الكاهن الذي في اورشليم

ثم مضى اسكندر في طريقهِ ومضى سنبلط فبنى الهيكل في طور تربل وصار منسى ختنهُ فيهِ كاهنًا . وقال لليهود هذا هو المكان الذي اختارهُ الله للبركة وهذا هو الموضع الذي ينبغي ان تكون الصلوة فيهِ والحج اليهِ كما قال موسى في الشريعة اني اجعل البركة على جبل جرزيم . فقبل ذلك كثير من اليهود وكانوا يحجون الى طور تربل في الاعياد ويحملون اليهِ قرابينهم ونذورهم وهداياهم واعشارهم وتركوا قدس الله واغضوا عنهُ وعدلوا عن زيارتهِ وعطلوهُ وكثرت الهدايا في ذلك الهيكل وغزرت الاموال فيهِ واستغنت كهنتهُ واستقام حال خدامهِ وصار علة في تعطيل كثير من حقوق القدس وعظم امر منسى واتسعت ثروتهُ ولم يزل امر ذلك الهيكل مستقيمًا واليهود يحجون اليهِ الى ان وُلّي هركانوس بن شمعون فاخربهُ . ولما مضى اسكندر الى المشرق لمحاربة داريوس نزل على الفرات فلما بلغ داريوس خبرهُ كتب اليهِ كتابًا وهذه نسختهُ

من داريوس ملك الملوك وسائر امم الارض الى اسكندر

المكدوني علمت يا اسكندر ان الله رفع قدري ورتبني على جميع اهل الدنيا وجعلهم تحت يدي وفي امري وسلطاني فكيف تجرأْت انت والمكدونيون على ان تعبروا الفرات بغير امري. ثم لم تكتفِ بذلك حتى وطات اعمالي وتعديت على اصحابي وقد كان يجب عليك ان تستاذنيّ في كلما تفعل كما يستاذن العبد مولاهُ ولا تفعل شيئًا بغير امري ولكن الغباوة ردية وهي حثتك على هذا التصرُّف والشبيبة غير المهذبة في تمكين العقل حملتك الى ما فعلت فبئْس ما دبرت انت ومن معك وانا امرك الآن ان تسير الى حضرتي فبادر ولا تتقاعد فان خالفت امري صُليتَ بعقوبتي وحلت بك نقمتي وان جيت مبادرًا صفحت عنك واحسنت اليك فلم يحفل اسكندر بكتاب داريوس وسار في عسكر كبير وكان ذلك يوم غمام وقتام وزوابع وحدث رعد عظيم قال فانهزم عسكر العجم وهرب داريوس فتبعهُ اسكندر واسر امهُ وامرأَتهُ وغنم عسكرهُ وافلت داريوس فمضى في الليل هاربًا الى حصن من حصونهِ فتحصن فيهِ وعاد اسكندر فامر بدفن مَن قتل من عظماءِ الفرس وجميع القتلى واقام في موضعهِ اياماً . ثم وافاهُ صاحب جيشهِ ومعهُ عساكر كثيرة وكان اسكندر قد اوصاهُ ان يجمع من الرجال ما امكنهُ ووصلت اليهِ يدهُ ويسرع بهم اليهِ . فلما وردت اليهِ

العساكر ازداد قوةً وقصد المدينة التي تحصن فيها داريوس . وكان قد بلغهُ عظم الحصن وكثرة الرجال فامر ان يجمع البهائم والمواشي التي بتلك البلاد وان يجمع الحطب واطراف الشجر والشوك وربطها الى البهائم .ومشت وهي تسحب ذلك على الارض وقصد بذلك ان يثير الغبار والعجاج ويرتفع . فلما نظر مَنْ في الحصن ذلك القتام العظيم قد اقبل اليهم ظنوا انهُ من كثرة الخيل والعساكر. ثم نظروا الى العساكر وخافوا فلم يخرج احدٌ منهم من الحصن فاراد اسكندر ان يرسل رسلاً الى داريوس فخاف من داريوس ان يستميلهم فيتم عليهِ بذلك حيلة . فحمل نفسهُ الى ان يمضي اليهِ متنكرًا فاستصحب رجلاً يثق بهِ من خواصهِ واخذ معهُ ثلثة افراس من اجود خيلهِ ومضى حتى انتهى الى نهر عظيم بقرب المدينة فوجدهُ جامدًا فامر اسكندر الذي خرج معهُ ان يقيم عند النهر مع فرسَين

ثم ركب الفرس الثالث وسار على النهر وحدهُ حتى وصل الى المدينة . فلما رآهُ القوم الموكلون بباب المدينة قالوا من انت فقال انا رسول اسكندر جئت الى داريوس الملك برسالة. فرفعوا خبرهُ الى داريوس فامر باحضارهِ فلما دخل الى داريوس ورأى هيبتهُ وعظم مملكتهِ داخلهُ الخوف . فقال لهُ داريوس من اين

اقبلت . فقال رسول ارسلني اسكندر اليك يستدعيك الى محاربتهِ قائلاً لك انك ان تاخرت عن لقاءِي ولم تخرج لمقارعتي فقد تبين عجزك وظهر ضعفك عن لقاءِ عدوك . قال فغضب داريوس من ذلك وقال لعلك انت اسكندر ولذلك اجترأت على ما تكلمت بهِ من هذا الكلام . فقال ما انا اسكندر ولكني رسولهُ فاعجب بهِ داريوس واجلسهُ على مائدتهِ فاكل معهُ . ثم حضر الشراب فكان اسكندر اذا ناولهُ الساقي الكاس تناولهُ ثم دفقهُ بين ثيابهِ ولم يشربهُ فقال داريوس لما تفعل هذا . فقال كذلك يفعل كل من يحضر مولاي اسكندر في الشراب فلما سمع بعض خدام داريوس كلام اسكندر عرفهُ فلما تحققهُ قال لآخر من الخدَّام سرًّا على الحقيقة هذا هو اسكندر وانا اعرفهُ فسمع اسكندر واحتال حتى خرج من حضرة داريوس واخذ الكاس التي كان الساقي يناولهُ فيها الشراب وكانت من ذهب ثم جاءَ الى باب المدينة في الليل وقتل البوابين وخرج فلما علم داريوس بذلك وجَّه وراءَهُ جماعة فلم يدركوهُ لانهُ كان قد سبقهم وقد كانت ليلة مظلمة . وسار اسكندر حتى انتهى الى النهر وهو جامد متجلّد فعبر عليهِ . فلما قرب من الجانب الآخر انحل الماءُ قبل خروج اسكندر من النهر فوثب عن الفرس وعبر الى الشط وقوي الماءُ على

الفرس فجرّهُ وسلم اسكندر وحال الماء بينهُ وبين اصحاب داريوس ولبث يمشي حتى وصل الى مرافقهِ الذي تركهُ عند الفرسين فركبا وعادا الى العسكر واقام اياماً . ثم سار الى محاربة داريوس فخرج اليهِ داريوس فعبر على النهر بعسكرهِ وكان النهر قد جمد فالتقى العسكران واقتتلا قتالاً شديداً فغلب اليونانيون الفُرس وهرب داريوس فاراً على النهر ولحقهُ من بقي من عسكرهِ منهزمين فلما توسطوا النهر انحلَّ الماء فغرق كثير منهم وسلم داريوس بنفسهِ فعاد الى قصرهِ باكياً حزيناً فكتب الى اسكندر يستعطفهُ ويبذل لهُ الاموال الجزيلة وسألهُ ان يرد اليهِ امرأتهُ وابنتهُ ولا يخرب بلادهُ قال فلما قرأ اسكندر كتاب داريوس قال ان قهرني داريوس فقد توفر عليهِ ما يبذلهُ من الاموال لي وان قهرتهُ فجميع اموالهِ صائرة لي . ثم اقام اسكندر في موضعهِ

وذكروا ان اسكندر لما مات ابوهُ فيلبس ملك بعدهُ في مدينة مكدونيا وهو يومئذٍ ابن ست عشرة سنة . فبلغ داريوس ملك فارس ان اسكندر قد ملك بعد ابيهِ على اليونانيين فطمع فيهِ وكتب لهُ كتاباً هذه نسختهُ بلغني انك تملكت على الروم بغير امري ولو سلكت مسلك ابيك في المشورة وعملت ما انا امرك بهِ لكان احسن بك وابقى لنعمتك لكن غرور الصبا حملك على

ذلك بالجهل منك وممن معك فانزع عما انت عليهِ واحمل الينا الفدية عنك وعن بلادك واعترف بذنبك وعجِّل بذلك ولا تؤخرهُ والاَّ خرجت اليك برجال فارس فاوطاتهم بلادك واقتل رجالك واخرجك عن نعمتك . وقد بعثت اليك بما ان استطعت تعدهُ ستعد رجالي واصحابي والسلام. وبعث مع الرسول قفيزًا من السمسم المقشور فقدم رسول الملك داريوس ملك العجم على اسكندر واوصلهُ الكتاب والسمسم فجمع اسكندر روساء دولتهِ وقرأ عليهم الكتاب وقال لهم ان توازرتم ظفرتم وان تشتت امركم طمع فيكم فاجابوا كل واحد منهم بما حضرهُ من الراي فاجابهم اسكندر قد سبق في قلبي النصر على داريوس ودل على ذلك اذ شبه اصحابهُ بالسمسم وهو طعام دسم ليس على آكلهِ تعب وان ملك سيسير الينا قال لهُ اصحابهُ كذلك يفعل الله سبحانهُ وتعالى

ثم اجاب اسكندر داريوس بكتاب وهذه صورتهُ

من المتملك من الله عبد الله اسكندر ملك اليونانيين الى داريوس المستعلي المتشامخ ترفعًا وكبرًا فهمت كتابك وما وصفتني بهِ من التعدي لامرك وما توعدتني بهِ وانني ان لم انزع عما انا فيهِ او ان أَخرت حمل ما امرت بحملهِ اليك خرجت اليَّ برجال فارس فلقد حدثتك نفسك بما لم تنلهُ يدك ولا يلحقهُ فكرك اما

انا فحقًّا يقينًا اني خارج اليك بليوث اليونانيين ومعرف لك كيف يكون الحال عند اللقاء وقد بعثت اليك ما تستدلُّ بهِ على حرافة رجالي من رجالك والسلام . وبعث اليهِ بصُرَّةٍ من الخردل فلما وصل رسولهُ حدثهُ بما فعل اسكندر . ثم ان اسكندر جمع بطارقتهُ ووجوه اصحابهِ وقال لهم يا قوم ان الاشياء تتم بثلث خصال منها الفكر الجيد والقوة عليهِ ثم العمل بها با لنية الصادقة فمن كان على ذلك منكم فهو على سبيل الظفر بما يريدهُ فمن كانت هذه فيهِ فليلحق بنا ومن كان بخلاف ذلك فليتخلف عنا فقالوا لهُ قد جعل الله هذه الخصال في الملك مجمَّعة وفي عبيدهِ متفرّقة فلا يدع كل امرءٍ منا الغاية بما عندهُ فاستحسن قولهم . ثم استعد اسكندر عند ذلك وخرج لمحاربة داريوس فالتقيا بالجزيرة واشتدت الحرب بينهم اربعين يومًا فخندق داريوس خمسة خنادق وجعل في كل خندق اثني عشر الف راجل وكانت النوبة لا تصيب الرجل في القتال الّا يومًا في كل خمسة ايام وفرض داريوس على اصحابهِ في كل يوم براس او راسين فوجد اسكندر في نفسهِ من ذلك وجدًا عظيمًا وبلغ منهُ الغيظ كل مبلغ وبعث الى داريوس يقول لهُ قد كدنا نتفانى ورأيت امرًا فيهِ البقاء لنا وذلك بان تامر اصحابك في وقت المصاف ان يفرجوا لي فاخرق صفك

الى جانب عملك فأرجع متينًا الى بلادي اذ كنا لانرى الفرار من الزحف وهو عار لايُغسَل ودرن لاينمحي ولايفنى فاجابهُ داريوس أنّا لانرى الذي سألت ولاسبيل اليهِ فلما رأى اسكندر ذلك حسر عن راسهِ وقال يا معشر الروم هذا هو العجز والذل عن الانتصار هل فيكم وفي اهل فارس من يحتال بي في هذا الامر ويفرج عني هذه الكربة ولهُ نصف ملك فارس وملك الروم ونصف ما في يدي من الاموال فسمع كلام اسكندر حسيفس وادرسيت ابنا ادزشيت وكانا اصحاب حرس داريوس فوثبا عليهِ فوجياهُ باسيافهما حتى خرّ صريعًا وانهزم العجم وكثر القتل فيهم . وانتهى اسكندر الى داريوس وهو في تلك الحال فنزل اليهِ ووضع راسهُ في حجرهِ وعصب جراحاتهِ وقبّلهُ وبكى وقال الشكر لله الذي لم يجرِ قتلك على يد احد من اصحابي وقد كان ما جرى في سابق علم الله فسل ما بدا لك فلك عندي ثلث شفاعات واشفعني انت بواحدة.فقال لهُ داريوس حاجتي الّا تنقد اهل اليونان والشرف من اهل فارس وان تستصلحهم ومن حاجتي اليك لاتخرب بيوت النيران وان تنوصى بتبديلها ومن حاجتي اليك ان تنصفني من قاتلي وتنتصر لي منهُ لانهُ ان بقي سيكفر بمعروفك كما كفر بمعروفي فضمن لهُ اسكندر ما سأل وقال لهُ اسكندر من حاجتي اليك

ان تزوجني دوشنك ابنتك فيكون ذلك برضاك فقال لهُ
داريوس ازوجك اياها على ان يجعل الملك من بعدك لولدك
منها فاجابهُ اسكندر الى ذلك فزوجها لهُ ثم قضى اجلهُ فامر
اسكندر ان يُكفَّن بافخر ما يكون من الثياب واكفان الملوك
وامر جند الروم وفارس ان يمشوا امام نعشهِ بالسلاح ومشى
اسكندر ووجوه اصحابهِ خلف نعشهِ الى ان واراهُ ثم قال اسكندر
اني وان كنت فعلت ما فعلت بداريوس فقد كان على كل حال
عدوي وقد عظم عندي امر مَن كفاني امرهُ ووجبت عليَّ مكافاتهُ
فاني اقسم قسمًا لا زلل فيهِ حقًّا لا يوهم بهِ ولو رفعتهُ فوق اصحابي
اجمعين فدنا منهُ ابنا ادريشت فقالا نحن صاحبا داريوس اللذان
كفياك امرهُ فانجز لنا بوعدك فامر بهما ان يُصلبا على خشبتين
عظيمتين وقال ان هذين الرجلين قد استحقا ما امرت بهِ فيهما
بنكثهما وغدرهما بصاحبهما فانهما اذ لم يعينا لهُ فلا يعينان لغيرهِ
وقد انجزت لهما ما وعدتهما ودفعتهما فوق اصحابي كلهم . ثم امر لامّ
داريوس وزوجتهِ بالصِلات والهبات والكرامات وشرفهما وامر
لقواد اهل فارس ووجوههم بالارزاق والجوائز واقرهم على مراتبهم
واحبوهُ والفوهُ وندب من ندب منهم لغزو الهند معهُ فشخصوا
مسرورين منبسطة آمالهم وملك اسكندر السبعة الاقاليم

علم بيان التواريخ من سبي بني اسرائيل وصاعدًا

من سبي بختنصر لبني اسرائيل الى ملك اسكندر الف وثلثون سنة . ومن ملك داود الى اسكندر سبع مئة واربعون سنة . ومن خروج بني اسرائيل من مصر الى ملك اسكندر الف وست واربعون سنة. ومن ابرهيم الى ملك اسكندر الف وثمان مئة وثلث وخمسون سنة . ومن فالق الى ملك اسكندر الفان وثلث مئة واربع وتسعون سنة . ومن الطوفان الى ملك اسكندر الفان وتسع مئة وخمس وعشرون سنة . ومن ادم الى ملك اسكندر خمسة آلاف ومئة واحدى وثمانون سنة . قال وكان ارسطوطاليس الفيلسوف معلم اسكندر وكان ايضًا بمدينة اثينا حكيم يقال لهُ ديوجانس وفتح الاسكندر بهِ الفتوح ودان لهُ من اليونانيين ثلثة عشر ملكًا وبنى ثلث عشرة مدينة بعضها في المشرق وبعضها في المغرب وكان لهُ وقائع وفتوح لم يكن لاحد من الملوك مثلها وبنى مدينة وسماها باسمهِ الاسكندرية ونقل المملكة من مدينة مكدونيا اليها وبنى فيها منارة وصيرها عَلَمًا لكل من يسير في البحر يستدل بها على مدينة الاسكندرية . فلما غلب الملوك واستولى على الدنيا كافةً وسار الى بابل سقوهُ سمًّا وذلك ان امهُ اليومي فيدا كانت كتبت اليهِ كتابًا تشكو عاملهُ في مكدونيا

فاضطغن اسكندر ذلك عليهِ وعزم على قتلهِ فاحسَّ الرجل بذلك فوجَّه بابن لهُ الى اسكندر ومعهُ هدايا كثيرة والطاف وزودهُ سمًّا قاتلًا واوصاهُ ان يتلطف بكل حيلة بان يسم اسكندر فقدم الفتى واوصل كل ما كان معهُ من الهدايا ولقي فيمن لقي صاحب شراب اسكندر وقد كان اسكندر قبل ذلك غضب عليهِ فضربهُ وكان موغر الصدر فطابقهُ صاحب الشراب على ما حاول ودخل معهُ في الامر رجل من خاصة اسكندر. ثم ان اسكندر اتخذ طعامًا مع اصحابهِ فاكلوا وشربوا فجلس اسكندر مع خواصهِ وندمائهِ مسرورًا بمجلسهِ جذلًا باحوالهِ فلما اخذ فيهِ الشراب اخلط الساقي من ذلك السم في كاس الشراب. ثم ناولها لهُ فلم يلبث حين شربها حتى شعر بموتهِ واحس بانقضاء مدتهِ فامر باحضار كاتبهِ فاملى عليهِ كتابًا هذه نسختهُ

من عبد الله اسكندر المتولّي كان بالامس على اقطار الارض وهو اليوم رهينها الى الوميفيدا امهِ الحبيبة الرحيمة التي لم يتمتع بالقرب منها السلام الطيب الذكي ان سبيلي يا ام سبيل من قد مضى من الاولين وانتِ ومن يتخلف بعدي في الاثر وانما مثا لنا في هذه الدنيا كاليوم الذي يدفع ما تقدمهُ فلا تاسفي على الدنيا فانها غرارة باهلها والعبرة في ذلك مما عرفتِ عن الملك فيلبس حيث

لم يجد سبيلاً الى المقام معكِ ولا للتخلف عليَّ فتدرّعي بالصبر وانفي عنكِ الجزع واعتزلي وامري ان لا يدخل عليكِ الاَّ من لم تنلهُ مصيبة ولا بلي بداهية لتعرفي ما في ذلك فتستقري على امركِ وتمضي لشانكِ فان الذي اصير اليهِ افضل مما كنت فيهِ فاحسني اليَّ والى نفسكِ بقبول العزاء والصبر لئلاَّ يتملك الحزن عليكِ وكتابي هذا في آخر يومي من الدنيا واول يومي من الآخرة كتبتهُ اليكِ رجاءَ ان تتعزي بهِ ويحسن موقعهُ منكِ فلا تخلفي ظني ولا تحزني نفسي والسلام . وامر بختم الكتاب وارسلهُ الى امهِ سرًّا وتقدم الى فيليمن وزيرهِ وطلب منهُ ان يستر موتهُ ويعجل في المسير الى الاسكندرية . ويقال ايضًا انهُ لما بلغ قوموس مرض بها مرضًا شديدًا ومضى مريضًا لا يزداد كل يوم الاَّ ضعفًا الى ان قضى اجلهُ وكانت امهُ قد اخبرتهُ ان المنجمين قالوا لها حين ولدتهُ انهُ يهلك في موضعٍ سماؤهُ ذهب وارضهُ حديد فمضى على ما بهِ حتى بلغ شاهروت ففيما هو في سيرهِ اذ اشتد بهِ الكرب فنزل فالقي لهُ جفتًا وفوقهُ درع من حديد فجلس عليهِ واظل بترس مموَّه بالذهب . فلما نظر ذلك ذكر قول امهِ . ثم قضى اجلهُ

فلما ورد الكتاب الى امهِ امرت فاتخذت لها طعامًا ونادت في الناس انهم يحضرون الطعام ووكلت البوابين ان لا يدعوا

احدًا يدخل الاَّ من لم تصبهُ مصيبة فجعل البوابون يسأَلون من اتاهم فاذا وجدوهُ قد اصيب باحد لم ياذنوا لهُ بالدخول حتى صدرت الناس كلهم فلم يبقَ احد . فلما رأَت ذلك ام اسكندر حسن عزاؤُها وصبرت وايقنت انهُ السبيل

وجعل فيليمن الوزير جسد اسكندر في تابوت من ذهب اجلالاً لهُ وملأهُ عسلاً وستر الوزير موتهُ وقاد الجيوش والخزائن الى اسكندرية . فلما وصل الى اسكندرية اظهر للناس موت اسكندر واخرج التابوت ووضعهُ في وسط البلاط وامر فيليمن الوزير الحكماء ان يقول كل واحد منهم بديهة تكون للخاصة تعزية وللعامة عظة بايجاز

فقال فيليمن الحكيم هذا يومٌ عظيم العِبَر اقبل من شرهِ ما كان مدبرًا وادبر من خيرهِ ما كان مقبلاً فمن كان باكيًا على من زال ملكهُ فليبكِ

وقال افلاطون الحكيم ايها الساعي المغتصب جمعت ما خذلك وولى عنك فلزمتك اوزارهُ وعاد على غيرك هناؤُهُ

وقال ارسطوطاليس صدر عنا اسكندر ناطقًا وقدم علينا صامتًا

وقال ثاون الحكيم قل لرعية اسكندر هذا يوم ترعى الرعية

راعيها

وقال فيلن هل يعزينا على ملكنا من لم تنلهُ مصيبة فنتعزَّى

وقال آخر هذه الطريق لابد من سلوكها فارغبوا في الباقية كرغبتكم في الفانية

وقال آخر كفى بهذا عُبرة ان الذهب كان بالامس كنزًا لاسكندر فاصبح اسكندر اليوم مكنوزًا في الذهب

وقال آخر سيلحقك من سرهُ موتك كما لحقت من سرك موتهُ

وقال لوطس الفيلسوف لاتعجبوا ممن لم يعظنا في حياتهِ فقد صار بموتهِ لنا واعظًا

وقال مطرن الحكيم قد كنا ايها الشخص بالامس نقدر على الاستماع منك ولا نقدر على القول فهل تسمع الآن ما نقول

وقال سيسينوس الحكيم امات هذا الشخص خلقًا كثيرًا كيلا يموت فمات فكيف لم يدفع عن نفسهِ الموت بالموت

وقال آخر لم يؤدبنا اسكندر بكلامهِ كما ادبنا بسكوتهِ

وقال ديمطر الحكيم يا من كان غضبهُ الموت لِمَ لا غضبت على الموت

وقال آخر خافت حصونك ايها الشخص وامنت حصون خائفيك

وقال آخر ما ازهد اليوم الناس فيك وارغبهم في تابوتك

وقال آخر ما اصدق الموت لاهلهِ غير انهم يكذبون عيونهم ويصمون آذانهم

وقال فليفطن الحكيم ان دنيا تكون هذه اخرتها فالزهد في اولها اولى

وقال آخر ايها الجمع لا تبكوا على من جاز البكاء عنهُ بل فليبكِ كل امرءٍ منكم على نفسهِ

وقال آخر عهدي بك وانت ترغّب نفسك في ارحب البلاد فكيف صبرك الآن على ضيق المكان

وقال آخر ان كان لا يُبكَى على الموت الاَّ عند حدوثهِ فالموت في كل يوم جديد

وقال آخر لقد كنت مغبوطًا فاصبحت مرحومًا ولئن كنت مرتفعًا فقد اصبحت متضعًا

وقال آخر يا هذا الذي كان غضبهُ مرهوبًا وجانبهُ ممنوعًا هلاَّ غضبت ليفرق الموت منك ولِمَ لا امتنعت لتنفي الذل عنك

وقال آخر كفى العامة اسواءً بموت الملوك وكفى الملوك عظمة بموت العامة

وقال آخر ما اتعظ اسكندر بعظة هي ابلغ من وفاتهِ

وقال آخر قد كان صوتك مرهوبًا وملكك عاليًا فاصبح الصوت وقد انقطع والملك وقد اتضع

وقال آخر قد كنت تقدر على الاحسان ولااقدر انا على الكلام فاليوم اقدر انا على الكلام ولاتقدر انت على الاحسان

وقال اخر لئن كنت بالامس لايأمنك احد فلقد اصبحت اليوم لايخافك احد

وقال آخر قد كان الراعي بالامس يهتم بالرعية فاليوم تهتم الرعية بالراعي

وقال آخر قد وصلت الى من كان لهُ قبلك دين ولا بد من اقتضاء ذلك منك فليت شعري كيف صبرك عند اقتضاء الدين والحق منك

وقال آخر لوكان ما بك من الوقار والسكينة فيما خلا مثل الذي بك اليوم لكنت حكيمًا

فلما فرغت الفلاسفة من الكلام قامت زوجة اسكندر دوشنك بنت داريوس ملك العجم وكانت من اعز الناس على اسكندر فوضعت خدها على التابوت وقالت ما كنت احسبك ايها الملك اذ غلبت داريوس ان ملكك يغلب . ثم قالت الفلاسفة ان كان منطقكم في اسكندر هزءًا فقد خلف الكاس التي

شربها لكم كلكم لتشربوها لانها دين عليكم . وان كان تعزيةً وندباً فاستعدوا للجواب وتهيأوا للاعتذار والحجة فان ما ذاقهُ ستذوقونهُ وليكن العمل على قدر القول فانكم غير آمنين. ثم ان ام اسكندر ايضاً خرجت فوضعت خدها على التابوت وقالت قد بلغتم في التعزية والذي كنت احذرهُ على اسكندر قد صار اليهِ فلم يبقَ لنا ملك ولا بقي عليهِ فليكثر في الدنيا زهدكم واعطوا الحق من انفسكم فقد قبلت تعزيتكم وامرت بدفنهِ وملك وهو ابن ست عشرة سنة وكان جملة ملكهِ ست عشرة سنة

ذكر اخبار العبرانيين بعد وفاة اسكندر وما جرى عليهم من ملوك اليونانيين

لما ايقن اسكندر بالموت قسم الملك ان يكون بعدهُ على اربعة من اصحابهِ وهم اصول ملة اليونانيين الذين في ايامهم ساءوا على اليهود وقصدوهم بصنوف المكاره وفنون الاذى الى ان الله عزَّ وجلَّ برحمتهِ خلصهم منهم على ايدي المكابيين الكهنة الغيورين بني حشمناي الذين انتصروا لله فعضدهم على ذلك ووازرهم واعطاهم معونة ورزقهم الظفر على اليونانيين حتى ازالوا عن الامة تسلطهم وتمردهم وخلصوهم من عبوديتهم كما سنذكر ذلك فيما بعد . فمن ملوك اليونانيين الذي ملك بعد اسكندر

رجل يقال لهُ سلفانوس وكان جيدًا فاضلاً. فلما ملك احسن السيرة في اليهود وغيرهم. وكان يحمل الى بيت الله عزَّ وجلَّ في كل سنة مالاً كثيرًا يقسم على الكهنة والفقراء وذوي الحاجة كما كان ملوك اليونانيين الذين قبلهُ يفعلون. قال فمضى اليهِ قوم من اشرار اليهود فقالوا لهُ ان في هيكل الله في اورشليم من الاموال والتحف والجواهر النفيسة ما لا توصف كثرتهُ ولا يحصى عددهُ ولا يليق ان يكون مثل ذلك الاَّ في خزائن الملوك وكرروا مثل هذه الاقوال عليهِ وعظموا قدر ما في بيت الله من الاموال عندهُ ورغبوهُ فيها وسهلوا عليهِ اخذها واكثروا السعاية باليهود والطعن عليهم الى ان اثر ذلك فيهِ فقبل قولهم ووجَّه الى اورشليم رجلاً عظيمًا من اصحابهِ يقال لهُ اروزوس وامرهُ ان يقبض على جميع ما في الهيكل من المال والجواهر ويحملهُ اليهِ فوصل اروزوس الى اورشليم ولم يكن عند اليهود مما امر بهِ الملك علم ولا مخبر فلقيهُ حنينيا الكاهن الاكبر وشيوخ اليهود وسالوهُ عن سبب مجيئهِ فاخبرهم ما امرهُ بهِ الملك سلفانوس فقال لهُ حنينيا الكاهن ليس في الهيكل شيء من المال الاَّ بقية ما كان من ملوك اليونانيين كل عام يحملون اليهِ لينصرف في نفقات الكهنة والفقراء وذوي الحاجة والفاقة وما حملهُ الملك سلفانوس لمثل ذلك حتى

يصلي عليهم في الهيكل ويدعو الى الله تعالى ببقائهم ودوام ملكهم . ثم سالهُ الكاهن الَّا يتعرَّض لشيء منهُ وخوفهُ من الله فلم يقبل ووكل بالقدس رجلاً من اصحابهِ وشاع الخبر في المدينة فقلق الناس واضطربوا وخافوا ان ينتقل من ذلك الى غيرهِ ولما لم يمكنهم ممانعتهُ قصدوا الله بصوم وصلوة وبكاء ولبسوا مسوحًا وتعفروا بالرماد ولم يتخلف احد منهم عن ذلك من حننيا الكاهن الاكبر الى الرؤساء والشيوخ والعوام حتى النساء والصبيان والاطفال . قال فلما كان من الغد جاء اروزوس الى بيت الله عزَّ وجلَّ ومعهُ جماعة من اصحابهِ ليقبض عليهِ . فلما توسط حضن القدس اسمعهُ الله تعالى صوتًا عظيمًا هائلاً قد قيل لهُ فانتزعهُ من سرجهِ وضرب بهِ الارض فسقط مغشيًا عليهِ . فلما شاهد اصحابهُ ما اصابهُ حملوهُ الى منزلهِ وبقي على تلك الحال اياماً عدة لا يتكلم ولا ياكل فاجتمع كبراء اصحابهِ ومضوا الى حننيا الكاهن وسالوهُ ان يصفح عنهُ ويطلب الى الله ان يعافيهُ ففعل حننيا ذلك وعوفي اروزوس وزال عنهُ ما كان حل بهِ . ثم رأى في منامهِ ذلك الشخص الذي كان قد ظهر لهُ في القدس وهو يقول لهُ امضِ الى حننيا الكاهن واشكرهُ فان الله انما عافاك بدعائهِ ففعل ذلك وحمل الى بيت الله اموالاً كثيرة وحمل الى

حننيا الكاهن هدايا جزيلة قيمتها. ثم ارتحل عن اورشليم الى مكدونيا واخبر الملك سلفانوس بخبرهِ وبجميع ما اصابهُ فتعجب الملك وامرهُ ان يحدث الناس بهِ وازداد في اعظام بيت الله وفي ما كان يحمل اليهِ من الاموال كل سنة. فلما سمعت الملوك بخبر اروزوس وما اصابهُ عظم قدر بيت الله عندهم وصاروا منذ ذلك الوقت يجلونهُ ويكثرون توقيرهُ ويحملون اليهِ الاموال والهدايا الفاخرة الجزيلة

ذكر ما امر بهِ بطليموس الملك اليوناني من نقل كتب الشريعة والانبيا من العبراني الى اليوناني ليفهم ذلك قومهُ بلغتهم

كان في ذلك الزمان رجل من اهل مكدونيا يقال لهُ بطليموس وكان محبًا للحكمة عاشقًا العلوم شديد العناية بها كثير الرغبة في تحصيلها وكان مقيمًا بارض مصر فملكهُ المصريون عليهم فلما ملك ازداد تحرقًا على العلوم وكثر شوقهُ اليها وعنى بتحصيل الكتب وطلبها من كل امة ومن كل صقعٍ وبلد. ويقال انهُ لم يترك كتابًا موجودًا الاَّ وحصلهُ عندهُ. ففي يوم من الايام قال لبعض جلسائهِ يقال لهُ ديمتريوس هل يوجد في الاماكن القاصية او الدانية كتاب لم يحوهِ ملكي. فاجابهُ نعم ايها السيد في بلاد اليهود كتب زعم بعض الناس انها منزلة من السموات فتلك ايها

الملك ليس في عندنا . فلما سمع ذلك تاقت نفسهُ اليها واحب الوقوف عليها فكتب الى الكاهن الاكبر في اورشليم في ذلك الوقت المسمى العازر وطلب منهُ ان يرسل اليهِ من علماء اليهود وفقهائهم وحكمائهم سبعين شيخًا وبعث اليهِ بهدية جليلة . فلما وصلت اليهِ الهدية والرسالة اختار من علماء اليهود حينئذٍ وحكمائهم سبعين شيخًا ووجهً بهم الى الملك بطليموس ومعهم رجل من مقدمي الكهنة اسمهُ العازر كان رجلًا جليلًا في قومهِ فيلسوفًا في علمهِ يزيد في حكمتهِ عمن سواهُ من اهل ملتهِ ومع ذلك كان ديّنًا كاملًا فضلهُ . فلما علم بطليموس بخروجهم من اورشليم امر بان يخلى لهم سبعون منزلًا فلما وصلوا الى مصر امر باستقبالهم بالجميل والترحيب واكرمهم كما يجب لنظرائهم من اهل الفضل . وبعد ايام وهم في غاية الاكرام امر ان ينزل كل رجل منهم في منزل منفردًا لا يلتقي احد منهم مع صاحبهِ . وانما فعل ذلك لزيادة تحريزهِ وكثرة حذرهِ لئلًا يجتمع احدهم مع رفيقهِ فيتفقوا على تغيير شيءٍ من الكتب التي ينقلونها . ثم امر بان يجعل مع كل رجل منهم كاتب من الحذاق في اللغة اليونانية فيكتب عنهُ ما يترجمهُ من اللغة العبرانية الى اللغة اليونانية الى ان ينقل كل واحد منهم كل الكتب باللسان اليوناني واقسم انهُ اذا وجد في نسخة واحدٍ منهم شيئًا من

الاختلاف او التصحيف او زيادةً او نقصاً يعدمهم الحيوة باشد العذاب فلما علموا رايهُ وفهموا قصدهُ وتحققوا كثرة تشديدهِ في ما اعتمدهُ شرع كلٌّ منهم بغاية التحرير فيما بيدهِ واكمل التحقيق واوكدهِ فلما كملت النسخ وهي سبعون نسخة واحضرها الشيخ العازر الكاهن الى الملك بطليموس امران تقابل على النسخة التي نقلوا منها فقوبلت جميعها وكانت النسخ كلها متفقة لم تختلف في شيء محررةً في غاية الصحة فابتهج الملك حينئذٍ بذلك وسرَّ سروراً عظيماً وشكر للشيخ العازر واصحابهِ وامرلهم بمال كثير وامر لالعازر بجائزة جليلة واطلق جميع من كان بمصر اسيراً من سبي اليهود وامرلهم بمال جزيل واذن لهم بالرجوع الى بلادهم . وامر ان يعمل مائدة عظيمة من ذهب خالص محكمة الصنعة وان يُصوَّر عليها صورة ارض مصر كلها وصورة النيل وكيف يسير فيها حتى يسقي ضياعها جميعاً وصُنعت المائدة باحسن صنعة ورُصّعت بجواهر كريمة نفيسة ثمينة فلما كملت امر بحملها الى القدس هدية لبيت الله عزَّ وجلَّ فحملت اليهِ وكانت فيهِ ولم ترَ

الناس مثلها في حسنها وكمالها واتقان

صنعتها وتزخرفها

الفاخر

الفصل الثاني

ملك انتيوخوس المكدوني اليوناني وما جرى على اليهود في ايام ملكهِ

كان من ملوك اليونانيين ملكٌ يقال لهُ انتيوخوس وكان مقيمًا بمكدونيا . فلما مات بطليموس الذي كان ملكًا على مصر غلب انتيوخوس على مصر . ثم قوي امرهُ وعظم شانهُ حتى استولى على كثير من الامم واطاعتهُ ملوك فارس وغيرهم من الملوك فداخلهُ العجب والكبرياء وطغى وتجبر وامر بان تعمل الاصنام على صورتهِ ووجَّه بها الى جميع مملكتهِ وامر الناس بعبادتها والسجود لها . فاجابتهُ الامم كلها الى ذلك اما اليهود فامتنعوا من ذلك ولم يقبلوهُ . وظهر في ذلك الوقت على اورشليم في جوّ السماء صورة ركبان من نار على خيول من نار تقاتل بعضها بعضاً . وكان ذلك يرى في جو السماء على اورشليم اربعين يومًا . وكان في المدينة ثلثة

رجال من الكهنة اشرار عصاة اسم احدهم ميالس والثاني شمعون والثالث الفيموس وكان لكل واحد منهم رهط كثير واصحاب من اهل الشر فمضى هولاء الى الملك انتيوخوس وسعوا باليهود وكذبوا عليهم وقالوا عنهم انهم يبغضونهُ ويعادونهُ وانهم قد اجتمعوا وتألفوا على عصيانهِ والامتناع من طاعتهِ والقبول لامرهِ لما ظهر في السماء على اورشليم وزعموا انهم راوا ركبان نار تدل على حرب وقد سرهم ذلك وقالوا ان هذه علامات تدل على موت انتيوخوس واراد هولاء الثلثة السعاية باليهود عند انتيوخوس لكي يتقربوا بذلك اليهِ ويجدوا حظوة لديهِ فيتملكوا ما يريدون من الشر بهلاك امة اليهود فقبل انتيوخوس قولهم واشتد غضبهُ على اليهود وسار الى اورشليم بعسكر عظيم فوصل الى المدينة وليس عند اليهود خبر منهُ ولا علم فقتل منهم خلقاً كثيرًا وسبي خلقاً عظيماً وهرب من بقي منهم الى البلاد والبراري والجبال فاقاموا فيها . ثم ارتحل انتيوخوس راجعاً الى بلادهِ وخلف على اورشليم رجلاً من اصحابهِ يقال لهُ فيلكس وامرهُ ان يطالب اليهود بالسجود لاصنامهِ ويأمرهم باكل لحم الخنزير ويمنعهم من الختان ومن حفظ السبت وان يقتل كل من خالف امرهُ ويحسن الى كل من اطاعهُ. ففعل فيلكس كما امرهُ انيتوخوس وطالب اليهود بذلك

فامتنعوا منهُ . فقتل منهم خلقاً كثيراً واحسن الى اولئك القوم الاشرار والى من تشبه بهم في طاعتهِ وقبول امرهِ ورفع منزلتهم فانبسطت يدهم على الناس وعظم شرهم وكانوا على اليهود اضر من كل احد وسبباً لكل ما جرى عليهم من المكروه . وفي ذلك الزمان وجد فيلكس امرأتين قد ختنتا ولدين لهما في السر فامر ان يُعلَّق الطفلان على ثدييها . ثم ترميان من مكانٍ عالٍ فرميتا وماتتا كلتاهما واولادهما

ووشى قوم من الاشرار الى فيلكس بالعازر الكاهن وهو الذي كان مضى الى بطليموس ملك مصر مع الحكماء المشايخ السبعين المتقدّم ذكرهم فامر فيلكس باحضار العازر وكان قد شاخ وكبر وبلغ من عمرهِ تسعين سنة . فلما حضر قال لهُ يا العازر انت رجلٌ عاقل وحكيم وقد علمت انهُ كان بيني وبينك مودة قديمة . وانا اشفق عليك ولا اريد قتلك فاقبل امر الملك واسجد لصورتهِ وكُلْ من قربانهِ كي تنجو من الموت فقال لهُ العازر لا كان لي ان اذعن طائعاً لامر فيهِ معصية الله الخالق . ولا يجوز لي ان ارضي ملكاً ايضاً واغضب رب الخلائق . فقال لهُ فيلكس فان كنت لا ترى فعل ما امر بهِ الملك فانفذ الى بيتك سرًّا من يجيء لك بلحم من ذبيحتك التي منها تاكل انت وخواصك

واجعل ذلك على مائدتي وكُلْ منها حين آمرك ان تاكل من قربان الملك. فاذا فعلت هذا واكلت بحضرة الناس تكون كانك قد اكلت من قربان الملك واطعت امرهُ قدام الناس ولم تخالفهُ فتسلم من العطب وتنجو من القتل ولا ينالك نقص في مذهبك ولا مضرة في ديانتك فقال لهُ العازر ليس يجمل بي وانا شيخ كبير مقدم في قومي ان تكون طاعتي لله سبحانهُ بضرب من الحيلة والمكر ولا ينبغي لي ان اظهر المعصية لله واخفي طاعتهُ فاكون قد خدعت قومي واضعفت قلوبهم ونياتهم والاولى بي ان اصبر على المكروه في طاعة الله والتمسك بدينهِ حتى تتشبه بي الشباب من قومي ولا يرون اني قد تركت الله وعبادتهُ البهية وقد كنت آمرهم بحفظها واحضهم على ذلك واحذّرهم عن مخالفتهِ واصدهم وانهاهم عن مجانبتهِ فيقولون اذا كان هذا الشيخ الكبير مع علمهِ ومعرفتهِ بقرب الموت منهُ قد استدفع المكروه عن نفسهِ بمعصية الله عزَّ وجلَّ ورغب في الحيوة. فنحن معشر الشباب اولى بهذا منهُ وعذرنا واضح في التشبه بهِ لانهُ شيخنا ومقدامنا ونحن نقتدي بهِ ونتعلم منهُ فاكون والعياذ بالله سبباً لضلالهم وعلة لخروجهم عن حسن معتقدهم وجميل تدينهم واذا انا قضيت ما عليَّ من الدين وشربت كاس الموت المحتوم في طاعة الله مجاهداً عن الحق فقد فويت عزمهم على

حفظ دين الله عزّ وجلّ والتمسك بتقواهُ والصبر على ما ينالهم من المكروه فالموت فيهِ خيرلي من ان اعيش وقد صرفت قلوبهم عن طاعة ربهم وسهلت عليهم معصية خالقهم وترك دينهم. وهب اني اليوم خلصت ناجيًا من عقوبتك بطاعة مولاك فكيف اهرب من عقوبة الله خالق السموات الذي سلطانهُ على الاحياء والاموات ذاك الذي اليهِ المعاد والمصير وليس من عقابهِ محيص ولا منقذ ولا نصير. فغضب فيلكس من كلام العازر وامر بهِ فعُذّب عذابًا شديدًا وهو صابر ثابت فلما اجهدهُ العذاب وضعف رفع عينيهِ الى السماء. ثم قال اللهمَّ ربنا انك انت عالم اني كنت اقدر ان ادفع عن نفسي هذا العذاب الشديد بقبول ما امر بهِ انتيوخوس العنيد واني لم افعل ذلك بل اثرت طاعتك وتمسكت بدينك وعبادتك واستسهلت المكاره القادحة تعلقًا بحبك وانا الآن صابر مستقل بكلما ينالني في رضاك ومحبتك بجهدي وطاقتي فاسالك يا رب ان تقبل ذلك مني وان تقبض مني روحي قبل ان اضعف عن الصبر فلا آمن من الزلل فاجعلني ايها الرب فداء لهذه الامة فاستجاب الله دعاءهُ ونقلهُ اليهِ فقضى ما عليهِ وقد خلف قومهُ وذوى ديانتهِ متشددي العزائم متشجعين على المهاول في العظائم كصبرهِ في حفظ ديانتهِ الحسنة وتجلدهِ على المؤلمات الى الممات

ذكر خبر السبعة الاخوة اولاد اشمونية الذين قتلهم انتيوخوس الملك المارد المعاند

ثم سُعِيَ الى فيلكس بسبعة اخوة من اليهود فامر بالقبض عليهم ووجَّه بهم الى انتيوخوس لانهُ لم يكن رحل عن اورشليم الى ذلك الوقت فلما وصلوا اليهِ امر باحضار اكبرهم فلما مثل بين يديهِ امرهُ بترك ديانتهِ وقبول ما قد امر الناس بهِ من السجود لصورتهِ وتسميتهِ الهًا وذلك ان هذا العنيد المتجبر رأَى رايًا بمقتهِ الله يشتمل على نفاق يزيد على من تقدمهُ من ملوك الارض فامر ان تُعمَل اصنامًا على اسمهِ ويُنقَش على كل درهم ودينار صورتهُ مسميًا نفسهُ الهًا وبنى المدينة المسماة باسمهِ وهي انطاكية الشام على نهر العاصي وانشأَ فيها بنايات تذكرة لهُ ولقبها مدينة الاله وقد يسميها قوم الى هذه الغاية بهذا الاسم لجهلهم وقلة درايتهم بالاخبار الاصلية فهذا المارد طلب الشاب المتقدم في السبعة وكان يسمى افغيم بان يسجد لتماثيلهِ ويأكل من ضحاياهُ فدحض امرهُ وردَّ عليهِ قائلاً ايها الملك انما تجب علينا طاعتك ان امرتنا بما ليس فيهِ مخالفة لشريعتنا. واما ما لا يجوز لنا فعلهُ فلسنا من الطائعين ولا لديانتنا من المضيعين وذلك انَّا لسنا نعرف سوى التمذهب بدين الله عزَّ وجلَّ وما تقلدناهُ من نبيهِ موسى ولا نسجد لما ليس هو باله

عند ذلك احتد انتيوخوس وتزايد غضبهُ وأمر باحضار قدر كبير من نحاس وان يجعل على النار فلما حميت امر ان تُقطَع يداهُ ورجلاهُ ولسانهُ وان يُسلخ جلدهُ ووجههُ وراسهُ ثم يلقي جسدهُ بالقدر. فلما صار ما امر بهِ ذلك العنيد فعلاً وقارب انفغم الموت امر بازالة النار من تحت القدر ليطول عذابهُ فبقي كذلك الى ان مات. وانما اراد بذلك تخويف امهِ واخوتهِ فما زادهم ذلك الاَّ شجاعةً وتشديدًا وقوةً منهُ وتأييدًا الى ان استظهروا على المتجبر العنيد

ثم احضروا الثاني وكان اسمهُ انطونيوس فقال لهُ الامراء والقواد وجلساء انتيوخوس اقبل ما يامرك بهِ الملك لئلاَّ تهلك كما هلك اخوك فقال ما انا باضعف قوة من اخي ولا اخي اشد مني تمسكًا بالديانة الحسنة فاصنعوا بي ما شئتم ولا تنقصوني شيئًا مما صنعتم باخي. ثم اقبل على انتيوخوس وقال اعلم ايها الغاشم القاسي الظالم انك ان كنت قد سُلطت على اجسادنا فليس لك على ارواحنا سلطان وان عقوبتك لنا تنقضي والذي نصير اليهِ من ثواب الله يبقى ويدوم. فاصنع بنا ما تريد فامر بهِ الملك فقُتِل

ثم احضروا الثالث وكان اسمهُ عوزيا فقال للملك من غير خوفٍ ولاجزع لاتهوّل علينا يا عدوّ الله بعقوباتك ولاتظن

انك قدرت على ما فعلتهُ بنا بقدرتك وسلطانك وانما ذلك أمرٌ حكم الله بهِ علينا ليظهر طاعتنا لهُ وتمسكنا بشريعتهِ وقد قبلنا حكم الله ورضاهُ وصبرنا عليهِ ومنهُ نرجو حسن الجزاء وجزيل الثواب والاجر فتعجب الملك ومَن بحضرتهِ من شجاعة الفتى وقوة قلبهِ وجودة كلامهِ . ثم امر بهِ فقُتِل

وامر فاحضروا الرابع وكان اسمهُ اليعازر فقال على دين الله نبذل انفسنا ومنهُ ناخذ اجرنا في الوقت الذي لا يكون لك فيهِ حجة بين يدي الله ولا مهرب من عذابهِ فامر بهِ فقُتِل

ثم احضروا الخامس وكان اسمهُ افسافونا فلما أُحضِر قال لا تظن يا انتيوخوس ان الله قد طرحنا اذ سلطك علينا وابتلانا بهذا البلا فانهُ انما ادبنا بذلك ليعوضنا كرامة الآخرة الدائمة والثواب الباقي وذلك لشقائك وبلائك وسوف يجازيك الله بظلمك ويستوفي لنا منك الطائلة الواجبة ومن ذريتك فامر فعُذِّب بآلة التلوية وشرب كاس المنون بفنون من العقابات

ثم احضر السادس وكان اسمهُ افيفس فحضر وجعل يقول اما انا فاني مقرٌّ بذنبي معترف لله بجرمي راجيًا منهُ العفو عنها بقبول طاعتهِ وحفظي لدينهِ . واما انت يا انتيوخوس فقد عاديت الله بقتل عبيدهِ ومحاولتك ابطال دينهِ وتعطيل فرائض شريعتهِ

وسيجازيك ويستاصلك من عالمهِ فامر بهِ فعُوقِب بتجريد المفاصل ونقطيع الاوصال بارهف الحديد الى ان اطلق نسمتهُ

ثم أُحضِر السابع وكان اسمهُ مركلس فحضر وكان اصغرهم سناً وجاءت امهم فوقفت تنظر الى اجساد بنيها بغير رعب ولا ذعر ولا قلق ولا اضطراب وهم مطروحون على الارض . ثم قالت يا اولادي اني وان كنت امكم التي ولدتكم وربيتكم وكنت اشفق الناس عليكم فما زلت متحققة باليقين الصادق اني لااملك شيئاً من امركم وذلك لما حبلت بواحدٍ فواحدٍ منكم لم اكن اعلم ما كان في احشائي ولا استطعت ان ابث فيهِ روحاً ولا ازيد في خلقتهِ ولا اغير صورتهُ ولا اخرجهُ الى الدنيا في غير وقت خروجهِ . وانما ذلك كلهُ فعل الله الجابل على انفراد الاجسام . ومسكّن فيها النفوس والعقول والافهام . فهو خالق منكم الاجساد والارواح ومصوركم بقدرتهِ كما شاء واخرجكم الى الدنيا ووهب لكم العقل وصانكم من الآفات وحفظكم من عدة ميتات وقد امركم بحفظ دينهِ وشرائعهِ وجعل لكم في دار الدنيا وقتاً كارادتهِ كما حدّدت مشيئتهُ . ثم امر بخروجكم منها على الوجه الذي شاء واختار اذ كانت ارادتهُ ان يمتحن طاعتكم لهُ ويحفظكم لهُ بما يظهر من صبركم وتجلدكم على ما ابتلاكم بهِ من المكروه واحتمالكم لكل ذلك

في مرضاتهِ وانا بذلك راضية بكلما اختارهُ الله لكم وقابلة لما حكم بهِ عليكم لانهُ خالقكم وما لكم دوني انا . وهو بمصالحكم اعلم مني . وما سررت منذ يوم ولدتكم مثل سروري بكم يومي هذا لما بذلتم لله انفسكم واجسادكم التي صنعها وارواحكم التي خلقها وصبرتم على المكروه والشدائد والبلا العظيم في حفظ مراسمهِ وصيانة امرهِ حتى خرجتم من الدنيا ولم تعصوا فرائضهُ ولا فارقتم دينهُ ولا اطعتم عدوهُ فطوباكم وهنيئًا لكم فلقد سعدتم بما بهِ ظفرتم من الغبطة والكرامة وما قد فزتم بهِ من الخير والسعادة

قال فكان لما رأى انتيوخوس المرأة قد جاءت مع ابنها الصغير توهم انها عجزت من اجل اولادها الذين ذُبحوا وانها قد شفقت على ابنها المتبقي من القتل وظن انها ستامر ابنها بطاعتهِ ليسلم من الموت فلما سمع كلامها زال ما كان يظنهُ ورأى ان يلطف بالصبي ويداريهُ لعلهُ يقبل امرهُ ولا تتم مخالفتهُ بجميع الاخوة فيكون ذلك عارا عليهِ ويتشبه بهم غيرهم فاستدعى المرأة والغلام وابتدأ اولاً يلطف بهِ بالترغيب ويهول عليهِ بالترهيب فلم يقبل منهُ ولا حفل بكلامهِ ولا انحنى لملاطفتهِ وتمليقاتهِ ذات الخداع فاقبل حينئذٍ على الام قائلاً ايتها المرأة السعيدة ارحمي ولدكِ الذي لم يبقَ لكِ سواهُ والطفي بهِ لكي يقبل امري فيسلم ناجيًا ولا يهلك

كما هلكت اخوتهُ فان بقاء واحد من اولادك اصلح من هلاك جميعهم فقالت لهُ المرأة سلموهُ اليَّ حتى اخلو بهِ واخاطبهُ في ذلك فلما خلت بهِ قبّلتهُ . ثم قالت لهُ قد علمت يا ابني اني اوفر شفقة عليك من كل احد واصلح لك وانا حقي يلزمك لاني حملتك وارضعتك وربيتك وعلمتك شريعة الله ودينهُ فان كنت لاتطيعني مع وجوب حقي عليك ومعرفتك بنصحي لك فانظر الى السماء والارض واذكر الله جابلها وخالق جميع الاشياء بقدرتهِ الذي صنع الانسان من بشر ضعيف وامرهُ بطاعته وقبول امرهِ ونهاهُ عن معصيتهِ وجعل بقاءهُ في هذه الدنيا مدة قليلة ثم يصير اليهِ فيجازيهِ بما عمل من خير وشر فانا اقسم عليك يا ولدي بالله الحي الذي لايموت ان تخطر ببالك المصير اليهِ وتذكر الوقوف بين يديهِ ولاتخف من هذا الضال المضل المخدع الخداع ولايدخل عليك شيءٌ من وعيدهِ ولا من وعدهِ وتمسك بطاعة الله ومت عن ديانتهِ كما اختار اخوتك لنفوسهم لانك لو رأيت يا ولدي ما صاروا اليهِ من الخير والسعادة لم تصبر عن اللحاق بهم ساعة واحدة . فلما فرغت المرأة من كلامها ووصت ابنها استدعاهُ انتيوخوس وقد ظن انها قد امرتهُ بطاعتهِ والاذعان لما يوعز بهِ . فقال لهُ هل قبلت ما امرتك بهِ امك من الرضوخ لامري والطاعة

لاشارتي . فقال الصبي للملك اني طائع لله وحدهُ لا لما تامرانت
بهِ يا انتيوخوس ولست اعبد ولا اسجد لاله آخر سوى الخالق
الحقيقي ذاك هو الصانع كل نسمة فاصنع ما امرت ولا تؤخرني
عن اللحاق باخوتي واعلم يا انتيوخوس انك قد احسنت الينا من
حيث تظن انك قد اسات بنا بل قد اسأت الى ذاتك. وان كنت
تستشعر انك قد احسنت فكلما فعلتهُ بنا لنا عنهُ جزيل الثواب
وجميل المآب والغبطة الدائمة والسعادة المقيمة . واما انت
فمصيرك لاجل ظلمك وطغيانك الى العذاب الشديد والعقاب
المديد والبلاء المتصل العظيم حيث لا ينفعك سلطانك
ولا ينجيك ملكك من حكم الله ونحن نرجو ونتيقن ان سخط الله على
امتهِ سيزول بحفظها لديانتهِ وصبرها على جميع المكروه في طاعتهِ
فان الرب الهنا سيحل عليك بالعقوبة في الدنيا قبل ان تصير اليهِ
من عقاب الآخرة ولتموتنَّ باردأ الميتات فغضب حينئذٍ انتيوخوس
غضبًا شديدًا وامر فعُذِّب باشد من عذاب اخوتهِ كلهم الى ان
مات . ثم ان امهم سالت الله عزَّ وجلَّ ان يقبل نفسها فماتت
وذلك انها لما شاهدت اعضاء بنيها متفرقة طرحت ذاتها في
النار المضطرمة ولم تنتظر ان تطرحها يد انسان فعلى هذه الجهة
استكمل هولاء حياتهم ونالوا الظفر وحصلوا الغلبة لما جعلوا الفكر

منهم ملكًا على تاثير الاعراض وسيدًا مستوليًا فتكللوا باكاليل الصبر[1]

ثم ان انتيوخوس رحل عن اورشليم راجعًا الى بلادهِ بعدما استخلف صاحبًا لهُ يقال لهُ فيلكس على بلد اليهودية ونقدم اليهِ والي جميع عمَّا لهِ المتولين اعما لهُ ان لا يبقوا على احد من اليهود الاَّ من قبل امر الملك ولم يخالفهُ ففعل اصحاب انتيوخوس كما امرهم واكثروا من قتل اليهود فاهلكوا من الامة خلقًا كثيرًا

ذكر خروج متثيا بن يوحانان الكاهن المكابي من بني حشمناي وهو اول من قام من المكابيين وانتصر لليهود من اليونانيين وولِّي امرهم

ان متثيا بن يوحانان كان رجلًا صالحًا وكان شجاعًا جبارًا وكان قد هرب الى بعض الجبال فاقام هنا ك ومعهُ جماعة من

١ فيجب اذًا ان نفحص باحثين وطالبين اذا ما ميزنا احوال هولاء الفتاك ان نعجب من صبرهم انهم لم يكن لهم في مثل هذا الفضل والجهاد مقدمات تقدمتهم ولا مثالات مثل هذه ينحون اليها سبقتهم الا ان بلد اليهودية باسرهِ تعجب من جلدهم وصبرهم وجذل بذلك جذل من تصوَّر ان الظفر ظفرهُ والتاج تاج غلبتهِ لانهم كانوا وهين ولهذا ما لحقهم مثلهُ قط من شدائد احدقت بالمدينة وكان عندهم انها في ذلك اليوم لا تخلو من احدى خلتين اما ان ينهدم ناموسها واما ان تفوز بالظفر فكانت الامور حينئذٍ لامة العبرانيين كلها واقفة من جهاد هولاء على حدّي شفرتين واغتبط ايضًا انتيوخوس لما كان منهم ونقل الوعيد الى الاعجاب بهم لان العدو ربما راى فضل عدوهُ واعجبهُ وشغف بهِ وذلك ان الغيظ اذا زال لم يبقِ للعقل شيئًا يسترهُ فينكشف اذا مُيّز

اليهود . فلما رأى ما جرى على قومهِ من اليونانيين عظم عليهِ ذلك واشتد غمهُ وحزنهُ وقلقهُ وغار لله ولدينهِ ولقدسهِ ولامتهِ . فلما بعد انتيوخوس عن اورشليم وجَّه متثيا بابنهِ يهوذا في السر الى مدن اليهودية ومواضعهم يعرفهم سلامتهُ وسلامة من معهُ ويخبرهم بما عندهُ من الغم والحزن ويامرهم بالحمية لله وان يتأيدوا ويقووا عزمهم ويتعصبوا لدينهِ وشريعتهِ واستنهض منهم قوماً ممن كان فيهِ باس وقوة وغيرة للدين فاجتمع اليهِ رجال كثيرون فكلمهم متثيا واعلمهم بما يجب عليهم من الانتصار لله ولدينهِ والمحاماة لامتهِ ولقدسهِ وبذل النفس في مجاهدة الاعداء ومعاضدة الحق فقويت قلوبهم بكلامهِ وعملوا على محاربة اليونانيين ومخالفتهم فلما اتصل ذلك لفيلكس والقواد الذين معهُ غضبوا من ذلك وساروا الى متثيا واصحابهِ ليهلكوهم فلما صاروا في بعض الطريق بلغهم ان بعض اليهود في مغارة قد اختفوا فيها فجاء فيلكس الى المغارة وامر القواد الذين معهُ ان يمضوا مع العسكر الى متثيا ومضى هو مع بعض اصحابهِ الى المغارة وطالب القوم بالخروج اليهِ وكان يوم سبت فلم يخرجوا لانهم لم يريدوا ان يحلوا السبت وامتنعوا من ذلك فامر ان يجمع حطباً على فم المغارة ثم اطلق فيهِ النار فهلك جميع مَن في المغارة بالدخان وكانوا الف نفس من الرجال والنساء

والصبيان. ولما وصل الرجال القواد مع العساكر الى متثيا وجدوهُ مع من عندهُ مستعدين للحرب فتقدم اليهِ بعض القواد يخاطبهُ بملاطفةٍ ولينٍ ويدعوهُ الى طاعة الملك انتيوخوس وقبول مراسمهِ ويخوفهُ من القتل ان خالفهُ وكان متثيا يجيبهُ بالامتناع . فلما طال بينهما الكلام وثب رجل من اشرار اليهود الذين مع اليونانيين فقال للقواد اني لاعجب من اشتغالكم بمخاطبة متثيا وتاخركم عما امر بهِ الملك في من خالفهُ . ثم ان ذلك اليهودي اخذ خنزيرًا وقربهُ على مذبح قد بناهُ اليونانيون في عسكرهم لاصنام الملك وتماثيلهِ التي كان يلزم غيرهُ بعبادتها . واراد بذلك ان يغيظ متثيا واصحابهُ فلما شاهد متثيا ذلك تداخلتهُ حمية شديدة وغضب لله ولدينهِ ووثب الى ذلك اليهودي فضربهُ بالسيف ضربة رمى بها راسهُ عن جثتهِ على ذلك المذبح . ثم ضرب القايد الذي كان يخاطبهُ فقدهُ اثنين فلما رأى اصحاب متثيا ذلك تشجعوا وتشددت عزيمتهم واجتمعوا كلهم وهجموا على عسكر اليونانيين فنصرهم الله عليهم فقتلوا منهم كثيرين وهرب الباقون فتبعهم متثيا واصحابهُ فقتلوهم واظهر متثيا ومن معهُ الخلاف على اليونانيين وسمع بقايا اليهود المختفين بخبرهِ فاجتمع اليهِ عدد كثير وعملوا على محاربة اليونانيين ومقارعتهم

ثم حضرت وفاة متثيا فاستدعى اولاده وكانوا خمسة فقال لهم يا بنيَّ قد رايتم معونة الله عزَّ وجلَّ لنا لما توجهنا اليهِ بقلوبنا وسألناهُ والتجأنا اليهِ وطلبنا منهُ المعونة في نصرة دينهِ ومجاهدة اعدائهِ ولابد من ان يثور في بلد اليهودية بسبب ذلك حروب عظيمة وتهيج قتالات كثيرة وانا اوصيكم بطاعة الله عزَّ وجلَّ والانتصار لدينهِ وامتهِ فابذلوا مهجكم في مجاهدة اعداء ديانتكم ولاتخافوا فانكم ان فاتتكم الحيوة وقتلتم في مجاهدة الاضداد ومكافحة الكفار ونصرة الحق لحقتم بابائكم الابرار الذين صاروا الى ثواب الله وكرامتهِ . وان ظفرتم فقد اسعدكم الله في الدنيا والآخرة بما اجراهُ الله تعالى على ايديكم من نصر دينهِ واغاثة امتهِ وهلاك اعدائهِ . ثم توفي متثيا ووُلّي الامر بعدهُ يهوذا ابنهُ

اخبار يهوذا بن متثيا وهو الثاني من المكابيين بني حشمناي

ولما استكمل متثيا حياتهُ قبل بنوهُ وصيتهُ وقدموا عليهم اخاهم يهوذا واستعدُّوا متهيئين لمحاربة اليونانيين فلما بلغ فيلكس صاحب انتيوخوس خبرهم وجَّه اليهم بعسكرهِ فهزموهُ وقوي يهوذا وشاع خبرهُ وبلغ انتيوخوس الملك كل ما فعلهُ متثيا ويهوذا ابنهُ وبلغهُ ايضًا ان الفرس قد عصوهُ فغضب وسار الى الفرس وحاربهم واستخلف ابنهُ افطر في مكدونية وجعل معهُ رجلًا من

عظماءِ اهل بيتهِ يقال لهُ ليشاوس وردَّ اليهِ نفرًا من اهل مملكتهِ وامرهُ ان يوجّه الى اليهود عسكرًا قويًا ويأمرهُ باستئصالهم . فقبل ليشاوس ما امرهُ بهِ انتيوخوس ووجّه الى اليهود ثلثة قواد من عظماء اليونانيين اسم احدهم نيكانور واسم الثاني تلمياس والثالث هيرودس ووجَّه معهم ثلثة عساكر قوية وامرهم بابادة اليهود . فسارت القواد في عساكرهم وانضاف اليهم كثير من اهل بلد الشام ومن سكان بلد فلسطين وتبعتهم تجار كثيرون ليشتروا ما يحصل لهم من سبي اليهود وغنيمة يتوقعونها منهم. فلما اتصل خبرهم بيهوذا بن متثيا واشياخ اليهود وعرفائهم اجتمعوا الى بيت الله وامروا جميع الناس وانذروهم بالصوم والصلوة فصاموا وصلوا وتعفروا بالرماد وضجوا الى الله وسألوهُ طالبين ان ينصرهم على اعدائهم ويكفيهم امرهم . ثم جمع يهوذا اصحابهُ ورتبهم وجعل على كل الفٍ مقدّمًا وعلى كل مئة رئيسًا وكذلك على كل خمسين وعلى كل عشرة ثم نادى فيهم بان يرجع كل جبان القلب فرجع منهم بعضهم وبقي نحو سبعة آلاف رجل جبابرة صناديد فسار بهم الى عسكر اليونانيين فلما اشرف عليهم ورأى كثرتهم انفرد عن اصحابهِ والقى على الارض ذاتهُ قدام الله وقال ايها الرب العظيم انت الذي لم يزل سلطانك ولا يزول وانت القادر على ان تنصر من تشاء

اسألك ان تعين عبيدك الضعفاء وتهب لنا نصرًا على الاعداء وتخلصنا منهم . فلما فرغ يهوذا من دعائهِ امر الكهنة بان يضربوا بابواق القدس وامر اصحابهُ فصاحوا صياحًا مفرطًا . ثم حملوا على عسكر نيكانور فنصرهم الله عليهم فهزموهم واباذوا كثيرًا منهم قتلاً وهرب من تبقى منهم فتبعهم يهوذا واصحابهُ فقتلوهم وغنموا كل ما كان معهم وسلبوا اموال التجار الذين كانوا قد تبعوهم لشراء سبي اليهود كما ظنوا وقدَّروا فعكس الله ظنونهم واما يهوذا فقسم جميع الغنيمة واعطى الفقراء والمساكين ولما فرغ يهوذا من هلاك عسكر نيكانور لقي عسكر تلمياس وهيرودس فقتلهم ايضًا وكان معهم فيلكس الذي كان استخلفهُ انتيوخوس على بلاد اليهود فهرب الى قريةٍ ودخل الى بيتٍ فيها واغلق بابهُ فجاء يهوذا واحرق البيت بالنار فاحترق فيلكس وعجل الله عليهِ ببعض ما يستحقهُ من العقوبة بما فعلهُ مع العازر الكاهن وغيرهِ ممن قتلهُ من اليهود . واما نيكانور فهرب متنكرًا وعاد الى مكدونية واخبر ليشاوس ما اصابهُ وما اصاب اصحابهُ

قال صاحب الكتاب ان اليونانيين كانوا غلبوا اليهود في ابتداء هذه الحرب وقتلوا جماعة من بني حشمناي الكهنة اصحاب يهوذا . ثم ترأَّف الله بجنوده على يهوذا وذويهِ ورزقهم الظفر على

اليونانيين فهزموهم . فلما انقضت الحرب عاد اليهود الى دفن من قُتِل منهم فوجدوا مع بعض مَن قتل من القوم من بني حشمناي اوثانًا قد اخذوها واخفوها تحت ثيابهم رغبةً في ما عليها من الذهب والفضة فلما نظرها يهوذا علم حينئذٍ ان هذا كان السبب في تمكُّن اعدائهم منهم حتى قتلوهم وغلبوهم. وعند ذلك سبح يهوذا الله قائلاً مبارك هو الهنا عالم السرائر الذي اظهر السر وكشفهُ لعبيدهِ ليعتبروا بهِ ويحذروا من معصية الله . ثم وعظ يهوذا اصحابهُ وتقدم اليهم بدحض الرذائل المختصة بالامم وازالة كل ما يكرههُ الرب وامرهم بطاعة الله عزَّ وجلَّ وان تكون عبادتهم بطهارة واخلاص وحذرهم من الخطايا والمعاصي بمبالغةٍ ونَدَب القوم المقتولين لما فهم سبب تخلية الله عنهم وكان مغمومًا بسببهم . ولما ظفر الظفر المشهور واباد الله امام عينيهِ نيكانور عاد الى اورشليم مؤيدًا منصورًا فتلقاهُ اهل اورشليم بالطرب والابتهاج والسرور

ذكر موت انتيوخوس وما صبَّ الله عليهِ من اللواذع والمناخز

واما انتيوخوس فلما توجه الى محاربة العجم تلقوهُ بعسكر عظيم فظفرهم الله بهِ فانهزم وعاد مقهورًا طالبًا بلادهُ منكوبًا فبلغهُ فعل اليهود باصحابهِ فشقَّ عليهِ ذلك واشتد غضبهُ على اليهود

وتكلم بما عظم من الكفر والفرية والتجديف على ديانة الله واظهر التكبر والتيه والتجبر. ثم سار في عسكر عظيم قاصدًا اليهود ليهلكهم فاطلع الله تعالى على سوء نيتهِ فاذن بهلاكهِ لتخلص منهُ امتهُ وضربهُ بقرحةٍ عظيمة في جسدهِ ومرض شديد فلم يعتبر ولا توقف عن الجدّ في المسير نحو اليهود وكان مرضهُ يزيد كل يوم ويعظم الى ان نتنت قروحهُ وزاد نتنها حتى تاذَّى بروائحها الكريهة هو نفسهُ وكل المقربين اليهِ وجميع اللائذين بهِ من اصحابهِ وخواصهِ وخدامهِ فلما اشتد مرضهُ وعظم بلاؤهُ وتعذَّر عليهِ شفاء دائهِ ولم ينفعهُ دواءٌ ولا طبيب ايقن ان ذلك من الله عزَّ وجلَّ وانها عقوبة لهُ على كفرهِ وطغيانهِ وظلمهِ فخضع حينئذٍ لله وذل واعترف بنقصهِ وجهلهِ واقرَّ بذنبهِ ووزرهِ لله وتيقن قدرة الله تعالى جل ذكرهُ وعظمتهُ وربوبيتهُ. وقال لقد كنت في ضلال عظيم وخداع جسيم وطغيان ذميم واما الآن فقد ايقنت ان الله هو الاله الحق القادر على ان يضع من ترفع ويذلّ من تكبر. وقد علمت اني مستحق لما نزل بي ومستوجب لسخط الله وعقوبتهِ لاني كفرت بهِ وظلمت عبيدهُ. ثم اقبل يتضرع الى الله سبحانهُ ويقول اللهمَّ اقلني عثرتي واقبل توبتي وتفضل عليَّ بعافيتي وانا اشهدك على نفسي اني لا اعود الى شيءٍ تكرههُ وان احسن الى اليهود امتك كما اسات

اليهم واملأ بيوت قدسك وخزائنه ذهبًا وفضة وافرش مدينة اورشليم بالديباج والحرير واكون داعيًا الخلق الى عبادتك والاقرار بربوبيتك ووحدانيتك فلم يستجب الله دعاءهُ بل شدد عليهِ الاوجاع وزادهُ امراضًا حتى تقرحت احشاؤُهُ وتساقط لحمهُ ثم مات اشر ميتة ودُفِن في طريقهِ وتملك بعدهُ ابنهُ افطر وسمى انتيوخوس كاسم ابيهِ الهالك

ذكر الحنكة الثمينة وكيف كان السبب فيها

ولما فرغ يهوذا من محاربة نيكانور وتلمياس وهيرودس عاد الى اورشليم فهدم جميع المذابح التي كان المارد انتيوخوس امر باقامتها وازال جميع الاوثان والرذائل من المقدس وكل ما ابدعهُ اليونانيون فيهِ مما يكرههُ الله تعالى وامر بتطهير القدس وتنظيفهِ لان انتيوخوس كان قد امر بان يضحى فيهِ بالخنازير ونجس بها الموضع الطاهر ونثر لحومها في كل موضع منهُ . ولما فرغوا من تطهير القدس ابتنوا مذبحًا جديدًا وجعلوا عليهِ حطبًا وذبائح مطهرة ثم دعوا ضارعين وسائلين الله عزَّ وجلَّ ان يظهر لهم نارًا على المذبح فتحنن الله عليهم واستجاب ابتهالهم فاظهر لهم نارًا من حجارة المذبح بقوتهِ العزيزة فاحرقت الحطب والقرابين ثم لبثت باقية لم تنطفئ منذ ذلك الوقت الى ان خرب القدس في المرة

الثانية . ثم صنعت الايمة انكانيا اي تجديد المذبح الجديد ثمانية ايام وهو عيد الحنكة واولهُ اليوم الخامس والعشرون من شهر كسلو وكانوا في كل يوم من الثمانية الايام يجتمعون للصلوة والتسبيح والشكر لله عزَّ وجلَّ على ما انعم بهِ عليهم وجعلوا ذلك رسماً باقيًا في كل سنةٍ وسنةً ثابتة الى هذا اليوم

ذكر مجيء ليشاوس ابن عم افطر الملك وصاحب جيشهِ
الى اليهود ومحاربتهِ لهم

فلما بلغ افطر ابن انتيوخوس ما فعل اليهود باصحابهِ وجَّه بابن عمهِ ليشاوس حتى نزل على مدينة من مدن اليهود يقال لها بيت بير فحاصرها وضيق على اهلها . فلما بلغ يهوذا خبرهُ امر اصحابهُ بالصوم والصلوة وسأل الله النصر على اعدائهِ والمعونة ثم سار في اصحابهِ للقاء عسكر اليونانيين فلما اشرفوا عليهم ورأوا كثرتهم اشتد خوفهم منهم فنظر يهوذا شخصًا راكبًا فرسًا من نار وعليهِ لباس يلمع كالذهب وبيدهِ رمح وهو متوجّه الى عسكر اليونانيين كانهُ يحاربهم فعلم يهوذا انهُ ملاكٌ مُرسَل من الله لينصرهُ فقوي قلبهُ وقلوب من معهُ بذلك وهجموا على عسكر اليونانيين بالليل فقتلوا جماعة منهم واوقع الله في قلوبهم الخوف والرعب فانهزموا وهرب ليشاوس والتجأ الى موضعٍ ليعتصم بهِ . ثم ارسل

الى يهوذا يطلب الصلح ويضمن لهُ ان اليونانيين لا يعودون يغزون اليهود ولا يعارضونهم بشيء من امر دينهم فاجابهُ يهوذا الى ذلك اذا رضي بهِ الملك افطر فكتب ليشاوس الى افطر كتاباً بما جرى ويعرّفهُ ما شاهدهُ من شدة بأس اليهود واستقتالهم عن ديانتهم وبلدتهم ويحقق عندهُ ان لا طاقة لهُ بهم وانهُ ان حاربهم افنوا عسكرهُ ويريهِ عظم المنفعة والمصلحة في مسالمتهم ومصالحتهم ويوضح لهُ ما جرى بينهُ وبين يهوذا من الموافقة ويستعلم رايهُ ويشير عليهِ ان يتم الصلح مع اليهود وهو ايضاً يعاهدهم على طاعتهِ ويضمن لهم عنهُ انهم لا يُعارَضون في شيء من دينهم وكتب ايضاً الى يهوذا والى روساء اليهود بمثل ذلك وعاهدهم عليهِ فتم الصلح بينهم وبقي الامر على ذلك واطمأنَّ اليهود في تلك المدة . ثم اشتغل يهوذا بالنظر في مصالح اليهود وتدبير امورهم

ذكر ابتداء قوة الروم

وفي ذلك الحين ابتدأ امر الروم يعلو ويقوى ليتم ما قالهُ النبي دانيال في امر المملكة الرابعة وعظم سلطانها وكذلك كان لان الروم ظفروا بملك اليونانيين مع عظم شانهِ وبملك افريقية مع جلالتهِ وقوة امرهِ وغلبوا على الامم العظيمة والممالك القوية وكان ابتداء امرهم واول ملكهم واقبالهم انهُ كان ببلاد افريقية ملك عظيم

الشان كثير الجنود والعساكر يقال لهُ انبيل وكان مقيمًا بقرطاجنة مدينة مملكتهِ وكان قد غزا اممًا كثيرة فقهرهم واستولى عليهم . ثم اراد بعد ذلك ان ياخذ بلاد الروم فسار اليهم بعساكرهِ ونزلوا بارض ايطاليا فخرجوا اليهِ ليحاربوهُ واتصلت الحروب بينهم عشر سنين فهلك من الروم خلق كثير وقهرهم انبيل واستباح ديارهم ثم جاء الى مدينة رومية ونزل عليها وحاصرها وبنى لهُ ولاصحابهِ منازل وعمل على ان يقيم على المدينة الى ان يفتحها . فلما طال الحصار على اهل رومية ونالت منهم الشدائد اعظم منالٍ عملوا على ان يصالحوهُ ويقبلوا امرهُ وكان برومية رجل يقال لهُ سفناو ذو عقل وراي وشجاعة . فلما وقف على ما عزم عليهِ اهل رومية من طاعة انبيل والخضوع لهُ كره ذلك ولم تشأه نفسهُ فمضى الى صاحب رومية الذي يسمى الشيخ والى الثلث مئة والعشرين المدبرين الذين معهُ . فقال لهم كيف رضيتم لانفسكم ان تخضعوا لانبيل وتدخلوا تحت امرهِ وحكمهِ . اجابوهُ قائلين فما الذي نصنع وليس لنا قدرة على مقاومتهِ ولا طاقة لنا بهِ وقد اشرفنا على الهلاك . فقال سفناو الراي عندي ان تتوقفوا عن ذلك وتضموا اليَّ عسكرًا من مختاري الرجال الذين معكم حتى امضي الى افريقية وآخذها لانها قد خلت من رجال الحرب لانهم كلهم مع انبيل وانا اعلم ان انبيل اذا بلغهُ

اني اخذت افريقية ينصرف عنكم موليًا ولا يثبت فتستريحون منهُ فاستصوبوا رايهُ . ثم ضمُّوا اليهِ ثلثين الف رجل فخرج من رومية سرًّا ومضى الى افريقية فدخل اليها وظفر باسنرويل اخي انبيل فقتلهُ واخذ راسهُ وعاد ظافرًا الى رومية ولما دخلها صعد الى السور فصاح يا انبيل واخبرهُ بما صنع ببلدتهِ وانهُ قد اجتاح مدينتهُ واباد اهلهُ وحرمهُ ثم طرح لهُ راس اسنرويل اخيهِ فلما نظرهُ تحقق الامر وعرف راس اخيهِ وبكى عليهِ واشتد حزنهُ على احبّ الناس اليهِ وازداد غيظهُ على الروم وحلف انهُ لا ينتقل عن مدينة رومية حتى يملكها . ثم ان سفناو عاد بعسكرهِ الى بلد افريقية ونزل على قرطاجنة مدينة انبيل فحاصرها وضيق عليها وعلى اهلها فكتبوا الى انبيل يعلمونهُ بذلك ويخبرونهُ انهم لا قوة لهم مقابل سفناو وانهم يضعفون عن محاربتهِ وانهم ان تاخر عنهم فتحوا لهُ المدينة وسلموها لهُ . فلما وقف انبيل على كتابهم قلق من ذلك فجمع من سباهم من الروم في مدة حصارهِ بلدة رومية وايطاليا فقتلهم جميعًا وانثنى راحلاً عن رومية . ثم ركب في البحر نحو افريقية فالتقاهُ سفناو ولما حاربهُ انهزم انبيل وفرَّ هاربًا الى بلد القبط فتبعهُ سفناو فاخذهُ اسيرًا وارتجع الى افريقية وهو معهُ فكره انبيل ان يبصرهُ اهل افريقية ماسورًا مع سفناو وعلى تلك الحال

السيئة فقتل نفسهُ . واما سفناو فظفر بكل بلد افريقية وتسلم مملكة انبيل ونعمهُ وارتفع قدرهُ بذلك وعظم شان الروم وقوي امرهم مذ ذلك الحين الى اليوم

نسخة كتاب كتبهُ الروم الى يهوذا بن متثيا ونسخة العهد الذي عاهدوهُ بهِ

من الشيخ والثلث مئة والعشرين المدبرين الذين معهُ الى يهوذا بن متثيا صاحب ولاية جميع اليهود سلام عليكم قد بلغنا ما انتم عليهِ من شدة الباس والشجاعة والقيام في الحروب فسرّنا ذلك ورغبنا ان تكونوا معنا واصحابًا لنا وقد بلغنا ما وافقكم عليهِ انتيوخوس ملك اليونانيين لانهم قد كانوا اساءوا اليكم فلا تشكوا ولا ترتابوا في انَّا نحن خير لكم من اليونانيين لانهم جاروا عليكم واكثروا من ظلمكم وقد عملنا على المسير الى انطاكية لمحاربة مَن فيها من اليونانيين وقد اثرنا ان نعلم منكم مع من تختارون ان تكونوا لنعمل بحسب ذلك . وهذه نسخة العهد

هذا عهد الشيخ والثلاث مئة والعشرين المدبرين معهُ كتبهُ ليهوذا بن متثيا رئيس الحرب ولجميع اليهود على انهم ينضافون الى الروم ويكونون اصحابًا لهم دون غيرهم ويتعاونون جميعًا في البر والبحر وينصر بعضهم بعضًا فمتى كان للروم حرب عاونهم يهوذا

وقومهُ على اعدائهم ولا يعاونون ابدًا عدوًا للرب عليهم بشيءٍ من الاشياءِ من السلاح او الطعام ولا بغير ذلك مما يستعان بهِ. ومتى كان لليهود حرب اعانهم الروم بحسب طاقتهم وكل ما يلتمسهُ الروم من اليهود ويطلبونهُ منهم فمثلهُ لليهود على الروم بلا زيادة ولا نقصان وبذلك امر الشيخ والثلاث مئَة والعشرين المدبرين معهُ فقبل ذلك يهوذا وقومهُ وتم العهد ودام بينهم وبين الروم مدة طويلة

ذكر وقعة كانت بين يهوذا وتلمياس وهيرودس

ثم ان تلمياس حشد مئَة وعشرين الف رجل والف فارس وقصدوا يهوذا فلقيهُ يهوذا في عشرة آلاف فهزمهُ وقتل من رجال تلمياس عدة كثيرة وضرع تلمياس الى يهوذا وسالهُ ان يستبقيهُ وحلف لهُ انهُ لايحاربهُ ابدًا وانهُ يحسن الى اليهود الذين في سائر اعمالهِ ورحمهُ يهوذا واستبقاهُ واوفى تلمياس بيمينهِ وجمع هيرودس ثلثة آلاف رجل من جبل الشراه واربع مئَة فارس ولقي يهوذا فقتل صاحب جيش يهوذا وجماعة من رجالهِ ثم قصدهم يهوذا واصحابهُ فانهزم هيرودس وقُتِل اكثر رجالهِ وهرب فطلب ولم ولم يُعرَف لهُ خبر وقيل انهُ قتل في الحرب

ذكر نقض افطر بن انتيوخوس اليوناني العهد الذي
كان بينهُ وبين اليهود ومحاربتهِ لهم

فلما اتصل بافطر قوة أمر اليهود . وان يهوذا قد عاهد الروم وفسخ عهدهُ مع اليونانيين ساءهُ ذلك وعظم عليهِ ونقض ما كان بينهُ اليهود من المواثيق والعهود وسار هو وليشاوس ابن عمهِ في جيش عظيم الى بلد اليهودية فنزلوا على بيت بير فلما بلغ يهوذا خبرهم جمع اصحابهُ وسائر شيوخ الامة ومقدميها فصاموا وصلوا وقربوا لله قرابين كثيرة ثم ساروا الى اليونانيين فحاربوهم فنصرهم الله عليهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة نحو اربعة آلاف وكان كبسةُ لهم بالليل . ثم عاد الى معسكرهِ الى ان اضاء الصبح فاصطف حينئذٍ الفريقان وقوي القتال فيما بينهما فنظر يهوذا الى بعض الفيلة وعليهِ تفاح من ذهب فقدَّر ان الملك راكب عليهِ فنادى في رجالهِ وقال من منكم يبرز فيقتل هذا الفيل فبرز فتى واحد من اهل بيتهِ يقال لهُ العازر فهجم على المصاف وبدا يقتل فيهم من عن يمينهِ ويسارهِ فتنحى الناس من بين يديهِ وسار الى ان انتهى الى ذلك الفيل فدخل تحتهُ وشق بطنهُ وسقط الفيل عليهِ فقتلهُ فلما راى الملك ذلك امر بان تُرفَع الحرب فرفعت وكان مبلغ عدد من قتل في ذلك اليوم من وجوه العسكر ثمان مئة رجل عدا من

قُتِل من عامة العسكر ومَن قُتِل با لليل . وورد الى الملك افطر من اخبرهُ في ذلك الوقت بان رجلاً من اصحابهِ يقال لهُ فيلكس قد عصى عليهِ واعلمهُ ايضاً ان ديمتريوس بن سلفانوس الرومي خارج من رومية يريد بلادهُ فعظم ذلك عليهِ واشتد خوفهُ فارسل الى يهوذا يطلب الصلح فاجابهُ الى ذلك . ثم لقيهُ يهوذا فعاهدهُ افطر وليشاوس وحلفا لهُ انهما لايحاربانهِ ابدًا ولا يعودان الى اورشليم لحرب وحمل افطر الى بيت الله مالاً كثيرًا. ثم انصرف عن بلدة اليهودية راجعاً الى مكدونية وعاد يهوذا الى اورشليم وزاد فيما كان عليهِ من حسن السيرة والعدل والنظر في مصالح الامة

ان السبب في نقض العهد من افطر فيما بينهُ وبين اليهود هو ان نيلاوس احد الاشرار الثلثة الذين ذكرنا فيما تقدم انهم كانوا مضوا الى انتيوخوس الاول وسعوا باليهود مضى ايضاً الى افطر فسعى اليهِ وحملهُ على نقض العهد الذي كان بينهُ وبينهم واشار عليهِ بمحاربتهم . فلما كان من افطر ما كان وتم الصلح بينهُ وبين يهوذا ندم على ما فعلهُ من نقض العهد فاغتاظ على نيلاوس الساعي وامر بهِ فرُبطت يداهُ ورجلاهُ وصُعِد بهِ الى مكان شامخ فرُمي فهلك اشرَّ هلاك وعجل الله بهِ العقوبة في الدنيا باليسير مما يستوجبهُ مكافاةً لاعمالهِ القبيحة وبدرق بنفسهِ الى

الهاوية. وانما اراد الملك بهذا ان يسرّ اهل يهوذا وكان هذا الرجل من كبار اعدائهم ومن قتل منهم الخلق الكثير

ذكر خروج ديمتريوس بن سلفانوس الرومي من رومية وقتلهِ افطر وقدوم صاحبهِ نيكانور الى اورشليم

فلما عاد افطر الى مكدونية خرج اليهِ ديمتريوس بن سلفانوس من رومية بعسكر عظيم ليحاربهُ فانهزم افطر وظفر بهِ ديمتريوس فقتلهُ وقتل ابن عمهِ ليساوس . ثم سار الى مدينة انطاكية ففتحها واقام بها فمضى الفيموس وهو احد اولئك الثلثة الاشرار السعاة الذين تقدم ذكرهم فلقي ديمتريوس والقى نفسهُ بين يديهِ باكيًا وقائلًا ان يهوذا واصحابهُ قد قتلوا منا خلائق كثيرة وشرّدونا عن اوطاننا واساءوا الينا من اجل اننا خالفنا دينهم وصرنا معكم قد قصدتك ايها الملك لتاخذ بحقنا منهم وتعيننا عليهم وسعى باليهود عند ديمتريوس باشياء كثيرة وتكلم فيهم بما اوغر صدر ديمتريوس واغاظهُ عليهم ومكن في نفسهِ انهم يبغضونهُ ويعادونهُ . فوجّه ديمتريوس قائدًا من قوادهِ يقال لهُ نيكانور الى اورشليم وامرهُ بالقبض على يهوذا فجاء نيكانور ونزل بقرب المدينة وارسل الى يهوذا بالجميل والتودد يسألهُ ان يصير اليهِ ولم يظهر لهُ شيئًا مما في نفسهِ عليهِ فخرج يهوذا بجماعة من اصحابهِ

وهم مستعدون الى نيكانور فلقيهم نيكانور بالجميل والاكرام وانصرف يهوذا ولم يتم لنيكانور ما ارادهُ من القبض عليهِ. ثم اجتمعا بعد ذلك فتصادقا وتصافيا ودخل نيكانور مع يهوذا الى اورشليم واقام بها وتاكدت المودة والمحبة بينهُ وبين يهوذا فلما علم الفيموس الساعي بذلك ورأى ان تدبيرهُ على يهوذا لم يتم عاد الى انطاكية ولقي ديمتريوس وجدد السعاية بيهوذا واخبرهُ ان نيكانور لم يقبل ما امرهُ بهِ من القبض عليهِ فغضب ديمتريوس وكتب الى نيكانور لينكر عليهِ مخالفتهُ لامرهِ ويامرهُ ان يقبض على يهوذا ويحملهُ اليهِ مقيدًا ويتوعدهُ بالقتل ان لم يفعل. فوقف يهوذا على الخبر قبل ان يصل الى نيكانور فخرج من المدينة واظهر على نفسهِ انهُ يريد ان يمضي الى محاربة قوم قد خالفوهُ. ثم مضى الى سبسطية فاقام بها ولم يعلم نيكانور بذلك. فلما وصل كتاب ديمتريوس الى نيكانور طلب يهوذا فلم يجدهُ ولم يعلم لهُ خبرًا وظن انهُ قد استتر في القدس فدخل الى القدس وطالب الكهنة باحضارهِ فاخبروهُ انهُ لم يجئ الى القدس وانهم لا علم لهم بمكانهِ فغضب نيكانور واجابهم باقبح جواب مفتريًا باعظم جسارةٍ عليهم وعلى قدس الله وبصق نحو الهيكل وتوعدهم بهدمهِ. ثم خرج من الهيكل متنمرًا كالاسد وامر اصحابهُ ان يدخلوا الى منازل اليهود الذين في اورشليم

ويفتشوا على يهوذا باستقصاء فجرى على الناس منهم اذًى شديد ومكروهٌ فلما بلغ يهوذا ما فعلهُ نيكانور وجه اليهِ يقول لهُ لا تطلبني في المدينة فما انا فيها . فان كنت تشاء لقائي فاخرج حتى نلتقي فسار نيكانور بعسكرهِ الى يهوذا وزاد فيما كان يتكلم بهِ من الكفر بنعمة الله عزَّ وجلَّ والثلب لدينهِ ولقدسهِ . فلما سمع يهوذا كلامهُ بعد ما كان قد بلغهُ من فعلهِ باورشليم وما تكلم بهِ اشتعلت فيهِ نار الحمية لله عزَّ وجلَّ والتعصُّب لدينهِ فتضرع الى الله سبحانهُ وتعالى ودعا وقال يا رب انت الذي اهلكت عسكر سنحاريب الكثير عددهُ من اجل ما تكلم اصحابهُ على انهم لم يدخلوا الى بيتك ولم يتوطأوا اقداسك فانا اتوسل اليك يا رب ان تهلك هذا العدو الكافر الذي بدل مقدسك ونكب ديانتك فاظهر ايها السيد فيهِ نقمتك وعاجلهُ بغضبك

ثم ان يهوذا لاقى نيكانور فحاربهُ فانهزم نيكانور قدامهُ فظفر بهِ يهوذا فقتلهُ واباد اكثر رجالهِ وهرب الباقون فتبعهم يهوذا واصحابهُ وخرج اليهود من الضياع والقرى فافنوهم فعاد يهوذا واصحابهُ الى اورشليم باعظم مسرة واكثر ابتهاج وهم يسبحون الله تعالى ويكثرون من شكرهِ على انعامهِ واحسانهِ ورسموا بان يكون ذلك اليوم يوم تعييد وفرح وسرور وشكر لله عزَّ وجلَّ على ممر السنين وهو اليوم

الثالث عشر من اذار وامر يهوذا ان يطلب راس نيكانور وذراعاهُ اللذان مدهما الى الهيكل لما دخل الى القدس وتكلم بما تكلم بهِ من الافتراء على ديانة الله القويمة وعلقها بازاء باب القدس ولقب ذلك الباب باب نيكانور

ذكر قتل يهوذا بن متثيا

فلما كان في مثل ذلك في العام القابل جاء قائدٌ من قواد الروم يقال لهُ نيكيروس ومعهُ عسكر فيهِ ثلثون الف رجل لمحاربة يهوذا فورد عليهِ وهو في قريةٍ يقال لها الانس ولم يكن معهُ سوى ثلثة آلاف فارس فهرب اكثرهم حتى لم يبقَ معهُ سوى ثمان مئة رجل واخويهِ شمعون ويوناثان فخرجوا لمحاربة نيكيروس وكان نيكيروس قد قسم عسكرهُ فجعل نصفهُ معهُ ونصفهُ الآخر مع اصحابهِ في جهةٍ اخرى ولقيهم نيكيروس في نصف العسكر الذي معهُ فهزمهم يهوذا ومضى نيكيروس هاربًا الى ازدود فتبعهم يهوذا ولم يعلم ان نصف العسكر الذي لنيكيروس قد كمن لهُ. فلما صار بقرب ازدود اقبل اليهِ نصف العسكر من الجهة الاخرى التي كانوا قد كمنوا فيها . وخرج نيكيروس من ازدود مع الباقين من اصحابهِ فاطبقوا على يهوذا وكانت بينهم ملاحمة قادحة وحرب عظيمة قُتِل فيها من الفريقين خلق كثير كان في جملتهم يهوذا .

فحملهُ اصحابهُ واخواهُ شمعون ويوناثان ودفنوهُ الى جانب قبرابيهِ متثيا وبكى عليهِ بنو اسرائيل اياماً كثيرة وكانت مدة ولايتهِ سبع سنين ووُلّي بعدهُ اخوهُ يوناثان

خبر يوناثان بن متثيا وهو الثالث من بني حشمناي المكابيين الغيورين

فلما انقضت حيوة يهوذا بحروب الاعداء على اليهود مضى يوناثان في نفر يسير نحو الاردن واقام هناك فتبعهُ نيكيروس. فلما علم بمجيئهِ اليهِ عبر الجانب الآخر من النهر وجاء الى بئر سبع فتحصن هناك فجاء نيكيروس بعسكرهِ وحاصرهُ فلما اشتد عليهِ الحصار خرج ليلاً ومن معهُ الى عسكر نيكيروس بعسكرهِ وحاصرهُ فاضطرب جيش نيكيروس واوقع الله الرعب في قلوبهم فانهزموا وانهزم نيكيروس هارباً في نفرٍ يسير فتبعهُ يوناثان وظفر بهِ وهمّ بقتلهِ فسالهُ نيكيروس ان يعفو عنهُ وحلف لهُ انهُ لا يعود الى محاربتهِ ابدًا وانهُ يسرح سبيل جميع من معهُ من سبي اليهود ويحسن اليهم فاطلقهُ يوناثان ووفى لهُ ايضاً نيكيروس بقولهِ واطلق السبي وفعل معهم معروفاً ثم مات يوناثان بعد مدة يسيرة وتولى الامر بعدهُ اخوهُ شمعون

خبر شمعون بن متثيا وهو الرابع من ولاة المكابيين بني حشمناي

فلما وُلّي شمعون بن متثيا بعد اخيهِ اجتمع اليهِ من بقي من عسكر يهوذا فقوي بهم ثم غزا جميع من ظاهر آل يهوذا بالعداوة بعد قتل يهوذا واوقع بهم المكروه وكل ما يضطرهم الى الطاعة والزمهم بالخضوع لليهود عنفاً ثم انهُ اجمل السيرة واحسن التصرُّف في قومهِ وساسهم اجود سياسة فانتظم امرهُ واستقام حال الامة بهِ فوجه اليهِ ديمتريوس بن سلفانوس الذي كان مقيماً بانطاكية (وهو يسمى انتيوخوس ايضاً) عسكراً لمحاربتهِ فخرج اليهِ شمعون وقسم عسكرهُ قسمين وجعل احدهما مع ابنيه وامرهما ان يوافيا العسكر من جهةٍ اخرى في وقت ذكرهُ لهم ولقي شمعون عسكر ديمتريوس فحاربهُ. فلما اشتد الحرب بينهما وافى ابنا شمعون ونصف العسكر الذي معهما من الجهة الاخرى فاطبقوا عليهم وصاروا في وسط العسكرين فلم ينجُ منهم الا قليل وانهزم من بقيَ منهم ولم يعاود انتيوخوس بعد ذلك الى محاربة اليهود واطمأن العبرانيون في ايام شمعون وسكن روعهم وكانت مدة ولايتهِ ثمان سنين. ثم وثب عليهِ صهرهُ ويسمى تلماي في دعوة كانوا فيها فقتلهُ وقبض على امرأتهِ وابنيهِ. ووُلّي الامر بعد شمعون هركانوس ابنهُ وكان اسمهُ يوحانان

وكان قد قتل في حيوة ابيهِ في بعض الحروب رجلاً جباراً يقال لهُ هركانوس فسماهُ ابوهُ باسم ذلك الرجل لانهُ شبه بهِ في قوتهِ وباسهِ وشجاعتهِ

خبر هركانوس بن شمعون وهو الخامس من ولاة بني حشمناي واول من سُمّي من المكابيين ملكاً

فلما علم هركانوس بن شمعون بما فعلهُ تلماي من قتل ابيهِ والقبض على امهِ واخوتهِ خاف منهُ فهرب الى غزة فتبعهُ تلماي ليقتلهُ فمانع عنهُ اهل غزة وقاتلوا تلماي فمضى تلماي الى داجون واقام بها ومعهُ ام هركانوس واخوتهُ . فلما انصرف تلماي عن غزة عاد هركانوس الى اورشليم ووُلّي موضع ابيهِ فلما انتظم امرهُ واجتمع اليهِ عسكر ابيهِ سار الى ثلماي زوج اختهِ وهو في داجون فلما حاصرهُ وجدّ في هدم السور خاف ثلماي ان يفتح المدينة فاصعد ام هركانوس واخوتهُ على الحصن وامر ان يقدّموا قدام هركانوس. فلما نظرهم شفق عليهم واراد ان ينصرف فنادتهُ امهُ وقالت لهُ يا ابني لا يمنعك اشفاقك عليَّ وعلى اخوتك من ان تاخذ ثار ابيك وتقتل قاتلهُ واقضِ حق ابيك وحقي وتمم ما انت فيهِ من هدم السور ولا تتأخر حتى تكمل عزمك وذلك ان ما تخافهُ علينا وتخشاهُ من هذا الظالم لا بد ان يفعلهُ بنا على كل حال . فلما سمع هركانوس

كلام والدته جدًّ في القتال فامر ثلماي بالزيادة في عذاب امهِ واخوتهِ وحلف ان يلقيهم من اعلى الحصن الى الارض ان لم يكف عن قتالهِ فكره هركانوس ان يكون هو سبب قتلهم فكف عن قتالهِ ثم حضر في اثناء ذلك عيد المظال فعاد هركانوس الى اورشليم ليحضر العيد فلما علم ثلماي انهُ قد بعدعنهُ قتل امهُ واخوتهُ وهرب الى بلد بعيد

وكان ديمتريوس بن سلفانوس المسمى انتيوخوس يحقد على شمعون بن متثيا لانهُ قتل قوادهُ واصحابهُ فلما بلغهُ ان شمعون قد قتل سار الى مدينة اورشليم في عسكر عظيم لمحاربة العبرانيين . وكان ذلك في السنة الرابعة من ملكهِ وهي السنة الاولى من تولّي هركانوس فنزل على المدينة واحتال على جهة من الحصن حتى ثلمها فبادر الرجال من المدينة الى تلك الثغرة فوقفوا عليها ومنعوا اصحاب ديمتريوس من الدخول وخرج من المدينة جمع كثير فقاتلوهم فانصرف ديمتريوس عن المدينة الى موضع بالقرب منها فاقام فيهِ فحضر عيد المظال فوجّه هركانوس الى ديمتريوس يسألهُ ان يرفع الحرب الى ان ينقضي العيد فاجابهُ الى ذلك . ثم قال ديمتريوس قد شئت ان يكون لي نصيب في هذا العيد فاهدى الى بيت الله ثورًا حسنًا قد غشيت قرونهُ بالذهب

وبعث بالات كثيرة من فضة وذهب مملوة من الطيب الرفيع وبعث باشياء كثيرة من الهدايا فقبلها الكهنة واحضروها الى بيت الله . فلما رأى هركانوس والكهنة اعظام ديمتريوس لبيت الله واكرامهِ فسألوهُ في الصلح فاجابهم اليهِ وجاء الى المدينة واستقبلهُ هركانوس وعظماء الامة وكبراؤهم بالاجلال والاكرام وصنع هركانوس لديمتريوس واصحابهِ صنيعاً عظيماً وحمل اليهِ ثلاث مئة بدرة من الذهب وتعاهدوا على المسالمة والمعاونة

وذكروا ان هركانوس فتح كنزاً من الكنوز التي كانت في اورشليم كان لبعض الملوك من اولاد داود فاخذ منهُ ثلاث مئة بدرة ومالاً جزيلاً وترك فيهِ مثلهُ وردهُ الى ما كان عليهِ من الخفية وبنى هركانوس ما كان ديمتريوس قد هدمهُ من السور واحكم بنيانهُ . ثم انصرف ديمتريوس عن اورشليم متوجهاً لمحاربة العجم لانهم كانوا قد عصوا . ومضى معهُ هركانوس في عسكرهِ فلقيهم عسكر العجم فهزمهم ديمتريوس وهركانوس وقتلوا اكثرهم واقام ديمتريوس في الموضع الذي كانت فيهِ الحرب وبنى فيهِ بيتاً عظيماً ليكون ذكراً في بلد الفرس ثم سار من هناك لمحاربة ملك العجم وتخلف عنهُ هركانوس يومين لان يوم السبت حضر واتفق بعدهُ عيد العنصرة فلم يمكن هركانوس المسير فيها فمضى ديمتريوس ولم ينتظرهُ فلقيهُ

ملك الفرس وكان بينهما حروب كثيرة شديدة هلك فيها ديمتريوس واكثر عسكرهِ فلما بلغ هركانوس ان ديمتريوس قد هلك عاد الى الشام ونزل في طريقهِ على مدينة حلب ففتحها واخذ من اهلها الخراج ثم عاد الى اورشليم وغزا هركانوس السامرة ففتح نابلس واخرب الهيكل الذي كان سنبلط السامري بناهُ في طور تربل وهدمهُ الى اساسهِ وذلك بعد مئتي سنة قد مضت عليهِ منذ وقت بُني (وهو الذي تقدم ذكرهُ في اخبار اسكندر المكدوني) وقتل كهنتهُ . ثم مضى هركانوس الى بلد ادوم التي هي جبال الشراه بلد العيس ففتح بعض حصونها واخربها وقتل جماعة منهم . ولما طلبوا منهُ الامان أمَّنهم ووافقهم على خراج يحملونهُ اليهِ والزمهم ان يختتنوا ويستشرعوا بما فرضتهُ التوراة فقبلوا ذلك والتزموهُ ولم يزالوا متمسكين بهِ الى ان خرب القدس وتفرقت الامة العبرانية وغزا هركانوس جميع الامم الذين يجاورون اليهود فقهرهم واطاعوهُ جميعهم فلما استقامت امور هركانوس وامن من جميع المنازعين لهُ من الامم وجَّه رسولاً من وجوه اصحابهِ الى صاحب رومية وكتب اليهِ يسألهُ تجديد العهد بينهم وبينهُ فلما وصل رسول هركانوس الى صاحب رومية قبلهُ واكرمهُ واجاب هركانوس الى ما التمسهُ وكتب اليهِ كتاباً هذه نسختهُ

نسخة كتاب صاحب رومية الى هركانوس

من الشيخ والثلاث مئة والعشرين المدبرين معهُ الى هركانوس ملك اليهود سلام عليك قد وصل كتابك الينا وقرأناهُ وسرَّنا وابهجنا وقرَّت بهِ اعيننا وسألنا رسولك عن اخبارك وعرفنا لرسلك فضلهم في المعرفة واكرمناهم وامرنا بقضاءِ حوائجهم وقد امرنا بان تُرَدَّ عليكم جميع المدن التي كان فتحها انتيوخوس ونقدمنا بمكاتبة من في جميع اعمالنا باكرام رسلك واعزازهم ووجهنا معهم رسولنا اليك بكتاب معهُ وحملناهُ رسالة يذكر فيها جميع ذلك بامر الشيخ والثلاث مئة والعشرين المدبرين معهُ. فلما وصل كتاب الروم الى هركانوس بتسميتهِ ملك اليهود سمي ملكًا منذ ذلك الوقت اذ كان قبل ذلك يسمى الكاهن الاكبر فقط وكذلك من تقدمهُ من اهل بيتهِ الذين وُلّوا امر اليهود فاجتمعت لهركانوس منزلتا الكهنوت والمملكة وهو اول من سمي ملكًا على اليهود في مدة البيت الثاني اعني منذ عودتهم من سبي بابل ومضى هركانوس الى سبسطية وهي مدينة السامرة ففتحها وقتل اهلها وهدم حصنها واخربها وعظم شان هركانوس وقوي سلطانهُ واستقام ملكهُ واطمأن اليهود في ايامهِ وامنوا في جميع مساكنهم

خبر حرب هركانوس مع السمرة

ولما سار هركانوس الى سبسطيه وحاصر من بها من السمرة مدة طويلة الى ان اضطرهم الى أكل الجيف وهم مع ذلك صابرون لهُ لخوفهم من سيفهِ واعتمادهم على من استنجدوا بهِ من المكدونيين والمصريين ثم حضر الصوم الكبير الذي يحتاج هركانوس ان يكون فيهِ حاضرًا في اورشليم ليقرب فيهِ قرابين هذا اليوم فاستخلف بنيهِ على الجيش وهما انتيغونوس وارستوبولوس ونقدم اليهما بمحاصرة السامرة والتضيق عليهم ونقدم الى العسكر بطاعة ابنيهِ هذين واتباع امرهما فسار الى مدينة اورشليم وسار انتيوخوس المكدوني لينجد اهل سبسطية فاتصل خبرهُ بابني هركانوس فاستخلفا على سبسطية من يحاصرها وسارا الى انتيوخوس فحارباهُ وهزماهُ وعادا الى سبسطية ووافى من مصر ليثرا بن كليوبطرة الملكة لنصرة السمرة فلما اتصل خبرهُ بهركانوس سار اليهِ بعد انقضاء العيد فلقيهُ وقاتلهُ قتالاً شديدًا وقتل من رجالهِ خلقًا وانهزم ليثرا ولم تعاود اهل مصر بعدها الى معاونة السمرة وعاد الملك هركانوس الى سبسطية فاقام عليها الى ان فتحها بالسيف وقتل من بقي من اهلها واخربها وهدم سورها

خبر خروج ليثرا بن كليوبطرة على امهِ بمصر

ثم ان ليثرا بن كليوبطرة لما قوي بالمال والرجال عصى على امهِ كليوبطرة وعاونهُ على ذلك اكبر وجوه الدولة فعمدت كليوبطرة الى رجلين من اليهود يقال لاحدهما حلفيا والآخر حننيا فقدمتهما على من بقي معها من عظماء المصريين وولتهما على جيش مصر فاحسنا السيرة في العامة واحكما السياسة لامور الملك فانفذتهما كليوبطرة الى محاربة ليثرا ابنها فسارا اليهِ وحارباهُ وهزماهُ وقتلا رجالهُ فهرب الى قبرس واقام بها في نفر بقوا معهُ

ذكر فِرَق اليهود وسبب انتقال هركانوس من الفرقة التي كان هو وابوهُ منها الى غيرها وما جرى من العداوة والحروب بسبب ذلك

كان اليهود في ذلك الزمان ثلث فرق الواحدة تسمى الفروسيم وهم الفريسيون ويسمون ايضاً المعتزلة والفرقة الثانية يسمون الصدوقيين نسبةً الى رجل فقيه من اصحاب العلماء يسمى صادوق . اما الفرقة الثالثة فيسمون الحسيديم وتاويل هذا الاسم الصالحون لانهم كانوا يذهبون الى العمل بما هو افضل وهو الاخذ من هذين المذهبين ما هو احوط في الدين واسلم في التوقي وهم المشتغلون بالتسبيح المنعكفون على العبادة وكان الصدوقيون

يعادون الفريسيين عداوةً شديدة ويباينونهم وكان هركانوس وآباؤُهُ من الفريسيين ثم انهُ انتقل بعد ذلك الى الصدوقيين وباين الفريسيين وعاداهم وكان السبب في ذلك انهُ صنع صنيعاً عظيماً ودعا فيهِ سائر قوادهِ واجنادهِ واصحابهِ واحضر حكماء اليهود وهم الفريسيون وحضر هركانوس معهم فاكل وشرب فلما اخذ الشراب منهُ قال للفريسيين انتم تعلمون اني واحد من تلاميذكم واني ارجع الى قولكم واتدبر برايكم ولا اخالفكم وانا اسالكم متى علمتم بغلط قد جرى مني وخطاء تعلموني بهِ وترشدوني الى الصواب وان نصحي يجب عليكم ويلزمكم ولست اخالف فيما تأمروني بهِ ولا اعصيكم فيما يجب ولا اغفل عنهُ فاجابوهُ بالجميل وقالوا قد اعاذك الله ايها الملك من الخطا ونزهك عن الغلط فانت المفضل المستقيم الطريقة ومن جمع الله لهُ فضيلة الكهانة والملك ودعوا لهُ واثنوا عليهِ وكان في جملتهم رجل يقال لهُ العازر ذو اقدام وجسارة وتعصُّب فقال حينئذٍ لهركانوس قد امرتنا ايها الملك بنصحك واعلامك بغلط او خطا او زلل يتفق لك او يحدث لكي تنتقل عن ذلك فان كنت تريد تسلم ناجيًا من الغلط وتفوز من الزلل كما ذكرت فيجب ان تكتفي بالملك وتخلع نفسك من الكهانة فانك لا تصلح ان تكون كاهنًا كبيرًا لان امك كانت سبيت

في ايام انتيوخوس قبل ان تحمل بك وليس خافٍ عنك ان ولد المسبية لايجوزان يكون كاهنًا كبيرًا ولا يدخل الى قدس الاقداس وإذ قال العازر هذا القول لم يجاوبهُ احد من الفريسيين بل جميعهم امسكوا عن خطابهِ لانهُ قال صدقًا الّا ان هركانوس غضب من ذلك وتمرمرت نفسهُ وانعكس ما كانوا فيهِ من السرور الى ضدّهِ وكان بحضرة الملك رجل من اكابر الصدوقيين يقال لهُ يوناثان فقال لهركانوس الم اقل لك ايها الملك لاتثق بالفريسيين فانهم لاينصحونك ولايحبونك وقد ظهر لك اليوم صدق قولي بان الفريسيين هم الذين جعلوا العازران يتكلم بما تكلم بهِ ولذلك لم يمنعوهُ ولم ينكروا عليهِ ما قال . فامر هركانوس الفريسيين ان يحكموا على العازر بما يجب عليهِ وكان يقصد ان يحكموا عليهِ بالقتل فقالوا لايجب عليهِ غير ضرب اربعين. عند ذلك غضب هركانوس وانتقل الى مذهب الصدوقيين وقوى امرهم وباين الفريسيين وعاداهم ونادى في جميع مدن اليهود بان لا يتعلم احد من الناس منهم . وقتل جماعةً كثيرة منهم ممن خالفوا امرهُ . وكانت العامة باسرها وبعض الخواص مع الفريسيين فعظمت الشرور منذ ذلك الوقت في اليهود واتصلت الحروب بينهم وقتل بعضهم بعضًا وقد كان اليهود قبل ذلك متفقين على محبة

هركانوس ومن كان قبلهُ من ولاة بني حشمناي لجميل سيرتهم وجودة سياستهم وحسن برهم في الامة فلما حدث ما ذكرناهُ من انتقال هركانوس الى الصدوقيين وقتل مَن قتل من الفريسيين واطلاقهِ لليهود محاربة بعضهم بعضاً على المذاهب فمكثت العداوة بينهم وكثر القتل فيهم في زمانهِ وبعد وفاتهِ وكرههُ اكثرهم وابغضوهُ وهذا كان السبب في عداوتهم لهُ وكراهيتهم من بعدهِ اولادهُ

وكان لهركانوس من البنين ثلثة وهم ارسطوبولوس والثاني انتيغونوس والثالث اسكندر وكان هركانوس يحب انتيغونوس ويبغض اسكندر حتى انهُ ابعدهُ عنهُ واقصاهُ الى جبل الجليل واحب هركانوس ان يعلم من الذي يصلح ان يكون ملكاً من اولادهِ بعدهُ وسأل الله في ذلك فرأى في منامهِ ان الذي يملك من بعدهِ هو اسكندر فاغتم من ذلك ولم يقدم في حياتهِ احداً من اولادهِ وترك الامر مهملاً ليجري بعدهُ على ما يؤثرهُ الله عزَّ وجلَّ ويريدهُ وكان اهل يهوذا في زمان ابيهِ وزمان عميهِ مجتمعين على محبتهم والميل اليهم والطاعة لهم لمحاربتهم اعداءهم وحسن سيرتهم فيهم ولم يزالوا ايضاً مجتمعين على محبة هركانوس الى ان جرى منهُ ما جرى من قتل الفريسيين واباحة اليهود محاربة بعضهم بعضاً على الدين فتولدت بينهم العداوات الدائمة والشرور المتصلة

والقتل الكثير وكان ذلك سببًا لكراهية اكثرهم لهركانوس وكانت مدة ولاية هركانوس احدى وثلثين سنة وتوفي وملك ابنهُ ارسطوبولوس

خبر ارسطوبولوس بن هركانوس وهو السادس من ولاة بني حشمناي والثاني ممن سمي ملكًا

فلما ملك ارسطوبولوس اظهر التكبر والتجبر ولبس تاجًا عظيمًا ترفعًا وتعظمًا واستصغارًا بتاج الكهنوت المقدس وقيد اخاهُ اسكندر وقيد امهُ لمحبتها اسكندر اخاهُ ومال الى انتيغونوس اخيهِ وقوَّمهُ على جميع اصحابهِ واعتمد عليهِ في اموره وبعث بهِ لمحاربة الامم الذين عصوهُ فقهرهم انتيغونوس وردهم الى طاعتهِ وعاد الى مدينة القدس ظافرًا غانمًا فوجد الملك ارسطوبولوس قد تشكى واعتل بعلةٍ عظيمة في مدة غيبتهِ في الحروب فلما قدم اخبر بعلة الملك فلم يمضِ اليهِ ورأى ان يمضي اولًا الى بيت الله عزَّ وجلَّ ليشكرهُ تعالى على ما رزقهُ من النصر وما وهبهُ من الظفر ويسالهُ ان يعافي اخاهُ الملك ثم بعد ذلك يمضي اليهِ وكان ذلك في عيد المظال وقد حضر اليهود الى القدس وكان عليهِ جوشن مذهب حسن الصنعة وهو متقلد سلاحهُ وكان انتيغونوس

هذا شاباً بهياً رائقاً في الجمال فلما نظرهُ اليهود وهو يمشي في صحن القدس بذلك الزي الحسن تعجبوا من بهجتهِ وجمالهِ ورشاقتهِ وبهائهِ وابتدأوا يصفونهُ ويستحسنونهُ وكان في جملة اليهود شيخ من الفرقة الذين يسمون الصالحين فلما نظر الى انتيغونوس يمشي في القدس والناس ينظرون اليهِ ويتعجبون منهُ قال لتلميذهِ يا ليتني كنت متُّ قبل هذا اليوم ولا ارى هلاك هذا الشاب. فقد رايت انهُ يُقتل عند برج سطرون. وسطرون المعروفة في ذلك الوقت هي مدينة كانت في الساحل فيها برج مشهور ولم يكن هذا الاسم يُعرَف لغيرها. فقال لهُ تلميذهُ هذا لا يصح لان سطرون بعيدة من مدينة القدس وقد مضى اكثر النهار وكيف يمكن ان يُقتَل انتيغونوس هناك في هذا اليوم. فقال الشيخ الصالح كيف يا ابني يبطل قولي ويسلم هذا الشاب. ولما مضى انتيغونوس الى القدس قبل ان يمضي الى اخيهِ مضى قوم كانوا يعادون انتيغونوس ويسيئُون الظن فيهِ ويحسدونهُ الى الملك فقالوا لهُ ان اخاك انتيغونوس قد عمل على قتلك ولذلك لم يدخل عليك لما قدم الى المدينة بل مضى الى القدس ليستميل الناس وهو هناك مع اصحابهِ بزيهم وسلاحهم يدبرون عليك لما علموا مرضك فوقع ذلك في نفس الملك ارسطوبولوس وامر رجالهُ ان يلبسوا سلاحهم ويقفوا

على جميع الطرق التي يوصل منها الى القصر فيحفظونها وان يقتلوا كل من جاء يدخل اليهِ وعليهِ شيءٌ من السلاح ولا يتوقفوا عن قتلهِ ولا يستأذنوا فيهِ ففعلوا ذلك . واما الملك فوجَّه رسولاً الى اخيهِ انتيغونوس يامرهُ ان ينزع عنهُ ما عليهِ من السلاح ويصير اليهِ ولا يتأَخر وكانت امرأَة ارسطوبولوس تعادي انتيغونوس عداوة شديدة وتروم قتلهُ فاستدعت الرسول الذي ارسلهُ اليهِ ارسطوبولوس واعطتهُ مالاً وامرتهُ الاَّ يؤدّي الرسالة الى انتيغونوس على جهتها بل بعكسها . ويقول لانتيغونوس ان الملك يقول لك قد بلغني حسن زيك وهيئَتك في دخولك الى القدس وقد احببت ان اراك بذلك الزي فتصير اليَّ بزيك وسلاحك ولا تغيّر شيئًا منهُ واعجل ولا تتأَخَّر

فمضى الرسول الى انتيغونوس فقال لهُ كما امرتهُ بهِ الملكة امرأَة الملك ارسطوبولوس فلم يشك ان الرسالة من الملك فمضى مطمانًا ولم ينزع شيئًا ما عليهِ من السلاح وآلة الحرب ولم يعلم ما كان من اخيهِ وما قد امر بهِ من قتل كل من يجي الى قصرهِ وعليهِ شيءٌ من السلاح وآلة الحرب وكان الى جانب قصر ارسطوبولوس برج قد بُني في تلك الايام وسمي برج سطرون وهي المدينة التي في الساحل لانهُ كان يشبه ذلك البرج الذي فيها .

واكثر الناس لم يكونوا يعرفوهُ لقرب عهدهِ . فلما انتهى انتيغونوس الى البرج وثبت عليهِ رجال الملك فقتلوهُ وصح عند ذلك قول الشيخ الذي قال ان انتيغونوس في ذلك اليوم يقتل عند برج سطرون

ولما علم ارسطوبولوس بقتل اخيهِ تيقن انهُ قد خُدِع في امرهِ وتمت عليهِ الحيلة بالمكر والغش فاشتد غمهُ وتكاثر حزنهُ وصرخ باكيًا ولصدرهِ ضاربًا بكلتا يديهِ ضربًا شديدًا وقد كانت العلة نهكتهُ وبلغت منهُ فسقطت عروق صدرهِ والقى من فمهِ دمًا كثيرًا فاقبل غلمانهُ يعزونهُ ويسكتونهُ وهو لا يتعزَّى ولا يسكت والدم البارز من فيهِ لا ينقطع فبعثوا بطشت فيهِ من ذلك الدم الى الطبيب لينظرهُ ويشير بما يصلح من الدواء فمضى الغلام الذي يحمل الطشت مسرعًا فلما وصل الى المكان الذي فيهِ قتل انتيغونوس وقد كان مُرصفًا بالرخام ودم انتيغونوس قد جمد عليهِ زلق بهِ الغلام فسقط الطشت من يدهِ وانهرق الدم الذي كان فيهِ من دم الملك على دم اخيهِ فصاح غلمان الملك على الغلام واستعظموا ما جرى وعلم ارسطوبولوس ذلك وقال سبحان الحاكم العادل المنصف الذي سفك دم الظالم على دم المظلوم. ثم اقبل على نفسهِ باللوم والتعنيف ولم يزل يبكي ويتانف ويصرخ

ويتاسف ويكثر التندُّم على ما فرط منهُ الى ان مات بعد قليل فبكى عليهِ جميع قومهِ لانهُ كان شجاعًا مظفرًا مهابًا حسن الاثرة في الامة كثير المكانة في الاعداء وكانت مدة ملكهِ سنة واحدة وملك بعدهُ اخوهُ اسكندر وصح بذلك ما كان ابوهم هركانوس رآهُ في منامهِ من امر اسكندر انهُ الذي يملك بعدهُ

خبر اسكندر بن هركانوس وهو السابع من ولاة بني حشمناي والثالث ممن سُمّي ملكًا

فلما مات ارسطوبولوس نزع الجند عن اخيهِ القيد واخرجوهُ من الحبس فتولى الملك واستقام لهُ الامر . وبلغ اسكندر ان اهل عكا واهل غزة قد عصوهُ بعد موت ارستوبولوس فسار الى عكا وحاصرها فبعث اهل عكا الى ليطرا ابن كليوبطره ملكة مصر يسالونهُ ان يسرع اليهم بالمجيء ليعينهم على اسكندر ويضمنوا لهُ ان يطيعوهُ وكان ليطرا قد هرب من امهِ كليوبطره واقام في قبرس فجاء ليطرا الى عكا في البحر ومعهُ ثلثون الف رجل لمعاونة اهل عكا . فلما علم اسكندر بمجيئهِ انصرف من عكا . واما اهل عكا فكرهوا ان يطيعوا ليطرا لانهم خافوا منهُ ورأَوا ان اسكندر خيرٌ لهم منهُ فابوا طاعة ليطرا ومنعوهُ من دخول عكا فعظم ذلك عليهِ لانهم غدروا بهِ بعد ان

طلبوهُ فوجَّه اليهِ صاحب صيدا يسالهُ على معاونتهِ في محاربة
اسكندر فاجابهُ الى ذلك فاتصل الخبر باسكندر فحمل الى ليطرا
مالاً كثيرًا وسالهُ ان يعاونهُ على صاحب صيدا ففعل ذلك فمضى
اسكندر الى صيدا ففتحها واستباحها وعاد الى اورشليم ظافرًا غانمًا

ثم وجَّه اسكندر الى كليوبطرة ملكة مصر في السر يقول لها
ان ابنك ليطرا الذي عصاكِ وانتِ تطلبينهُ قد خرج من قبرس
وهو مقيم في بلادي فان كنتِ تريدينهُ فاخرجي سريعًا بعسكركِ
حتى اسير انا ايضًا اليهِ بعسكري فيحيط بهِ العسكران ويطبقا
عليهِ فتظفري بهِ . فلما بلغ الخبر الى ليطرا عظم ذلك عليهِ فسار
الى جبل الجليل فقتل من اهلهِ خلقًا كثيرًا وسبى سبيًا عظيمًا
وتوجَّه الى اسكندر ليحاربهُ فنزل على الاردن وبلغ اسكندر خبرهُ
فسار اليهِ من اورشليم في عسكر كبير منهم ستة آلاف جبابرة
ابطال ومعهم اتراس من نحاس. وخرج اسكندر في ذلك اليوم يتكبر
ويتجبر ويعجب بنفسهِ وعسكرهِ ووصل الى ليطرا وهو نازل على
الاردن وكان حرب عظيمة بينهما استظهر فيها ليطرا على اسكندر
فهزمهُ وقتل من عسكرهِ الوف كثيرة وهرب من بقي منهم الى
الجبال والشِّعْر وعاد اسكندر الى اورشليم مكسورًا وكان سبب
ذلك اعجابهُ بنفسهِ وثقتهُ بعسكرهِ وتوكلهُ على عدَّتهِ وقلة توكلهِ

على الله عزَّ وجلَّ وكانت كليوبطرة ملكة مصر قد خرجت من
مصر تطلب ابنها ليطرا على ما كان اسكندر وافقها عليهِ. فلما بلغ
ليطرا خبرها ركب في البحر وعاد الى قبرس وورد الخبر الى
كليوبطرة بذلك فعادت الى مصر. ولما كان في
السنة سار اسكندر الى غزة ففتحها وقتل اهلها
لانهم كانوا عاونوا ليطرا عليهِ واحرق
هيكلاً لهم فيهِ صنم يعبدونهُ وقتل
جميع كهنة ذلك
الصنم وعاد الى
اورشليم



الفصل الثالث

ثم بعد ذلك اتفق حضور عيد المظال ودخل اسكندر الى القدس وصعد على المذبح في وقت القربان على رسم الكهنة فابتدأ قومٌ من اليهود في هذا العيد يلعبون بسعف النخل واتصل لعبهم على ما جرت بهِ عاداتهم ورسومهم فرمى احدهم بتُرُنجة فاصابت الملك فغضب اصحابهُ وقالوا للفريسيين كيف جسرتم على الملك بهذا وتهاونتم بحقهِ ولم توقروهُ ولا احتشمتم من جلالهِ فقالوا ما فعلنا ذلك تهاونًا بهِ ولاجرى منا هذا بالقصد لكنهُ امرٌ اتفق من غير قصد وهذا اللعب هو سنّة العيد والمقصود بهِ الفرح والسرور وما جرت العادة ان ينكر هذا. فلم يقبل اسكندر واصحابهُ هذا الاعتذار منهم لما في نفوسهم من عداوة الفريسيين ومقتهم وتردد الكلام بينهم الى ان شتم بعضهم اسكندر واسمعهُ القبيح فغضب اسكندر وامر اصحابهُ ان يقتلوهم فقتلوا في ذلك اليوم من الفريسيين ستة آلاف رجل

وامر اسكندر بعد ذلك ان يبنى حائط يقطع بهِ ما بين المذبح والصحن ولا يقترب احد من المذبح سوى الكهنة وخواص الامة وان تكون العامة في الصحن والحائط يحجز بينهم . فتاكدت العداوة بين الفريسيين والصدوقيين واستحكمت المصاخبات بينهم جدًّا وعَضَد اسكندر الصدوقيين على الفريسيين واتصلت الحروب بينهم مدة ست سنين هلك فيها من الفريسيين خمسون الف رجل ثم ان اسكندر اجتهد بعد ذلك ان يولف بينهم ويصلح احوالهم فلم يتمكن ولا تم لهُ ذلك . حينئذٍ مضى جماعة من الفريسيين الى ديمتريوس بن سلفانوس المسمى انتيوخوس وسالوهُ ان يعينهم على اسكندر وبذلوا لهُ مالاً كثيرًا فسار ديمتريوس في عسكرهِ مع من انضاف اليهِ من اليهود الى ان نزلوا على نابلس فخرج اليهِ اسكندر لمحاربتهِ فهزمهُ ديمتريوس وقتل اكثر رجالهِ فهرب اسكندر الى بعض الجبال فاقام هناك وتبعهُ اصحابهُ وجاءَ اليهِ كثيرون من اليهود الذين مع ديمتريوس فلما صار في عسكر كبير سار الى ديمتريوس لمحاربهُ فهرب ديمتريوس راجعًا الى بلادهِ . ثم عادت الحروب بين الفريسيين وبين اسكندر فهزمهم وقتل كثيرًا منهم وهرب الباقون فتبعهم اسكندر واخذ من كبراءِ الفريسيين ووجوههم ثمان مئة رجل فقتلوا وصلبوا بين يديهِ واستولى بعد ذلك على

جميع اليهود وقهرهم . ثم سار الى ديمتريوس لمحاربتهِ في عسكر كبير وفتح كثيرًا من بلادهِ فخرج اليهِ ديمتريوس لمحاربتهِ فظفر بهِ اسكندر وقتلهُ. ثم عاد الى اورشليم بعد ثلث سنين فاستقبلتهُ اليهود بالاكرام وتلقوهُ بالاجلال والاعظام لما ظهر لهم من بأسهِ وشجاعتهِ في محاربة ديمتريوس وظفر اسكندر بجميع اعدائهِ وقهر كل من قاومهُ ونازعهُ فاستقام امر مملكتهِ وعظمت هيبتهُ واعتز سلطانهُ

ذكر وفاة اسكندر بن هركانوس

ثم ان اسكندر اعتل بحمى الربع فدامت عليهِ ثلث سنين فنهكت جسمهُ واتحفتهُ ولما بلغهُ ان بعض المدن التي تحت طاعتهِ ان اهلها عصوا عليهِ سار لمحاربتهم وهو عليل وحمل معهُ امرأتهُ وكل حشمهِ وجواريهِ وكان اسم امرأتهِ اسكندرة فنزل على تلك المدينة وحاصرها فلما قويت عليهِ العلة وقرب منهُ الموت دنت منهُ اسكندرة امرأتهُ وبكت بين يديهِ وقالت لهُ يا سيدي قد علمت ما بينك وبين الفريسيين من العداوة وابناك صغيران وانا امرأة ونحن نضعف عن مقاومتهم فما هو رايك واي شيء تشير بهِ علينا فقال لها اسكندر اشير عليكِ اذا انا قضيت ما عليَّ من دين الموت ان تخفي موتي وتقيمي على هذه المدينة حتى تفتحيها فان امرها قد قرب فاذا افتتحتِها فافعلي بها ما كنت افعل بامثالها فاذا

فرغتِ من ذلك فعودي الى اورشليم واحمليني الى قصري سرًّا واستدعي وجوه الفريسيين ومقدميهم فاذا حضروا اكرميهم وخاطبيهم بالجميل وقولي لهم ان اسكندر قد مات وانا عارفة بعداوتهِ لكم وما قد فعلهُ بكم واريد اسلمهُ اليكم لتصنعوا بهِ ما شئتم وكما يحسن في رايكم واكون انا لكم من بعدهِ كما تختارون وعلى ما تؤثرون ولا اخالفكم في شيء فانكِ اذا قلتِ لهم هذا القول لم يفعلوا بي الاَّ الجميل لاني اعرف من اخلاقهم الرحمة وانهم لا يحقدون. وبعد ذلك فهم يوازرونكِ على اخذ الملك ويساعدونكِ لان العامة تتبع الفريسيين وتذعن لهم وتقبل قولهم فيستقيم امركِ بهم ويبقى الملك بيدكِ الى ان تكبر اولادكِ ويصلحوا للملك

ثم مات اسكندر فاخفت امرأتهُ موتهُ كما اوصاها وفتحت المدينة ثم عادت الى اورشليم فاستدعت وجوه الفريسيين وخاطبتهم بما كان اسكندر امرها بهِ واما هم فاجابوها بالجميل واظهروا الغم والحزن على اسكندر ثم جمعوا الناس وحملوهُ بالاكرام والاجلال ودفنوهُ مع ابائهِ واستمالوا الناس وعطفوا قلوبهم الى اسكندرة واشاروا عليهم ان يملكوها فقبلوا منهم وملكت اسكندرة على اليهود واستقام امرها بمعاونة الفريسيين لها وكانت مدة ملك اسكندر بن هركانوس سبعًا وعشرين سنة وخلف

ابنين وهما هركانوس وارسطوبولوس

اخبار اسكندرة الملكة وابنيها هركانوس وارسطوبولوس

فلما ملكت اسكندرة استدعت وجوه الفريسيين ومقدميهم فردت اليهم تدبير الناس وسياسة احوالهم وقلدتهم القيام بمصالح امورهم وبسطت ايديهم واظهرت اعزازهم واطلقت جميع من كان منهم في الحبوس واحسنت اليهم ووجهت الى كل من كان قد هرب منهم في زمان هركانوس حميها وزمان اسكندر زوجها فامّنتهم وردتهم الى اورشليم ورجعت عن مقالة الصدوقيين الى مقالتهم وتمسكت بمذاهبهم فلما انتشأ ابناها جعلت هركانوس كاهنًا كبيرًا لانهُ كان متواضعًا وديعًا خيرًا وجعلت ارستوبولوس وهو الاصغر صاحب الجيش لانهُ كان بهيًا شجاعًا جبارًا على الحروب جسورًا وضمت اليهِ عسكر الفريسيين وجعلتهُ رئيسًا عليهم ووجهت الى جميع الذين كانوا تحت طاعتهم فاخذت روساءهم ليكونوا رهائن عندها فدامت طاعتهم لها بذلك وحملهم الخراج والهدايا كل سنة فامنت واستقام ملكها وقوي امرها

فلما قوي امر الفريسيين اجتمع روساؤهم وجاءوا الى اسكندرة ومعهم ابنها هركانوس وقالوا لها يا ايتها السيدة الجليلة قد تحققتِ وعلمتِ ما فعلهُ الملك اسكندر سامحهُ الله من المكروه والاذى

بنا وكل ذلك انما صار براي الصدوقيين وهم الذين حملوهُ الى ذلك وعلى قتل ثمان مئة من شيوخنا ومقدمينا وصلبهم ونريد منكِ ان تطلقي لنا ان نقتل من روسائهم عوضًا عمَّن قتل منا فقالت لهم اسكندرة افعلوا ما احببتم فمضى حينئذٍ الفريسيون الى رجل كبير من روساء الصدوقيين اسمهُ دياخيس وهو الذي كان حمل الملك اسكندر على قتل الفريسيين فاخذوهُ وقتلوهُ مع جماعة اخرى منهم. حينئذٍ اجتمع كثيرون من الصدوقيين وجاءوا الى اسكندرة ومعهم ارسطوبولوس فقالوا لها انتِ قد علمتِ ما لقينا مع اسكندر ملكنا من الشدائد والاحوال في الحروب وانَّا لم نزل باذلين نفوسنا في نصرتهِ ومحاربة اعدائهِ حتى غلبهم وقهرهم وقوي ملكهُ واستقام امرهُ بنصرتنا لهُ ومحاربتنا لاضدادهِ فكيف تناسى جلالك ذلك ولم تراعي لنا ولا اليسير من حقنا ولم تذكري شيئًا من نصحنا وخالص ودنا لكن اهملتِنا وطرحتِ جانبنا ولم تحفظي لنا عهدًا ولا مودةً ولا نصيحةً بل رفعتِ اقدار اعدائنا وهم الفريسيون وبسطتِ ايديهم علينا حتى بلغوا مرادهم فينا وانتِ تعلمين انهم اعداء اسكندر والذين يبغضونهُ اما نحن فانصارهُ والان فان كنتِ تراعين نصحنا لكم وخدمتنا في دولتكم فهو اللائق بكِ والاشبه والاكثر نفعًا وقد كان يجب عليكِ ان تراعينا وتحسني المحافظة

لنا بسبب الامم والممالك الذين يعادونكم فانهم قد كانوا يهابونكم ببأسنا وما لنا فاذا بلغهم انكم قد ابعدتمونا واسقطتمونا سرهم ذلك لانهم يعلمون حينئذٍ انهُ لم يبقَ معكِ من تتقوين بهِ فانهم يطمعون في مملكتكِ ولا تأمنين من ان يعصوكِ ويحاربوكِ ثم لا تدرين كيف يكون الحال واما نحن فلا نرجع عن طاعتكِ ولا نختار معصيتكِ غير انَّا لا نصبر على اذلال الفريسيين لنا واستطالتهم علينا ولا نرى ان يقتلونا مثل الغنم ونحن نقدر ان ندافع عن انفسنا فاما ان تكفيهم عنا وتقبضي ايديهم عن اذيتنا واما ان تطلقي لنا الخروج من المدينة ولنتفرَّق في الضياع البعيدة ولا نرى في انفسنا وفي اصحابنا ما نكرههُ . ثم بكوا بكاءً شديدًا حرقًا وبكت اسكندرة ايضًا لبكائهم واعانهم ايضًا ابنها ارسطوبولوس في الكلام فبقيت اسكندرة حائرة لا تدري ما تقول ثم غلب عليها ضعف راي النساء وقلة معرفتهنَّ بالصواب فقالت للصدوقيين اخرجوا من اورشليم الى حيثما شئتم ولا تقيموا مع الفريسيين فانهم اعداؤُكم ولست آمن عليكم منهم وتوهمت اسكندرة ان الشر ينقطع وكان الامر بخلاف ذلك . فخرج الصدوقيون من اورشليم وخرج معهم وجوه العسكر وابطالهُ وجبابرتهُ وتفرقوا في الضياع واقاموا بها وكان ذلك سبب ضعف اسكندرة ومخالفة اقوام كثيرين لها ممن يطيعونها

واستطالتهم عليها وسبب ما جرى بعد موتها من المنازعات والحروب بين اولادها هركانوس وارسطوبولوس

ذكر وفاة اسكندرة

ثم اعتلت اسكندرة العلة التي تُوفيت بها وكانت مدة ملكها تسع سنوات ولها من العمر ثلث وسبعون سنة وكانت حسنة الديانة مستقيمة الطريقة ولم يُعرَف لها زلل ولا خطاءٌ ولا شيءٌ يُذَمُّ من تدبيرها ولا ما يُعاب في سياستها غير ما جرى منها في امر الصدوقيين واحوالهم وملك بعدها ابنها ارسطوبولوس

خبر ارسطوبولوس بن اسكندر وهو الثامن من ولاة بني حشمناي والرابع ممن لقب باسم ملك

ولما مرضت اسكندرة وأَيِسَ منها ابنها ارسطوبولوس خرج من اورشليم في الليل ومضى الى الضياع التي فيها الصدوقيون فاخبرهم بمرض امهِ واستنهضهم الى نصرتهِ ومعونتهِ على اخذ الملك فضمنوا لهُ ذلك فاتصل خبرهُ بامهِ اسكندرة فخافت منهُ فامرت بالقبض على امرأتهِ وابنيهِ واعتقالهم وقوي امر ارسطوبولوس باجتماع رجال الصدوقيين وميلهم اليهِ ومعاونتهم لهُ وجاءَ اليهِ من جبل لبنان وجبل الجليل وغيرهما من بلدان اليهود رجال كثيرون فسار في عسكر عظيم وضرب بالبوق ثم عمل على محاربة اخيهِ هركانوس

والفريسيين وبلغهم ذلك فاشتد خوفهم من ارسطوبولوس فدخلوا الى اسكندرة وهي مريضة فذكروا لها شدة خوفهم من ارسطوبولوس ومن معهُ على ابنها هركانوس وعلى نفوسهم فقالت انا على سبيل الموت واهتمامي بامري احرى واولى وما الذي اقدر ان اصنع وانا على مثل هذه الحال هوذا رجالنا وعددنا واموالنا في ايديكم فدبروا الامر بحسبما يتجه لكم صوابهُ واستعينوا بالله على اموركم والى اليوم كفاءة ثم قضت نحبها

ذكر محاربة ارسطوبولوس لاخيهِ هركانوس

اما ارسطوبولوس فسار في عسكرهِ ونزل على الاردن فخرج اليهِ اخوهُ هركانوس بعسكر الفريسيين فتحاربا فانهزم هركانوس الى اورشليم فتبعهُ ارسطوبولوس ونزل على المدينة واحاط بها العساكر من كل جهةٍ وعمل على هدم الحصن فخرج الكهنة واشياخ اليهود والقوا نفوسهم بين يديهِ وسالوهُ ان يكفَّ عن قتالهم وان يصالح اخاهُ فاجابهم الى ذلك واستقر الراي بينهم على ان يكون ارسطوبولوس ملكًا مسلطًا واخوهُ هركانوس كاهنًا كبيرًا في بيت الله وتحالفا على ذلك وتعاهدا واستقامت امورها وامر الرعية والبلاد وانقطعت الفتن والحروب ولم يزل الامر كذلك الى ان افسد انتيبطرس بين هركانوس واخيهِ واوقع بينهما الشر والعداوة

وكان ذلك سبب اتصال الحروب والفتن في الامة

اخبار انتيبطرس وهو ابو هيرودس الملك وذكر ما ثار من الشر بين هركانوس واخيهِ ارسطوبولوس

كان انتيبطرس رجلاً من بعض اليهود من اولاد بعض مَن طلع من بابل مع عزرا الكاهن وكان ذا عقل وراي وشجاعة وباس وكان فيهِ مع ذلك تشرر عظيم ومكر ودهاءٌ وحيلة وتلطُّف وكان موسرًا كثير المال والانعام والضياع والمواشي وقد قال قائلون عنهُ هذا وان الملك اسكندر بن هركانوس هو الذي ولاَّهُ بلد ادوم وهي جبال الشراه فاقام فيها سنين كثيرة قالوا وتزوَّج امرأةً من اهل ادوم وولدت لهُ من البنين اربعة وهم فزائيل وهيرودس وفيروراس ويوسف واخت لهم سميت اسلوميت وقد ذكر قوم اخرون من العلماء ان انتيبطرس هذا لم يكن بالجملة من بني اسرائيل بل كان من عبيد الكهنة المكابيين بني حشمناي وكان من الامم المتعبدين للاصنام عسقلانيًا مذهبهُ وثنيًا لا عبرانيًا . ولما مات اسكندر بن هركانوس وملكت بعدهُ اسكندرة عزلت انتيبطرس هذا عن جبال الشراه فاقام بمدينة القدس وقد كان بينهُ وبين هركانوس ابن اسكندرة مودة اكيدة فلهذا السبب كان عندهُ لا يفارقهُ في اكثر الاوقات فشق ذلك على الملك

ارسطوبولوس لعلمهِ بمكر انتيبطرس ولما احسَّ انتيبطرس بذلك وشعر بهِ خاف على نفسهِ فانقطع عن مجلس هركانوس واخذ في التدبير على حتف ارستوبولوس والاحتيال في هلاكهِ فقصد وجوه الدولة سرًّا واقبل يذكر لهم طريقة ارستوبولوس وظلمهُ وتغلبهُ على الملك الذي كان اخوهُ الاكبر زعم انهُ احق بهِ منهُ ويخوفهم من الله عزَّ وجلَّ ويلومهم كناصح لهم كيف يرضون بذلك ولم يزيلوا الظلم ويردوا الحق الى اهلهِ وعلى الجملة لم يترك انتيبطرس احدًا من وجوه الدولة وكبرائها حتى خاطبهُ بمثل ذلك واستمالهُ الى طلبة هركانوس ونصرتهِ واثناهُ عن ارسطوبولوس وحملهُ على مخالفتهِ بتلطفهِ وخديعتهِ ومكرهِ ومخاتلتهِ ودهائهِ وسوءِ حيلتهِ وهركانوس لم يشعر بذلك ولا علم بشيءٍ منهُ . فلما فرغ من موافقة القوم على ما اراد سار الى هركانوس في السر فقال لهُ انني قد علمت وتحققت ان ارسطوبولوس اخاك يريد قتلك لانهُ يرى انهُ على غير ثقةٍ من بقاءِ الملك بيدهِ ما دمت انت بالحيوة لانهُ يعلم انك احق منهُ لان الناس يميلون اليك ويعلمون انهُ ظالم لك فهو لذلك يريد قتلك ويرصد وقتًا يتم لهُ ذلك فيهِ فيهلكك فيجب ان تنظر لنفسك وتكون منهُ على حذر فانهُ ان وجد السبيل الى قتلك فما يبقى عليك فلم يمِل هركانوس الى هذا القول من انتيبطرس لفضلهِ

وطهارة قلبهِ وسلامة نيتهِ وسكون سريرتهِ ولانهُ ايضًا لم يتبين لهُ من اخيهِ امر ينكرهُ فاقبل انتيبطرس يكرر هذا القول على هركانوس في كل وقت ويحذرهُ ويخوفهُ من اخيهِ واستعان لكثرة غشهِ بقوم من اصدقاءِ هركانوس وثقاتهِ وحمل اليهم مالاً وسالهم ان يخاطبوهُ بمثل ذلك ففعلوا ولم يفتروا من تكرار هذا القول على هركانوس حتى قبلهُ وتمكن في نفسهِ وخاف من اخيهِ واستوحش. فلما علم انتيبطرس ان كلامهُ قد اثر وحيلتهُ قد تمت مضى الى هركانوس واشار عليهِ ان يخرج من المدينة ويمضي الى هريمة ملك الاعراب ليامن على نفسهِ من اخيهِ اذا بعد عنهُ. ومضى انتيبطرس الى ملك الاعراب فوافقهُ على مجيء هركانوس اليهِ واعلمهُ انهُ قد رغب في ناحيتهِ وكره مجاورة اخيهِ ارسطوبولوس فوافق ذلك ملك الاعراب وسرهُ فاجاب اليهِ لانهُ كان محبًّا لهركانوس فعاهدهُ انتيبطرس على انهُ لا يسلمهُ ابدًا ولا هركانوس ايضًا الى من يعاديهما وان يصونهما ويحميهما ويمانع عنهما. فلما عاهدهُ على ذلك ووثق منهُ عاد الى اورشليم فاخبر هركانوس بما صنع واشار عليهِ بتعجيل المسير الى هريمة ملك الاعراب فخرج هركانوس في الليل وانتيبطرس معهُ فسارا الى هريمة ملك الاعراب فتلقاهما واكرمهما واقاما عندهُ اياماً ثم ابتدأ انتيبطرس يحرك هريمة الى محاربة ارسطوبولوس ومعاونة

اخيهِ هركانوس على اخذ الملك فامتنع ملك الاعراب عن ذلك لخوفهِ مما كان قد جرى عليهِ من ابيهما وذلك ان اسكندر اباهما كان قد نكب ملك الاعراب ثلث مرات وقتل رجالهُ واستباح ديارهُ وبلادهُ الاَّ ان انتيبطرس لم يزل يشجع هريمة ملك الاعراب ويصغر عندهُ امر ارسطوبولوس ويذكر لهُ ان اكثر اليهود يمقتونهُ ويشناونهُ ويميلون الى اخيهِ هركانوس حتى اجابهُ هريمة الى ذلك واشرط على هركانوس انهُ يرد عليهِ جميع ما كان اسكندر ابوهُ اخذهُ من ضياعهِ فضمن لهُ هركانوس ذلك وعاهدهُ عليهِ. ثم سار هريمة مع هركانوس في عسكر كبير لمحاربة ارسطوبولوس فلقيهم ارسطوبولوس في عسكر كبير ايضاً فلما التقوا استأمن اكثر رجال ارسطوبولوس الى هركانوس حتى لم يبقَ معهُ منهم الاَّ القليل. فلما رأَى ارسطوبولوس ذلك امتنع من المحاربة وهرب في الليل ودخل اورشليم وتحصن فيها. ثم جاءَ هركانوس وملك الاعراب بعسكرهما ومن انضاف معهما من اصحاب ارسطوبولوس فنازلوا المدينة وكان اكثر اهلها بل كلهم واكثر الكهنة مع ارسطوبولوس فاتصلت الحروب بين الفريقين وعظمت الفتن ببلاد اليهود الى ان انتقل كثيرون من اهل الخير ومَن قصدهم السلامة الى مصر

وما جرى في تلك المدة ان عيد الفطير حضر وطلع الكهنة

الى الحصن وقالوا لليهود الذين مع هركانوس انتم تعلمون ما اوجبهُ الله عزَّ وجلَّ من الفرائض والذبائح وليس عندنا من البقر والغنم ما نقربهُ ويلزمكم من هذا الامر مثل ما يلزمنا فاتقوا الله ولا تعطلوا فرضهُ وتبطلوا اعيادهُ وتمنعوا قرابينهُ واعطونا من البقر ومن الغنم ما نودّي بهِ الفرض فقالوا ما نفعل ذلك الاَّ اذا اعطيتم لنا لكل راس الف دينار فرضي ارسطوبولوس والكهنة وعاهدوهم على ذلك فجمعوا المال وانزلوهُ اليهم من الحصن. فلما صار اليهم المال غدروهم واخذوا المال ولم يعطوهم شيئًا فعظم ذلك على الكهنة فدعوا عليهم فضربهم الله بغلاء عظيم فهلك منهم كثير

وكان في ذلك الزمان شيخ يقال لهُ يوحانان وكان صالحًا تقيًا مشهورًا بالورع والعبادة وكان اهل عصرهِ يعظمونهُ وقد اعتقدوهُ مستجاب الدعاء وان الله يمنحهُ مسألاتهِ في اكثر طلباتهِ فاتفق ان قومًا من اليهود الذين مع هركانوس وجدوا هذا الشيخ بقرب المدينة فجاءوا بهِ الى عسكرهم فقال لهُ مقدمهم قد تحققنا انك مقبول الدعاء ونريد ان تستكفي داعيًا على ارسطوبولوس وعلى الكهنة الذين معهُ طالبًا من الله ان يظفرنا بهم اجابهم الشيخ ما يجوز ان ادعو عليهم ولا عليكم لانكم جميعكم شعب الله وامتهُ واولئك ايضًا هم اولياؤُهُ سبحانهُ وخدامهُ وكهنتهُ بل الواجب ان

ندعو لكم ولهم ونستعطفهُ في ما يصلح شانكم ويحسن بهِ حالكم ولما جهدوا بهِ ان يجيبهم الى ما طلبوهُ منهُ فلم يجبهم. فلما اكثروا عليهِ وتوعدوهُ بالقتل رفع يديهِ الى السماء وقال ايها الرب العظيم انت خلقت الخلق وانت ما لكهم وقلوبهم بيديك تصرفها كما تشاء فاسالك ان تصلح قلوب امتك وقلوب كهنتك وقوّم آراءهم واعطف هواجسهم الى طاعتك ولا تعن بعضهم على بعض في مكروهٍ لكن كن لهم مساعدًا في الخير والصلاح واصرف اللهمَّ الشر عنهم واقصِ العداوة من بينهم واعطف قلب الواحد منهم للآخر كي يتفقوا على ما يرضيك ويقرب منك ولا توازر الشعب على كهنتك ولا تظافر كهنتك على شعبك ليوصلوا مكروهًا الى امتك

فلما رأى القوم ان الشيخ لم يدعُ بما ارادوا وثبوا عليهِ فقتلوهُ فما اخَّر الله عقوبتهم فوقع الوبا فيهم ومات منهم خلق كثير

اخبار بمبيوس صاحب جيش الروم

واتفق في ذلك الزمان ان بمبيوس صاحب جيش الروم وعظيمهم خرج لمحاربة السريان لان اهل دمشق وحمص وحلب وما يليها من بلد سوريا كانوا قد عصوا الروم فخرج بمبيوس اليهم ووجَّه بقائد من قوادهِ يقال لهُ شكاروس الى دمشق لمحاربة من

بها ومضى الى حلب وما يليها ومضى شكاروس الى دمشق ففتحها واقام بها ولما علم ارسطوبولوس بان شكاروس قد حصل بدمشق وجّه اليهِ رسلهُ ووجّه اليهِ هركانوس رسلهُ يسالهُ ان يسير اليهِ ليعاونهُ على اخيهِ فامتنع شكاروس عن المسير الى احدهما بل انهُ كتب الى هريمة ملك العرب يامرهُ بان ينصرف عن اورشليم وينهاهُ عن معاونة هركانوس وتوعدهُ ان خالفهُ انهُ يسير اليهِ بعساكرهِ ويستاصلهُ فلما وصل كتابهُ الى هريمة رحل وعاد الى بلادهِ ومضى معهُ هركانوس وانتيبطرس . ثم ان افيفوس عظيم الروم جاء الى دمشق فارسل اليهِ ارسطوبولوس رسلاً وارسل معهُ هدايا جليلة في جملتها لسان ذهب من صنعة عجيبة وزن الجميع خمس مئة بدرة وسالهُ ان يعاونهُ على اخيهِ هركانوس ووجه اليهِ هركانوس ايضاً بانتيبطرس صاحبهِ الى دمشق وسالهُ ان يعينهُ على اخيهِ ارسطوبولوس ولم يبعث معهُ هدية فرغب افيفوس في معاونة ارسطوبولوس بسبب الهدية التي حملها اليهِ لان رسلهُ كانت قد سبقت اليهِ فلما علم انتيبطرس بذلك خلا بهِ وقال ان الهدية التي حُملت اليك من ارسطوبولوس لا تُستَردّ منك ولك عند هركانوس اضعافها اذا عاضدتهُ على اخذ المملكة وارسطوبولوس لا يقدر ان يلزم اليهود بطاعتك اما هركانوس فيقدر على ذلك

لان جميع اليهود يطيعونهُ ويقبلون منهُ فاذا طاعك اليهود صار لك بذلك الذكر العظيم والاسم الكريم بين الملوك ما لم يكن لاحد قبلك من الروم لان هركانوس الكاهن الاكبر لايخالفهُ احد من اليهود في ما يقولهُ . فوقع في نفس افيفوس كلام انتيبطرس وسرَّهُ ان يتمّ لهُ طاعة اليهود فقال لانتيبطرس انا اعاون صاحبك هركانوس الَّا انهُ لا بد من ان اظهر لارسطوبولوس اني اعاونهُ عليكم ليطمئن اليَّ فاني لست آمنهُ اذا علم اني اعاون اخاهُ عليهِ ان يعصى ويجمع الرجال علينا فلا نقدر عليهِ فانا ارى ان اعِدهُ بالمعونة واسير معهُ الى اورشليم فاذا صرت هناك بلغت صاحبك ما يريدهُ على انكم تعاهدوننا ان تكونوا تحت طاعتنا وتحملوا لنا الخراج في كل سنة فضمن لهُ ذلك انتيبطرس وعاهدهُ عليهِ

ثم كتب بمبيوس كتابًا لارسطوبولوس يامرهُ ان يصير اليهِ ليوافقهُ على ما يريدهُ وعاد انتيبطرس الى هركانوس واعلمهُ بما وافقهُ بمبيوس واشار عليهِ بلقائهِ فسار هركانوس وانتيبطرس الى دمشق ومعهم جماعة كثيرة من مشايخ اليهود وكبرائهم وسار ارسطوبولوس ايضًا وحصل الجميع في منزل بمبيوس فابتدأ انتيبطرس ومن معهُ من مشايخ العبرانيين وقالوا لبمبيوس ايها القائد الجليل احكم بيننا وبين ارسطوبولوس لانهُ قد تعدى علينا

وتغلب على مملكتنا ودافع اخاهُ هركانوس عن الملك وهو الاكبر سناً واحق بهِ على ما في شريعتنا ولانهُ ايضاً احمد طريقةً واكثر تقىً واحسن ديانةً ثم لم يقنعهُ ظلمهُ اخاهُ حتى ظلم جميع الامم الذين يجاورونهُ وقتل منهم خلقاً كثيراً واخذ اموالهم واوقع بيننا وبينهم عداوة ما اردناها ولا اخترناها واقاموا الف شيخ من اليهود الذين معهم شهوداً لهم يشهدون بصحة قولهم قال عند ذلك ارسطوبولوس حقاً ان اخي اكبر مني سناً وانا ما تغلبت على الملك ولا صددت اخي عنهُ ولكن لما رايت الملك بعد ابينا قد اضطرب ومن كان يطيعنا من الامم عصانا وطمعوا فينا ورأيت ان اخي لا ينهض بتدبير المملكة وسياستها وخشيت عليهِ من اعدائنا وظفر غيرنا من اضدادنا بنا فيذهب ملكنا وتبطل امورنا رأيت من الواجب عليَّ ان اتولى تدبير المملكة وحفظها اذ كنت انهض بذلك من اخي واقدر عليهِ منهُ فتوليت ذلك وقمت بهِ وحاربت اعداءنا ومن عصانا من الامم حتى قهرتهم ورددتهم الى طاعتنا وزال ما كنا نخافهُ منهم وانتظم امرنا واستقام ملكنا وبهذا رضي ابونا قبل وفاتهِ وقد اوصى ان اكون انا متولياً المملكة اذا كبرت لاني كنت صغيراً حين استكمل حياتهُ ولو الدتنا اوصى بذلك لعلمهِ ان اخي لا ينهض بالملك ولا يستقل بواجبات القيام فيهِ

ولا يقدر على تدبيرهِ

وان ارسطوبولوس احضر جماعة كثيرة من اليهود يشهدون بصحة قولهِ فيما ذكرهُ وكان القوم الذين احضرهم شباباً حسنة صوَرهم عليهم ثياب بهجة منسوجة با لذهب واللولو عليها حجارة نفيسة فجعل بمبيوس ينظر اليهم ويتعجب من حسن صوَرهم وجمال منظرهم وظرافة زيهم ورشاقتهم وحركاتهم وازدادت رغبتهُ في ان تكون اليهود تحت طاعتهِ لما شاهدهُ من ايسارهم وعاينهُ من عظيم قدرهم ورياستهم . ثم قال بمبيوس لهركانوس وارسطوبولوس لا ينكشف لي هذا الامر واتبينهُ واعرف حقيقتهُ الاَّ بعد نزولي الى اورشليم . ثم ارتحل من دمشق فبعث حينئذٍ انتيبطرس الى جميع المدائن التي كان ارسطوبولوس قد قهرها بباسهِ وشجاعتهِ والزمهم الخضوع لهُ تحت طاعتهِ فوافقهم على ان يلتقوا بمبيوس متظلمين لهُ مستعينين لهُ على ارستوبولوس شاكين ومستصرخين عليهِ ففعلوا ذلك فتقدم بمبيوس الى ارسطوبولوس بان يرد لهم جميع ما اخذهُ منهم ويكتب على نفسهِ انهُ لا امر لهُ عليهم وانهُ لا يتعرَّض لهم بذلك ففعل ارسطوبولوس ما امرهُ بهِ بمبيوس وخرج القوم عن طاعة اليهود فلما رأَى ارسطوبولوس ما فعل بهِ بمبيوس استوحش منهُ وهرب بالليل مع من معهُ من اصحابهِ ومضى الى اورشليم وتحصن فيها فلما

علم بمبيوس بذلك سار في اثرهِ فنزل في اريحا ثم سار من اريحا الى اورشليم فنزل عليها[1]

فلما نزل بمبيوس على اورشليم خرج اليهِ ارسطوبولوس واعتذر لهُ فقبلهُ بمبيوس وصفح لهُ فقال لهُ ارستوبولوس اسالك ان تعينني على اخي ولاتحط قدري عند قومي ولا تشمت بي اعدائي وتمكنهم مني ولك عليَّ كلما تريدهُ فقال لهُ بمبيوس احمل اليَّ كلما في بيت الله من الاموال والجواهر حتى احملهُ الى هيكل المشتري برومية وانا ابلغ بك الى ما تحب فقال ارستوبولوس جميع ما في الهيكل هو لك فوجّه من يحملهُ اليك فوجّه بمبيوس قائدًا من اصحابهِ في جماعة من الجند الى هيكل القدس فقبض على ما فيهِ فمنعهُ الكهنة والعوام من ذلك واخرجوهُ من المدينة وقتلوا

---

١ قيل ان اريحا انما سميت بهذا الاسم لانهُ مشتق من الرائحة وذلك لطيب ريح البلد لكثرة البلسان فيها وانهُ كان من قديم الزمان لا يوجد الا بها اي باريحا وكان كثير من الملوك قد نقلوا منهُ الى بلادهم فلم يفلح منهُ شيءٌ الا ما نقل الى مصر ولم يزل البلسان في اريحا الى ان خرب القدس في المرة الاخيرة فجف وبطل وبقي بمصر الى هذه الغاية. اخبر بعض العلماء الفضلاء انهُ وقف على هذا الكتاب يونانيًا وقراهُ وتفرج في حدائقهِ وتنزه في رياضهِ وهو كتاب كبير جدًّا وحاشا مصنفهُ يوسيفوس ان يكتب افكًا او محالاً او يميل الى التعصب وذلك انهُ كان رجلاً فيلسوفًا منصفًا ما تكلم قط بغرض وانما اليهود حذفوا من الكتاب اكثرهُ وذلك ان الرجل لما كتبهُ باليوناني كتبهُ في مدينة رومية ونقل منهُ اليهود الى اللغة العبرانية ما وافقهم وحذفوا منهُ اكثرهُ سيما اخبار تدل على ولادة ربنا يسوع المسيح وتهجم هيرودس وقتلهِ النفاقي للاطفال وما جرى من الصابغ يوحنا من التعليم الجديد والاشارات الدالة على المصلوب في ايام طيباريوس قيصر انهُ هو الاله جميع ذلك حذفوهُ على الصحيح

بعض اصحابهِ فغضب بمبيوس على ارسطوبولوس وقيدهُ وركب في عسكرهِ ليهجم على المدينة ويقتل اهلها فخرج اليهِ من المدينة خلق كثير فحاربوهُ وقتلوا كثيرين من رجالهِ واغلقوا الابواب ومنعوهُ من الدخول الى المدينة

فلما كان بعض الايام وقع في المدينة بين اصحاب ارسطوبولوس واصحاب هركانوس شر عظيم وقتال كثير ولما كثر الحرب بينهم وعلم بمبيوس بذلك تقدم الى المدينة بعسكرهِ ففتح لهُ بعض اليهود الباب فدخل وقبض على قصر الملك ومضى الى الهيكل ليقبض على هيكل الله فلم يمكنهُ ذلك لان الكهنة اغلقوا ابواب القدس وضبطوا طرقهُ بالرجال فبعث اليهم بمبيوس بقوادهِ وجندهِ وامرهم بمحاربتهم وكان ذلك في الشهر الرابع وهو شهر تموز فقام الحرب بينهم وبين الكهنة الى يوم الصوم وهو اليوم السابع عشر من الشهر فلما كان يوم الصوم وقد كانت الكهنة في القدس يقربون القرابين على رسومهم وقد كلوا وتعبوا من القتال والحرب امر بمبيوس اصحابهُ ان ينصبوا كبش الحديد على سور القدس وينطحوا بهِ السور فلما فعلوا ذلك انهدم من السور برج واحد فدخل الروم وقتلوا جماعة كثيرة وقد كان الكهنة في تلك الساعة يخدمون خدمتهم لله سبحانهُ فلم يمتنعوا من اجل الهيج ولا انزعجوا

مضطربين ولاانتزحوا عما كانوا قد ابتدأُوا فيهِ من تقريب القرابين
وتقدمة الضحايا بل كان الواحد يشجع الآخر ويؤيده قائلين احدهم
لرفيقهِ يجب ان نتمّم خدمة الفرض ولانعطلها الى ان نقتل كلنا
في طاعة الله وكانوا يترددون بين اعدائهم في الخدمة واذا سقط
احدهم مقتولاً اخذ رفيقهُ ما معهُ من القربان واذا قتل هذا ايضاً
اخذ الآخر ما معهُ من الخدمة ليتمها الى ان كملوا خدمتهم وهم
يقتلون الى ان عدم اكثرهم وامتزجت دماؤُهم بدماء القرابين وماتوا
في طاعة الله

وفي ذلك الوقت تذكروا ما تجافوا بهِ على الشيخ يوحانان
الذي تقدم ذكرهُ والتمسوا منهُ دعاء بحسب شهوات قلوبهم
فامتنع لورعهِ وتقواهُ فقتلوهُ فانتقم الله لدمهِ وسفك دماء كثيرين
منهم وجاء بمبيوس ودخل الى هيكل الله مع قوادهِ فلما عاين جمال
القدس وبهجتهُ تداخلت في قلبهِ هيبتهُ ونظر الى ما فيهِ من
الاموال والجواهر فاستعظم ذلك ولم ياخذ منهُ شيئًا واستدعى
من بقي من الكهنة وامرهم بدفن المقتولين وتنظيف القدس
وتطهيرهِ وان يقربوا فيهِ القرابين على عادتهم ثم خرج بمبيوس
فملك هركانوس على اليهود وقيد ارسطوبولوس وقتل كثيرين
من اصحابهِ وازال يد اليهود عن الامم الذين كانوا تحت طاعتهم

وردَ بلدانهم لهم وهي المدن والرساتيق والضيع والكور والاعمال من اوطية وجبال كان المكابيون الكهنة بنو حشمناي قد ملكوها بسيوفهم من الامم وجعل على اليهود خراجًا يحملونهُ الى رومية كل سنةٍ. ثم ارتحل بمبيوس الى اورشليم راجعًا الى رومية واستخلف هركانوس وانتيبطرس وجعل معهما قائدًا من اصحابهِ يقال لهُ كينانوس وحمل معهُ ارسطوبولوس مقيدًا مع ابنين لهُ وتخلف لهُ في البلد ولد اخر يسمى اسكندر لانهُ هرب ففات بمبيوس ان يظفر بهِ

فلما سار عن اورشليم مضى هركانوس وانتيبطرس وشكاروس الى العرب ليدعوهم الى طاعة الروم فلما علم اسكندر بن ارسطوبولوس ذلك وان هركانوس عمهُ قد خرج عن مدينة القدس جاء ودخل مدينة اورشليم في السر من الموضع الذي كان مختفيًا فيهِ فتلقاهُ اهلها واكرموهُ وملكوهُ عليهم وبنى ما كان بمبيوس هدمهُ من سور المدينة واجتمع اليهِ خلق كثير فلما عاد هركانوس ومن معهُ الى اورشليم خرج اليهم اسكندر وحاربهم فهزمهم وقتل منهم خلقًا كثيرًا

خبر كينانوس الرومي

وكان قائد من قواد الروم يقال لهُ كينانوس قد خرج من

بلاد رومية يريد بلاد سوريا فلما بلغهُ ما فعلهُ اسكندر بن
ارسطوبولوس سار الى اورشليم لمحاربتهِ وانضاف اليهِ هركانوس
ومن معهُ فخرج اليهِ اسكندر من اورشليم ليحاربهم فهزموهُ ففر هاربًا
الى حصن يسمى اسكندرونة فتحصن فيها فحضر كينانوس اليهِ
فحاصرهُ وضيق عليهِ فخرج اليهِ اسكندر مستأمنًا فقبلهُ واحسن
اليهِ . وفي ذلك الزمان هرب ارسطوبولوس اخو هركانوس وابو
اسكندر هذا من رومية ومعهُ احد اولادهِ وهو انتيغونوس وجاء
الى بلد اليهودية فاجتمع اليه خلق كثير فلقي كينانوس فحاربهُ فهزمهُ
كينانوس وقتل اكثر رجالهِ واخذهُ ماسورًا محمولاً الى رومية فلم
يزل محبوسًا بها الى ان تغلب قيصر على ملك رومية وطرد الشيخ
منها وقتل اصحابهُ كما سياتي ثم بلغ قيصر ان بمبيوس قد جمع
العساكر لمحاربتهِ فاطلق ارسطوبولوس من الحبس واحسن اليهِ
وضم اليهِ قائد بن في اثني عشر الف رجل وامرهُ ان يمضي الى بلد
الشام والى بلد اليهودية فيرد القاطنين بهما الى طاعتهِ من طاعة
بمبيوس ويوافقهم على ان يعينوهُ على بمبيوس فلما خرج
ارسطوبولوس من رومية خاف بمبيوس فكتب الى انتيبطرس
يامرهُ بان يحتال عليهِ ويكفيهُ امرهُ فاستدعى انتيبطرس قومًا من
وجوه اهل اورشليم وامرهم ان يمضوا فيلاقوا ارسطوبولوس ويقولوا

لهُ انهم رسل من اهل اورشليم ارسلوهم للقائهِ والسلام عليهِ واعطاهم انتيبطرس سمًا قاتلًا وامرهم بان يحتالوا حتى يسموهُ فسار القوم الى ارسطوبولوس فتلقوهُ ببلد الشام فقبلهم واكرمهم فاقاموا اياماً ثم دققوا الحيلة الى ان اسقوهُ ذلك السم فمات ودفن ببلد سورية وكان مدة ملكهِ الى ان أُسر في الدفعة الاولى ثلث سنين ونصف وقد كان رجلًا بهيًا شجاعًا كريمًا مفضالًا وقد كان كينانوس قبل ذلك كاتب الشيخ صاحب رومية في اطلاق من بقي من اولاد ارسطوبولوس برومية لان امهُ سالتهُ في ذلك فاطلقهم وعادوا الى اورشليم وكان لما بعد بمبيوس عن القدس نقضوا ما كانوا وافقوهُ عليهِ من الطاعة للروم فسار كينانوس اليهم فحاربهم فنصر عليهم وردهم الى طاعة الروم

ثم بلغهُ عن اهل مصر انهم عصوا ملكهم بطليموس وطردوهُ وامتنعوا من حمل الخراج الى الروم فسار اليهم كينانوس ومعهُ انتيبطرس وحاربهم وقتل منهم عدة جزيلة ورد بطليموس الى ملكهِ واستقام امر اهل مصر وعاد كينانوس الى اورشليم فجدد الملك لهركانوس على اليهود وقدم انتيبطرس ورفع منزلتهُ ثم عاد الى رومية

خبر كرسوس الرومي

فلما عاد كينانوس الى رومية عصت العجم على الروم فبلغ الروم ذلك فوجهوا بقائد جليل من قوادهم يقال لهُ كرسوس فسار من رومية بعسكر كبير وجاء الى اورشليم فدخل بيت الله عزَّ وجلَّ وطالب الكهنة بان يعطوهُ جميع ما فيهِ من الاموال وكان الكاهن الاكبر في ذلك الوقت رجلاً يقال لهُ العازر وكان صالحًا ذا فضل فقال لكرسوس ان الملوك في كل زمان يعظمون هذا البيت ويجلونهُ فكيف تختار انت ان تاخذ منهُ اموالهُ وكيف تستجيز ذلك وتستصوبهُ وبمبيوس وكينانوس وغيرهما من عظماء الروم لم يفعلوا ذلك ولا استجازوهُ ولا رضوهُ فقال كرسوس لا بد لي منهُ ولج في اخذهِ فقال لهُ الكاهن عاهدني انك لا تمد يدك الى شيء مما للهيكل وانا اعطيك ثلث مئة منٍّ من الذهب فعاهدهُ كرسوس على ذلك وكان في الهيكل سبيكة من الذهب قد صنعت على مثال الحية حسنة الصنعة وكانت في بعض الخزائن ممدودة في الحائط الى الحائط قد جُعلت هناك ليلقى عليها ما ينزع من ستور القدس ليجدد منها عوضهُ وكان وزنها ثلث مئة منٍّ من الذهب ولم يكن احد يعلم بها غير العازر لانها كانت مغطاة بما قد طرح عليها من الستور على ممرّ السنين فاعطاها

لكرسوس فلما اخذها نقض ما عاهدهُ وغيَّر فيما قالهُ وقبض على خزائن القدس واخذ جميع ما كان فيها من المال وكان مبلغ ذلك الفي بدرة لانهُ مالٌ كان قد اجتمع منذ زمان البيت الثاني الى ذلك الوقت من نذور اليهود ومن غنائمٍ قد غنموها ومما كانت الامم تحملهُ الى هيكل الله واخذ من آلات البيت المقدس مثل ذلك وسار في اثناء ذلك الى العجم ليحاربهم فهزموهُ وظفروا بهِ وبعسكرهِ فقتلوهُ في يومٍ واحد وغنموا جميع ما كان معهم ثم غلبوا على جميع بلاد سوريا وعلى بلد الروم فلما علم الروم بذلك وجهوا بقائد يقال لهُ كسيلو في عسكر كبير فسار الى بلد الشام فقتل من كان بها من العجم ورد السريان الى طاعة الروم ثم سار الى اورشليم فوجد اليهود يحاربون هركانوس وانتيبطرس فنصرهما ومنع عنهما من كان يحاربهما من اليهود واصلح بينهم . ثم سار الى العجم ايضاً فقهرهم وردهم الى طاعة الروم ورد الى طاعتهم اثنين وعشرين ملكاً كان بمبيوس الكبير قد قهرهم والزمهم طاعة الروم فلما سار الى بلاد الشرق عصوهُ بعد ذلك

ذكر ابتداء ملك قيصر الملك على الروم وتغلبهِ على الملوك وطردهِ الشيخ من رومية

كان في رومية رجل من الثلث مئة والعشرين المدبرين

الذين مع صاحب رومية الذي يسمى الشيخ وكانت لهُ امرأة حامل فلما حضرتها الولادة ماتت قبل ان تلد وكان الولد حينئذٍ يضطرب في بطنها فشقوا جوفها واخرجوهُ فعاش وكبر فسمي يوليوس لانهُ ولد من الشهر الرابع من السنة

ولما كبر قيصر كان شجاعًا جبارًا وفي ذلك الزمان عصى اهل المشرق على الروم واهل المغرب فوجهت الروم قيصر الى المغرب لما رأوا من شجاعتهِ واقدامهِ على الحروب ليحارب من فيهِ من الملوك لانهم كانوا قد عصوا عليهم فسار اليهم قيصر فظفر بهم وفتح في المغرب فتوحاتٍ كثيرة وردهم الى طاعة الروم. ثم عاد الى رومية بعزٍّ عظيم وامر قويٍ فتداخلهُ الاعجاب والكبر وحدث نفسهُ بالملك وطالب اهل رومية ان يسموهُ ملكًا فقال لهُ الشيخ والثلث مئة والعشرون الذين كانوا مدبرين مع الشيخ ان هذا ليس بممكن فقال لهم لماذا اجابهُ الشيخ والذين معهُ ان اسلافنا الاولين وآباءنا المتقدمين كانوا قد تحالفوا انهم لا يملكون عليهم ملكًا بسبب ما جرى من تركوين الملك وجعلوا ذلك عهدًا لازمًا لهم ولاولادهم على ممر الاجيال ومنذ ذلك الزمان والى هذه الغاية لم يعودوا يلقبوا احدًا ممن وُلّي امرهم ملكًا ولم يطلب ذلك احد ممن فتح الفتوح وغلب الملوك وقد مضى بمبيوس الكبير الى المشرق فغلب

اثنين وعشرين ملكاً وفتح مدناً كثيرة واطاعهُ اليهود مع عظم امرهم وشدة بأسهم فما طلب ما طلبت انت ولا يجوز لنا ان نجيب لما فيهِ حنث وعدول عن تأكيد العهود والايمان ونقض وصايا السلف وشروطهم لما في ذلك من الخطر والمضرة

فلم يحتسب هذه الكلمات شيئاً ولا انثني عن عزمهِ بل تجرد لقتالهم ومحاربتهم فطرد الشيخ من المدينة وظفر بالثلث مئة والعشرين المدبرين الذين كانوا معهُ وقتلهم وتغلب على الدولة وسمي ملكاً ولُقّب قيصر ايضاً.وكان بمبيوس في ذلك الاوان بمصر فلما بلغهُ ما فعل قيصر جمع عسكرهُ وسار اليهِ ليحاربهُ فلقيهُ قيصر فتحاربا فانهزم بمبيوس فظفر بهِ قيصر فقتلهُ واستولى على جميع ملك الروم واعمالهم ثم اراد قيصر ان يمضي الى مصر لان قواد بمبيوس واصحابهُ كانوا قد عادوا الى مصر وكانوا في قوة وجمع كبير ورأى ان يمضي الى بلاد سورية اولاً ليملكها فلما علم متردات ملك السريان بمجيئهِ استقبلهُ واعلمهُ انهُ طائع ممتثل امرهُ فامرهُ قيصر ان يصير الى مصر لمحاربة من بها من قواد بمبيوس فسار متردات كما امرهُ قيصر وجاء من بلادهِ حتى نزل على عسقلان وكان هركانوس لما بلغهُ خبر قيصر ومسيرهِ الى بلد الشام خاف منهُ لان هركانوس كان معروفاً بطاعة بمبيوس وموالاتهِ فرأى من

الصواب ان يفعل امرًا يتقرب بهِ الى قيصر فوجَّه بانتيبطرس صاحبهِ بعسكر كبير صحبة متردات ملك السريان الى عسقلان فقبلهُ متردات واكرمهُ وسارا جميعًا الى مصر فلقيهم عسكر المصريين بقوة عظيمة وكانت بينهم حروب استظهر فيها المصريون وانهزم متردات واحاطوا بهِ ليقتلوهُ فاستخلصهُ انتيبطرس منهم وثبت انتيبطرس ورجالهُ منتصبًا لمحاربة المصريين فهزمهم وفتح مصر ودخل متردات الى البلد واستولى عليهِ . اما انتيبطرس فاصابهُ في الحرب جراحاتٍ كثيرة وظهر من صبرهِ وشجاعتهِ ما حمدهُ بسببهِ متردات وكتب الى قيصر يخبرهُ بذلك بان انتيبطرس هو الذي تولى الحرب وفتح مصر فلما قُري على قيصر كتاب متردات ملك الشام شكر انتيبطرس على فعلهِ وحسن موقعهُ منهُ وارسل اليهِ يستدعيهِ فصار اليهِ انتيبطرس مع متردات فتلقاهُ بدمشق فلما راآهُ اكرمهُ وقدمهُ ووعدهُ بالجميل . وكان انتيغونوس ابن ارسطوبولوس قد لقي قيصر متظلمًا من هركانوس عمهِ ومن انتيبطرس وذكر قيصر بما كان من امر ابيهِ ارسطوبولوس لما بعث بهِ من رومية لمحاربة بمبيوس وقال ان هركانوس وانتيبطرس احتالا عليهِ حتى قتلاهُ لما اراد معاونة بمبيوس وميلهما معهُ ومعاداتهما لك فاستدعى قيصر انتيبطرس فسالهُ عن ذلك. قال انتيبطرس

قد كنت لعمري محبًّا لبمبيوس لانهُ كان صاحب جيش الروم وعظيمهم وكان مستوليًا علينا ومحسنًا الينا غير اني لم احارب المصريين في هذا الوقت ولا صبرت على ما لاقيتهُ من البلاء العظيم في مكافحاتهم طاعةً مني لبمبيوس وهو ميت وانما فعلت هذا طاعةً لقيصر وخدمةً لهُ ثم كشف راسهُ وبدنهُ فاراهم ما فيهما من الجراحات والآثار الظاهرة وقال هذه تشهد لي ان محبتي لقيصر وطاعتي لهُ تزيد على طاعتي التي كانت لبمبيوس باكثارٍ واوفارٍ لاني كما يعلم كل احد لم امضِ معهُ لنصرتهِ في محاربة الملك قيصر

فلما سمع الملك قيصر كلام انتيبطرس واحتجاجهُ اعجبهُ ذلك فقال لهُ ببشاشة وابتسام دامت لك السلامة يا جبار اليهود ولجميع محبيك حقًّا يقينًا لقد ظهرت شجاعتك وتبينت جبروتك وشهدت هذه الآثار في جسمك على خالص ودك واكيد مناصحتك وحرصك على طاعتنا وكثرة اجتهادك مع ما بلغنا فقد قدمتك على جميع اصحابي وعقدت لك الرياسة على جيوشي وعساكري واريد ان تسير معي الى بلاد المشرق فاني متوجهٌ اليها لمحاربة العجم فتكون معي الى ان اعود منها وتعود الى بلادك على افضل ما تحب ثم سار قيصر لمحاربة الفرس وسار معهُ انتيبطرس فظهر من شدة باسهِ وعظم شجاعتهِ وحسن آثارهِ ومناصحتهِ ما زاد

في ميل قيصر ومحبتهِ لهُ واكثر من اكرامهِ واجلالهِ ولما عاد من بلاد العجم ردهُ الى بلدهِ على احسن حال واجلها ثم عاد قيصر الى رومية واستقامت امور هركانوس في اورشليم وعظم شانهُ وسار في الناس احسن السيرة واجملها وكان خيرًا فاضلاً الّا انهُ كان جبانًا متخلّفًا عن لقاء الحروب وتدبير الجيوش يميل الى الدعة ويأثر السكون والهدو قد عُرِف بذلك وطبع عليهِ واشتهر فيهِ

ذكر ابتداء هيرودس بن انتيبطرس

ولما رأى انتيبطرس ضعف راي هركانوس ووهنهُ وبرودة عزمهِ استولى على الدولة هو واولادهُ فجعل فيلو ابنهُ الواحد ناظرًا على اورشليم وهيرودس ابنهُ واليًا على جبل الجليل وكان عمر هيرودس في ذلك الوقت خمس عشرة سنة وكان اكثر الامر والنهي لانتيبطرس واولادهِ ولم يكن لهركانوس سوى الاسم وكان في ذلك الزمان رجل اسمهُ حزقيال شجاعًا جبارًا ذا عزٍّ وكان قد اجتمع لهُ جماعة مثلهُ وكانوا ينهضون في كل وقتٍ الى بلد الشام وديار السريان فينهبون اموالهم ويقتلون منهم ويخربون بلادهم الى ان عظمت نكاياتهم فيهم واذيتهم لهم وكان الملك قيصر قد ولى ابن عمٍّ لهُ يقال لهُ سفنوس فلما نظر ما جرى على اهل بلد الشام والاعمال التي تحت نظرهِ من حزقيال وذويهِ خاف منهُ وكتب

الى هيرودس بن انتيبطرس يقول انت تعرف محبة الملك قيصر لابيك واحسانهُ اليك وطاعة ابيك لقيصر ومناصحتهُ لهُ ومحاربته لاعدائهِ ويليق بك ان تسلك طريق ابيك في اعمالهِ وقد بلغك ما يفعلهُ حزقيال واصحابهُ باهل بلدي فاريد من شهامتك ان تحتال عليهِ وتكفينا امرهُ فان الملك قيصر يشكرك على ذلك ويحسن اليك ونحن ايضًا لانقصر في مجازاتك. فلما ورد الكتاب الى هيرودس سار من جبل الجليل في اصحابهِ فوافى حزقيال راجعًا من بلد الشام وهو مطمئنٌ فكبسهُ هيرودس فقتلهُ وقتل اصحابهُ وكتب الى سفنوس نسيب قيصر يعلمهُ بذلك فبعث اليهِ سفنوس مالاً كثيرًا وحمل اليهِ عظماء الروم هدايا جليلة واموالاً جزيلة وشكروا ما فعلهُ فقوي امر هيرودس وانتشر ذكرهُ وكثرت رجالهُ وكان لما بلغ اليهود قتل حزقيال عظم عليهم واجتمعوا الى هركانوس وقالوا لهُ الى متى تصبر لانتيبطرس ولاولادهِ على ما يفعلونهُ وقد رضيت ان تكون المملكة بيدهم ويحكمون فيها ويتصرفون كما يشاؤون ويدبرون بغير امرك وليس لك معهم غير الاسم فقط. اما انتيبطرس فانهُ يتقرب الى قلوب الملوك باموالك وابنهُ فيلو يفعل ما يهوى ويختار في مدينتك بغير علمك وخلوًا من رايك. واما ابنهُ الاخر هيرودس فقد استولى على جبل الجليل ولم يقنع بذلك

حتى قتل حزقيال الجبار التي كانت الامم تهابهُ وتخشاهُ وتتقيهِ وكان يحسن الى قومهِ ولم يكن لهُ ذنب يستوجب بهِ القتل وانما قتلهُ ليقرب بهِ الى القبائل الغرباء ويستفيد منهم الاموال والهدايا وهو في ذلك ظالم مستوجب القتل فيجب عليك ايها الملك ان تحضرهُ الى الحكام ليقضوا عليهِ بالواجب ولم يزالوا يكرروا على هركانوس هذا القول في كل وقت ويجعلوا امهات الشباب الذين قُتِلوا مع حزقيال ونساءهم يتلقَّينهُ كلما عبر في ابواب القدس ويصرخنَ ويبكينَ ويتظلمنَ اليهِ في هيرودس ويسألنهُ بنحيب ان ينتصر لدماء المقتولين ظلمًا بغير سبب . فلما طال ذلك على هركانوس كتب الى هيرودس يامرهُ بالحضور بسرعةٍ الى اورشليم فحضر في جماعة من اصحابهِ وجاء الى مجلس الحكم بحضرة السبعين شيخًا وعليهِ لباس موشى وقد اصلح شعرهُ ورصف طرَّتهُ على جبهتهِ ونقلد سلاحهُ واصحابهُ حولهُ بلباس حسن متقلدين السلاح ثم حضر هركانوس وهم على تلك الحالة فعظم هيرودس في نفوسهم وهابوهُ وتوقفوا عن الحكم عليهِ وكذلك كل من كان يذمهُ في غيبتهِ ويطعن عليهِ ويتكلم بهِ امسكوا عنهُ لما حضر ولم يلفظوا بشيء مما كانوا يتكلمون بهِ قبل ذلك . ثم تردد الكلام بين الشيوخ وبين هركانوس وبين هيرودس الى ان ابتدأ الحكم يتوجه عليهِ بالحق .

فلما رأى هركانوس ذلك قال للشيوخ الصواب ان تكفوا عن هذا الامر اليوم واذا كان غدًا عدنا فنظرنا فيهِ انما اراد هركانوس بهذا ان يدافع ويمانع عن وجوب الحكم على هيرودس ويفسخ المجلس. وكان شماي تلميذ الشيخ هِلِيل حاضرًا فاستعظم ما جرى وقال للشيوخ انا لم نزل نعرف ان كل من عليهِ حكم اذا حضر الى الشيوخ انما يحضر الى الحكم وقد لبس السواد وهو شعث الراس خاضعًا متذللاً لله وقد رايت امور هذا الشاب اعني هيرودس قد حضر بخلاف هذه الصفة وما يفعل شيئًا مما يفعلهُ احد المذنبين من الخضوع والانخفاض بل احضر معهُ اصحابهُ كلهم متدرعين بالسلاح واللباس الحسن وما فعل ذلك الاَّ من جهة تهاونهِ بالحكم والحكام ولانهُ قد عول على انهُ ان وجب عليهِ حقٌّ دفعهُ عن نفسهِ وقتل من يحكم بهِ عليهِ وما العجب منهُ هو فيما فعل لانهُ يريد الغلبة وان يدفع عن نفسهِ القتل وانما تعجبي منكم ايها الحكام كيف تركتموهُ يمثل لدى مجلس الحكم بهذا الزيّ ولم تنكروا عليهِ ذلك وتمنعوهُ منهُ وابدع من ذلك انكم حشمتموهُ ووقرتموهُ وعظمتوهُ بغير واجب وتوقفتم عن الحكم عليهِ بالواجب حقًا اقول لكم انهُ سوف ياتي زمان يملك فيهِ هيرودس هذا عليكم ويتحكم بما يريد ويختار فيكم ويسفك دماءكم ويستبيح بيوتكم ونعمكم

ولا يبقي على هركانوس الذي حاباهُ ودفع عنهُ الحكم بل يقتلهُ
وياخذ الحكم منهُ . ثم نهض هركانوس الى منزلهِ وانصرف الشيوخ
وجميع من حضر ذلك المجلس فلما كان في تلك الليلة خرج
هيرودس من المدينة وذهب الى بلد الشام الى سفنوس صاحب
قيصر واقام عندهُ فاكرمهُ سفنوس وقدمهُ على جميع السريان

ذكر مراسلة هركانوس ملك اليهود لقيصر ملك الروم
ونسخة العهد الذي كتبهُ لهُ قيصر

وارسل هركانوس الى قيصر ملك الروم رسلاً وكتب معهم
اليهِ كتاباً يسألهُ ان يجدد العهد الذي بينهُ وبين الروم فلما وصلت
رسل هركانوس الى قيصر اكرمهم وامرهم بالجلوس بحضرتهِ بخلاف
ساير من كان يرد اليهِ من رسل الملوك وقضى حوائجهم واحسن
اليهم واجاب هركانوس عن كتابهِ وكتب اليهِ عهداً وهذه نسختهُ

من قيصر ملك الملوك الى روساء الروم الذين في صور
وصيدا سلام عليكم اعلموا ان كتب هركانوس بن اسكندر وردت
اليّ فسرني ورودها وذكرهُ من محبتهِ ومحبة قومهِ لهُ ولامة الروم
ما قد عرفت صدقهُ لانهُ وجه بصاحبهِ انتيبطرس فارس اليهود
وجبارهم مع منردات صاحبي فحارب جيوش المصريين وردهم الى
طاعتي واستخلص منردات صاحبي من الموت . ثم سار قدامي

الى بلد العجم ففتح قدامي فتوحًا كبيرة ولم يبقِ في المساعدة لاصحابي والنصيحة لي وقد امرت بان يحمل جميع الساحل من غزة الى صيدا ما لنا عليهم من الخراج في كل سنة الى بيت الله العظيم الذي في اورشليم وامرت ان اهل صيدا يحملون الى بيت الله هذا نفسهِ مع خراجهم عشرين الف مد حنطة في كل سنة وامرت ان ترد اللادقية وساير اعمالها وكل ما كان بيد اليهود الى شط الفرات مع ما كان المكابيون بنو حشمناي فتحوهُ من جانب الفرات الاخر يُرَد جميع ذلك الى هركانوس بن اسكندر ملك اليهود لانهُ ما اخذهُ اباؤهم بسيوفهم وكان بمبيوس قد تعدى في ذالك باخراج هذه المواضع عن يد ارسطوبولوس وهركانوس وهي من الآن لهركانوس ولمن بعدهُ من ملوك وهذا العهد فهو عني وعن كل ملك يملك على الروم بعدي فمن خالفهُ ونقضهُ او غيَّر شيئًا منهُ كانت اللعنات حالة عليهِ ونازلة بهِ وباولادهِ وبلادهِ فاذا قرأتم كتابي هذا فانسخوهُ في الواحٍ من نحاس بلسان الروم واليونانيين وعلقوا الالواح في هيكل الهنا العظيم ديوس اي المشتري في صور صيدا ليراها كل احد فيعلم حينئذٍ ما جعلت لهركانوس واليهود من المواثيق والعهود

خبر قتل قيصر هذا ملك الروم

ولما استقام ملك قيصر واطمأن من جميع الجهات وثب عليهِ قائدان كبيران من اصحاب بمبيوس كانا قد صارا معهُ احدهما يسمى كيساوس والآخر بروتس فقتلاهُ وتغلب كيساوس على المملكة وجمع عسكرًا عظيمًا ثم خاف على نفسهِ من المقام في رومية فعبر البحر وجاء الى بلاد اسيا ففتحها ثم جاء الى بلد يهوذا وطالبهم بسبعين بدرة فجمعها انتيبطرس وبنوهُ من بلدان اليهود وحملوها اليهِ فاخذها ومضى الى مكدونية فاقام بها خوفًا من اهل رومية

خبر قتل انتيبطرس

ثم ان روساء اليهود عملوا على قتل انتيبطرس واوقفوا قائدًا كبيرًا من قوادهم يقال لهُ ملكيا على ذلك فرام قتلهُ ظاهرًا فما اتجه لهُ ذلك فلما لم يتم لهُ ما ارادهُ حمل الى صاحب شراب الملك مالًا جزيلًا وسلم اليهِ سمًّا قاتلًا ووافقهُ ان يسقيهُ لانتيبطرس اذا حضر مجلس الشراب عند هركانوس الملك ففعل الساقي فلما تجرع انتيبطرس كاسًا ممزوجة استكدت امعاهُ الى الخروج فمات موت سوء فسبحان الحاكم الذي لم يغفل عن حق المظلوم حتى انتقم لهُ من الظالم اذ كافأ انتيبطرس بما فعلهُ بارسطوبولوس وكما سمهُ في الشراب ولم يشعر كذلك سُقي كاسًا مهلكة . فلما مات

انتيبطرس لم يكن لهركانوس علم بشيءٍ مما جرى في امرهِ ولا كان لهُ راي بالجملة في هلاكهِ . فلما بلغ ابنهُ هيرودس ما جرى على ابيهِ من ملكيا جاء الى اورشليم ليقتلهُ فمنعهُ عن ذلك اخوهُ فيلو لانهُ علم ان ذلك يثير فتنًا ويسبب هيجًا واشار ان يقتلهُ بالحيلة

خبر قتل ملكيا

فمضى هيرودس الى كيساوس فعرفهُ ما فعلهُ ملكيا فقال لهُ اذا صرت الى صور وحضر عندي هركانوس وحضر عندهُ ملكيا فثب عليهِ فاقتلهُ فلما صار كيساوس الى صور سار اليهِ هركانوس وملكيا معهُ وحضرا جميعًا بحضرة كيساوس في دعوة دعاهم كيساوس فيها مع جميع خاصة اصحابهِ وقد كان تقدم كيساوس الى خاصة غلمانهِ ان يمتثلوا ما يامرهم بهِ هيرودس وحضر هيرودس واخوهُ في جملة خاصة هركانوس وقد كان هيرودس قد وافق عدة من الغلمان على قتل ملكيا اذا غمزهم عليهِ فلما اكل هركانوس واصحابهُ وشربوا ناموا في وقت الظهر فلما استيقظوا من نومهم قدم هركانوس الى من فرش قدام باب المجلس الذي ناموا فيهِ فرشًا تحت السماء وجلس عليهِ وامر ملكيا بالجلوس معهُ واجلس هيرودس واخاهُ ايضًا ووقف غلمان كيساوس قدام هركانوس فغمزهم هيرودس على ملكيا فبطشوا بهِ للوقت فقتلوهُ

فخاف هركانوس جدًا وغشي عليهِ فلما نحي غلمان كيساوس ونُحي ملكيا المقتول افاق هركانوس فسال هيرودس عن سبب ما جرى من قتل ملكيا فقال هيرودس ما عندي من ذلك علم ولا ادري ما السبب فيهِ فامسك هركانوس ولم يُعِدْ في ذلك شيئًا

ثم ورد الخبر على كيساوس بان كينانوس ابن اخي قيصر المقتول وانطونينوس صاحب جيشهِ قد خرجا من رومية في عساكر لا يرام احصاؤُها لمحاربتهِ فسار مسرعًا الى مكدونيا فلقيهُ كينانوس وانطونينوس فحارباهُ فظفرا بهِ وقتلاهُ وملك كينانوس مكان عمهِ قيصر وسمي اوغسطس لانهُ زاد في سلطانهِ وملكهِ على من تقدمهُ وسمي ايضًا قيصر باسم عمهِ فصار كثير من ملوك الروم بعدهُ يسمون بهذا الاسم اعني قيصر واوغسطس . فلما عرف هركانوس ملك اليهود بقتل كيساوس وملك اوغسطس وانطونينوس صاحب جيشهِ ارسل رسلاً بهدايا جليلة فيها تاج من ذهب مرصع بالجواهر النفيسة وكتب الى اوغسطس يسألهُ تجديد العهد الذي كان بينهُ وبين قيصر المتوفى وان يأمر باطلاق كل من سبي ماسورًا من اليهود في ايام كيساوس وان ياذن لهم ولجميع اليهود الذين في بلد اليونانيين وبلاد اسيا في الرجوع الى بلادهم وان لا يعارضوا في ذلك ولا يمنعوا منهُ فلما وصلت الرسل

والهدايا الى اوغسطس اكرم الرسل وقبل الهدية واجاب هركانوس الى مسألتهِ وكتب اليهِ كتابًا وهذه نسختهُ . من اوغسطس قيصر ملك الملوك وانطونينوس صاحب جيشهِ الى هركانوس ملك اليهود السلام عليك قد وصلنا كتابك وسررنا بهِ وامرنا لكم بما طلبتهُ فيهِ من تجديد العهد والمكاتبة الى جميع اعمالنا التي من الهند الى بحر اوكيانوس الذي في المغرب والذي منعنا ان نبتديكم بالكتابة وتجديد العهد اشتغالنا بمحاربة كيساوس الظالم الذي تعدى على قيصر الملك وقتلهُ فلم نجد بدًّا من محاربتهِ والمطالبة لهُ بدم قيصر الى ان ظفرنا الله بهِ فقتلناهُ واستاصلنا جميع انسبائهِ واعوانهِ الظالمين وخلصنا بلاد اسيا منهُ بعد اخذهِ لها واهلاكهِ اهلها بظلمهِ وسوء سيرتهِ فليعظم سرورك ايها الملك هركانوس وجميع الكهنة الذين في هيكل الله وسائر اليهود بذلك واقبلوا الهدية التي ارسلناها الى الهيكل الجليل وادعوا ببقاء الملك اوغسطس وسلامتهِ وقد كتبنا الى سائر اعمالنا بان لا يبقى سبيٌ من سبي الاَّ ويُطلَق ويُفسَح لهم بالرجوع ولا يعارضهم احد في العودة الى وطنهم وارض آبائهم وذلك بامر قيصر الملك وامر انطونينوس صاحب جيشهِ . ثم امر اوغسطس بمكاتبة عمالهِ بصور وصيدا بان يردوا ما اخذوهُ من بلد اليهود في ايام كيساوس وان يسالموا

اليهود ولا يعارضوهم في شيءٍ من امورهم ويمتثلوا جميع ما كان قيصر رسمهُ في عهدهِ الذي كان كتبهُ لهم . ثم سار اوغسطس الى رومية فملك بها وسار انطونينوس صاحب جيشهِ الى بلد سورية اعني الشام فسارت كليوبطره ملكة مصر الى انطونينوس فتزوج بها وكانت حكيمة متأدبة عالمة بالسحر والخواص حاوية علوم اليونان فاستمالت انطونينوس وملكت قلبهُ حتى انهُ كان لا يخالفها في شيءٍ مما تريدهُ وفي ذلك الوقت مضى جماعة من اورشليم من روساء اليهود واكابرهم الى انطونينوس فتظلموا اليهِ في هيرودس وفي فيلو اخيهِ فسال انطونينوس هركانوس وكان حاضرًا عندهُ عما قالوا فكذبهم هركانوس واثنى على هيرودس واخيهِ بالجميل لخوفهِ منهم وخشيتهِ هيبتهم فسر انطونينوس ذلك ووافقهُ لانهُ كان محبًّا لهيرودس واخيهِ ولابيهما فامر بالقبض على القوم الذين تظلموا فيهما وقتل جماعة منهم وزاد في اكرامهِ هيرودس واخاهُ ثم تظلم اليهِ قوم اخرون في هيرودس في وقتٍ اخر وهو في صور فلم يقبل لهم قولًا بل قتل منهم وحبس الباقين ورفع شان هيرودس واخيهِ واحسن اليهما وردهما الى اورشليم على اسرّ حال . وسار انطونينوس الى بلاد العجم فقهرهم وبلغ ما اراد فيهم ثم عاد الى رومية

ذكر خروج انتيغونوس ابن ارسطوبولوس على عمهِ هركانوس واستغاثتهِ بملك الفرس

فلما عاد اوغسطس وانطونينوس الى رومية مضى انتيغونوس مع جماعة من اليهود الى ملك العجم فضمن لهُ ان يحمل لهُ الف بدرة وثمان مئة جارية ابكارًا من اكابر اليهود ورؤسائهم وسالهُ ان يعينهُ على اخذ الملك من عمهِ هركانوس وان يسلمهُ اليهِ ويقتل هيرودس وفيلو اخاهُ ثم ان ملك الفرس اجابهُ الى ذلك وسار معهُ في عسكر كبير فجاء الى ارض سوريه ففتح مدنها وقتل من كان فيها من ولاة الروم واصحابهم واقام بارض الشام ووجَّه بقائد من قوادهِ بعسكر كبير مع انتيغونوس الى اورشليم وامرهُ بان يحسن السياسة ويظهر الرفق والجميل الى ان يحصل في المدينة ويملكها ثم يقبض على هركانوس وعلى هيرودس وفيلو اخيهِ ويسلم المملكة الى انتيغونوس ففعل القائد ما امرهُ ملك العجم وسار مع انتيغونوس الى اورشليم واظهر انهُ لم يأتِ لشيءٍ من الامور سوى المؤانسة لانتيغونوس ليدخل الى بيت الله الههِ ليسجد فيهِ مصليًّا ثم يعود الى بلادهِ راجعًا فوافق اهل المدينة ذلك ولم يمنعوهم من الدخول بعد ان عاهدوهم وتوثقوا منهم فلما دخلوا المدينة غدروا وامتدوا في القتل والنهب فبادر هيرودس الى قصر الملك هركانوس فحفظهُ

ومضى فيلو اخوهُ الى الحصن فضبطهُ ومنع من كان خارج المدينة
من العجم من الدخول اليها وعاد الى من كان منهم في بلاط المدينة
فقتلوا بعضهم وهرب من بقي منهم الى خارج المدينة حيث اصحابهم
فلما رأى قائد ملك العجم انهُ لم يبقَ لهُ حيلة وان الذي رامهُ لايتم
لهُ فيما بعد ارتأى ان يلاطف اليهود فيخدعهم فارسل الى هركانوس
والى هيرودس واخيهِ يستميلهم ويعتذر لهم مما جرى ويذكر لهم انهُ
لم يكن عَلِم وانهُ ايضاً قد شاهد من فضلهم وعظم باسهم ما عظم
بهِ في نفسهِ قدرهم وانهُ قد رغب لصاحبهِ في ان يكونوا معهُ واصحاباً
لهُ وان يشير عليهم ان يأثروهُ على انطونينوس وانهُ يجتهد ان يؤكد
الحال فيما بينهم وبين صاحبهِ ملك العجم وحلف لهم على ذلك
وعاهدهم عليهِ فاما هيرودس فلم يركن الى قولهِ ولا وثق بهِ
ولا قبلهُ واما هركانوس وفيلو فمالا الى ملاطفاتهِ وانخدعا الى
كلماتهِ وخرجا اليهِ فاكرمهما واظهر لهما الجميل وارتحل عن
اورشليم واخذهما معهُ . فلما صار الى بلد الشام قبض عليهما اما
فيلو اخو هيرودس فانهُ قتل نفسهُ واما هركانوس فقيدهُ وامر
انتيغونوس ابن اخيهِ ان يقطع اذنهُ حتى لايصلح ان يكون ايضاً
كاهناً ثم عاد ملك العجم ايضاً الى بلادهِ وحمل هركانوس معهُ
فلما حصل هناك اطلقهُ من القيد واحسن اليهِ ولم يزل مقيماً في

بلد العجم الى ان استدعاهُ هيرودس وكان من امرهِ ما سنذكرهُ بعد هذه

ثم وجَّه ملك الفرس بصاحبهِ مع انتيغونوس ليملكهُ على اليهود في اورشليم فلما علم هيرودس بذلك وبلغهُ ما جرى على هركانوس وعلم بموت فيلو اخيهِ خاف ان يقيم في اورشليم فاخذ امهُ وزوجتهُ مريم بنت ارسطوبولوس وامها اسكندرة وباقي عيلتهِ فوجَّه بهم الى جبال الشراه وكان اخوهُ يوسف بن انتيبطرس مقيمًا فيها فامر هيردس ان يجعل حشمهُ وعيالهُ في القلعة التي هنالك ويعد لهم ما يحتاجون اليهِ وخلف اكثر رجالهِ مع يوسف اخيهِ وامرهم بحفظ عيالهِ ومراعاتهم . ثم سار الى مصر ليمضي الى رومية فاكرمتهُ ملكة مصر كليوبطرة وانعمت عليهِ بمالٍ كثير واعطتهُ سفنًا ورجالًا لتكون عونًا لهُ وركب في البحر الى رومية فنزل عند صديقهِ انطونينوس صاحب جيش قيصر فاكرمهُ انطونينوس ولقيهُ بالجميل ثم احضرهُ قدام اوغسطس قيصر واعلمهُ بجميع ما عملهُ انتيغونوس وملك العجم فلما وقف الملك اوغسطس على ذلك اتفق رايهُ وراي انطونينوس وراي الشيوخ برومية ان يملكوا هيرودس على اليهود

خبر هيرودس لما ملكتهُ الروم على اليهود

فاحضروا هيرودس وامروا بان يجعل التاج على راسهِ وان يركب في مدينة رومية ويُضرب بين يديهِ بالابواق ويُنادى قدامهُ بان اوغسطس قد ملَّك هيرودس على اليهود وبلد القدس ففعل بهِ ذلك وعاد الى حضرة اوغسطس ثم ركب اوغسطس وانطونينوس وهيرودس وساروا الى منزل انطونينوس لانهُ كان قد صنع صنيعًا عظيمًا دعاهما فيهِ ودعا الشيخ وسائر شيوخ رومية وكبراءها فاكلوا وشربوا وفرحوا مسرورين بملك هيرودس وعاهدهُ اوغسطس قيصر عهدًا كُتب في الواح نحاس وجُعل معلقًا في هيكل معبودهم لينظرهُ الناس في كل وقت ويعرفوا مما كتب ان ذلك اليوم اول ملك هيرودس وجعل من بعد ذلك احد التواريخ التي يؤَرخ فيها

ثم سار انطونينوس في البحر في عسكر عظيم لمحاربة العجم وسار هيرودس معهُ فلما وصلا الى انطاكية مضى انطونينوس مع اكثر العسكر الى بلد العجم ومضى هيرودس في البحر مع بقية العسكر الى الشام الى محاربة انتيغونوس بن ارسطوبولوس فلما علم انتيغونوس بذلك مضى الى جبال الشراه ليقبض على عيال هيرودس وعلى اخيهِ يوسف وكانوا في القلعة فنزل عليهم

انتيغونوس فحاصرهم وقطع عنهم الماء فاشتد بهم العطش فعمل يوسف على الهرب وعمل القوم الذين في القلعة على ان يفتحوا لانتيغونوس ففيما هم في ذلك اتاهم في تلك الليلة مطر عظيم وامتلأ منهُ جميع المصانع والجباب التي عندهم فقويت قلوبهم وصلحت احوالهم وقام يوسف وثبّت القوم واندفع انتيغونوس عن القلعة ولم يتم لهُ عليهم شيء وبلغ هيرودس الخبر ومضى الى جبال الشراه فوافى انتيغونوس هناك فحاربهُ وخرج يوسف واصحابهُ فاطبقوا على انتيغونوس فهلك اكثر عسكرهِ وانهزم الى مدينة القدس فتحصن فيها فتبعهُ هيرودس في عسكرٍ عظيم من آل يهوذا اجتمعوا اليهِ من كل جهةٍ لما وقفوا على عودتهِ فاشتد عضدهُ بهم وقلت حاجتهُ الى عسكر الروم فلما بلغ هيرودس الى مدينة القدس اغلق انتيغونوس ابوابها في وجههِ وتحصن بها وحاربهُ وانفذ الى عسكر وجوه الروم مالاً جزيلاً وسألهم الاَّ يعاونوا هيرودس على محاربتهِ ففعلوا ذلك فما استضر هيرودس بذلك لكثرة من كان قد اجتمع اليهِ من اليهود وطال الحرب

بين هيرودس وبين انتيغونوس ولم

يتمكن احدهما من

الآخر

الفصل الرابع

ذكر عودة انطونينوس من بلد الفرس بعد قتلهِ ملك الفرس ولقاء هيرودس لهُ

اما انطونينوس فانهُ ظفر بملك الفرس فقتلهُ وملّك عليهم بعدهُ من اراد وردّ الفرس الى طاعة الروم ثم عاد من بلد الفرس فنزل على الفرات فلما علم هيرودس بعودتهِ استخلف اخاهُ يوسف مع قواد الروم لمحاربة انتيغونوس ومحاصرتهِ في مدينة القدس ومضى هو الى انطونينوس فلما لقيهُ هناهُ بالظفر وسألهُ معونتهُ على انتيغونوس فاكرمهُ انطونينوس وتلقاهُ بالجميل ووجه معهُ قائدًا كبيرًا من اصحابهِ يقال لهُ سيساوس في عسكر كبير وامرهُ ان يمضي معهُ الى مدينة القدس وكتب الى السريان المقيمين ببلد الشام وهو من دمشق الى الفرات ومن الفرات الى بلد ارمينية يقول لهم ان اوغسطس ملك الملوك وانطونينوس صاحبهُ والكهل

الذي برومية قد ملكوا هيرودس على آل يهوذا وهم امروكم ان تجردوا مع هيرودس سائر رجالكم الشجعان لمعاونتهِ فان خالفتم ذلك كنتم لنا حرباً. ثم سار انطونينوس الى مصر على طريق الساحل وسار هيرودس مع سيساوس ومع عسكري الروم والسريان الى اورشليم وكان لما بلغ هيرودس الى دمشق ورد اليهِ كتاب يخبرهُ ان فوقاس صاحب جيش انتيغونوس يحارب يوسف اخاهُ وقواد الروم الذين معهُ وقتل منهم الوفاً كثيرة وقتل يوسف اخا هيرودس وادخل بجمتهِ الى انتيغونوس فاشتراهُ اخوهُ فزدو بخمسين بدرة ودفنهُ وان انتيغونوس وفوقاس صاحب جيشهِ قد سار الحاربتهِ فلما بلغ هيرودس ذلك خلف سيساوس مع عسكر الروم بدمشق وسار مع اثني عشر الف رجل الى انتيغونوس وفوقاس فلقيهما الى جبل الجليل فجرت بينهما حروب كثيرة فانهزم انتيغونوس وجاء الى القدس وثبت فوقاس لمحاربة هيرودس وقد كان فوقاس فارساً شجاعاً جباراً من الابطال مختاراً الآن الحرب لما عظمت بينهما قتل فوقاس واكثر رجالهِ واخذ فزدو راس فوقاس فقدمهُ لهيرودس فامر بدفنهِ . ثم وافى سيساوس صاحب انطونينوس فسارا جميعاً الى مدينة القدس فنزلا عليها وجرت بينهما وبين انتيغونوس حروب كثيرة فلما كان في بعض الليالي نام الحراس

الذين كانوا في بعض الابرجة فعلم بذلك قوم من اصحاب هيرودس فنصبوا السلالم وصعدوا فقتلوا الحراس ونزلوا الى المدينة ففتحوا الابواب ودخل هيرودس واصحابهُ وسيساوس وعسكر الروم فقتلوا مقتلة عظيمة ولم يبقوا على احد فعظم ذلك على هيرودس وقال لسيساوس اذا قتلت قومي فعلى مَن تملكني فامر سيساوس ان يرفع القتل ويكف وحمل هيرودس مالاً كثيرًا ليمنع الروم من النهب فمنعهم وامرهم برد ما قد نهبوهُ من المدينة فردوهُ وبعث سيساوس بتاج عظيم هدية لبيت الله عزَّ وجلَّ ليغفر لهُ عن جرمهِ اذ حارب مدينة قدسهِ لانهُ خاف من ذلك خوفًا عظيمًا . وكان فتح مدينة اورشليم في هذه المرة في الشهر الرابع وهو تموز في السابع عشر منهُ وهو يوم الصوم وطُلب انتيغونوس في المدينة فوُجد فقيدهُ سيساوس وسار بهِ الى مصر وسلمهُ الى انطونينوس صاحبهِ فحمل هيرودس مالاً كثيرًا الى انطونينوس وسالهُ ان يقتل انتيغونوس فقتلهُ وذلك في ثالث سنة من ملك هيرودس وهي سنة ثالثة ايضًا لانتيغونوس فلما قتل انتيغونوس أَمن هيرودس واطمأَن اذ لم يبقَ لهُ احد ينازعهُ من بني المكابيين من آل حشمناي فملك على اليهود بقوة وتمكين واحسن الى من كان يميل اليهِ وقتل من يعاندهُ ويعين عليهِ واخذ

اموالهم ونعمهم ثم غزا جميع الامم الذين كانوا عصوا اليهود وخالفوهم فردهم عنفًا واقتسارًا والزمهم حمل الخراج اليهِ غصبًا واجبارًا فكثر مالهُ وعظم قدرهُ واعتزَّ ملكهُ ووكل بابواب مدينة القدس من يفتش كل من يخرج منها فمهما وُجِد من فضة او ذهب مع احد اخذهُ وحملهُ اليهِ وامر بتفتيش جنائز الموتى واخذ ما احتيل باخراجهِ من المال فيها فاخذ مالاً عظيمًا وجمع ما لم يجمعهُ ملك من ملوك البيت الثاني

ذكر عودة هركانوس من بلد الفرس وكيف قتلهُ هيرودس الشرير

قد كنا تقدمنا فذكرنا ان ملك العجم قبض على هركانوس الملك وحملهُ الى العراق وانهُ اطلقهُ بعد ذلك واحسن اليهِ واقام بالعراق مع اليهود الذين كانوا هناك على احسن حال واجلها فخاف هيرودس من ان تتفق لهركانوس اسباب ويرجع الملك اليهِ فاراد ان يقتلهُ ويأمن غائلتهُ فحمل الى ملك العجم هدية حسنة وكتب اليهِ يذكر لهُ فضل هركانوس عليهِ وشوقهُ اليهِ ويقول لهُ ان هركانوس عندي بمنزلة الوالد المشفق لانهُ رباني واحسن اليَّ والى ابي من قبلي ولهُ عليَّ حقوق كثيرة وواجبات ليست يسيرة وانا مضيت الى رومية وتكلفت لقاء الحروب العظيمة لكي انتصر

لهُ من انتيغونوس ابن اخيهِ الذي تعدى عليهِ وظلمهُ حتى اخذت بحقهِ منهُ وكفيتهُ امرهُ واذ قد استقامت احوالي فانا اشاء ان اكافئهُ على احسانهِ واقضيهُ ما يجب لهُ عليَّ من الايادي والافضال . ثم سال ملك الفرس ان يأذن لهركانوس بالعودة الى اورشليم ولا يمنعهُ من ذلك وقال انك ان منعتهُ ولم تطلقهُ استغثت بالروم على محاربتك كل وقت فلما وصل الكتاب والهدية استدعى هركانوس وقال لهُ ان هيرودس قد استدعاك مني فان احببت واخترت ان تمضي اليهِ فاذهب فاني لست امنعك غير اني انصحك وارى لك ان لا تتوجه اليهِ ولا تمضي نحوهُ فان طلبهُ اياك ليس حتى يحسن اليك كما زعم وانما مقصودهُ ان تحصل بين يديهِ فيقتلك لكي يستريح منك فينبغي لك ان تحذرهُ ولا تثق بهِ ولا تطمئن اليهِ فانهُ رجل خبيث ذو مكر وهذه مشورتي وانت ابصر بهِ بما ينفعك او يضرك

ثم اجتمع مشايخ اليهود الذين هناك فمضوا الى هركانوس وقالوا لهُ انت شيخ كبير وقد علمت انهُ لا يجوز لك فيما بعد ان تكهن بسبب العيب الذي قد اعابك بهِ ابن اخيك وهيرودس ذو خبثٍ ودهاء وما طلبك لمحبة ولا استدعاك لمودة بل خوفهُ وحذره من حالٍ تتفق لك فتعود الى الملك فاراد ان يستريح

منك لان المعروف من اخلاق الملوك والمعلوم من سجاياهم على ممر الزمان وفي كل وقتٍ واوان انهم لا يكافئُون من احسن اليهم في زمان خمولهم وتعذر احوالهم ولا يوفون بالجميل الواصل اليهم فيما سلف ولا يحافظون عليهِ ولا يتذكرونهُ وذلك ان تيه المملكة وزهوها يغيّر قلوبهم وينسيهم الوفاء والحفاظ واحوالك عندنا مستقيمة وانت فيما بيننا مكرَم ومعظم وموقر كما انهُ يحق علينا اجلالك فاذا مضيت الى اورشليم لا تدري كيف يجري امرك ويكون هيرودس محكمًا فيك فاثبت عندنا ولا تعاونهُ على نفسك اما هركانوس فلم يمل الى نصحهم ولا اذعن لقولهم بل سار من العراق الى اورشليم لعظم شوقهِ الى بيت الله عزَّ وجلَّ ولانهُ كان ذا طوية سليمة لم يتهم هيرودس بل كان يراهُ بمنزلة الولد فلما قرب من اورشليم استقبلهُ هيرودس واظهر اكرامهُ واجلالهُ واعزازهُ وكان يسميهِ في مجلسهِ بحضرة كل اصحابهِ ابي ووالدي ولا يذكرهُ الاَّ بالتعظيم والتكريم وفي السر لزيادة مكرهِ مدبّرٌ في اباذتهِ ومحو اثرهِ فلما شعرت اسكندرة وابنتها مريم امرأة هيرودس بما يجتهد فيهِ هيرودس من قتل هركانوس جاءتا اليهِ واخبرتاهُ بانهُ مهتم في قتلهِ فاشارتا عليهِ ان يكتب كتابًا لملك العرب يذكر فيهِ خوفهُ من هيرودس وانهُ يريد ان يهرب اليهِ ويكون في جوارهِ ويسألهُ ان يوجّه اليهِ من ياخذهُ

سرًّا فلما الحّنا عليهِ واكثرنا من تحذيرهِ وتخويفهِ كتب حينئذٍ الى ذلك الملك العربي كتابًا يسأَلهُ فيهِ ان ينفذ لهُ رجالاً في السر ينتظرونهُ في موضع كذا وكذا من المواضع القريبة من المدينة الى ان يخرج اليهم ويسيرون بهِ اليهِ . ثم استدعى رجلاً من وجوه يهوذا ووثق بهِ على هذا السر لان ذلك الرجل كان ماقتًا لهيرودس شديد البغضة لهُ لانهُ كان قد قتل اخاهُ وسلب مالهُ واهلك منازلهُ فمن هذه الجهة مال هركانوس اليهِ واخبرهُ بما عوَّل عليهِ من الذهاب الى ملك العرب وسالهُ ان يمضي اليهِ بكتابهِ ليرسل اليهِ قومًا من اصحابهِ ليحملوهُ اليهِ وسأَل الرجل كتمان ذلك وعاهدهُ عليهِ فضمن لهُ الرجل تبليغ مرادهِ في هذا الباب ثم تناول من يدهِ الكتاب فلما حصل الكتاب في يدهِ خاف ان يبلغ خبرهُ لهيرودس فيقتلهُ ويبيدهُ وعلم انهُ ان مضى اليهِ بالكتاب أَمن شرَّهُ وربما يتخذ عندهُ وجاهة ودالَّة فمضى اليهِ بكتاب هركانوس واعلمهُ بامرهِ فشكر هيرودس ذلك الرجل على ما فعل وقال لهُ امضِ بالكتاب الى ملك العرب فاذا اخذت الجواب فارجع اليَّ بهِ واعلمني بمكان الرجال الذين يسيرهم معك الى هركانوس ففعل الرجل ما امر بهِ هيرودس ومضى الى ملك العرب واوصل اليهِ كتاب هركانوس وأَدَّى رسالتهُ فاجابهُ ملك العرب الى ما طلب

وسرَّ بمجيئهِ اليهِ وكتب جواب الكتاب وسلمهُ للرسول وبعث معهُ جماعة من الرجال وامرهم ان يقيموا في مكان مستور بقرب المدينة الى ان يخرج اليهم هركانوس فيسيرون بهِ فسار القوم مع الرسول الى ان انتهوا الى موضع خفي موافق فاقاموا فيهِ ودخل الرسول الى هيرودس واعلمهُ بمكان القوم واوقفهُ على كتاب ملك العرب الى هركانوس فقرا هيرودس الكتاب ووجَّه من قبض على العرب واتوا بهم اليهِ . ثم احضر السبعين شيخًا الذين يحكمون الاحكام واحضر هركانوس بحضرتهم واحضر الناس الى طبقاتهم . ثم سال هركانوس قدامهم هل ارسلت الى ملك العرب رسولاً او كتبت اليهِ كتابًا او طلبت ان تهرب اليهِ فقال لا فامر هيرودس باحضار الرسول الذي ارسلهُ الى العرب وبكتابهِ الذي كتبهُ الى ملكهم والرجال الذين ارسلهم ملك العرب لياخذوهُ فقُرِئَ الكتاب بحضرة الجماعة وافشى الرسول المجهول ما كان هركانوس استودعهُ من القول فلم يمكن الرسول والرسل الذين اتوهُ ان ينكروا لكن بينوا واشهروا ان سبب مجيئهم لياخذوا هركانوس كما أُمروا فلم يقدر بعد ذلك هركانوس على الانكار بل لزم الاقرار اختيارًا واضطرارًا فامر هيرودس بضرب عنقهِ على الاشهاد ولم يجسر احد ان يسأَلهُ فيهِ او يذكر احسانهُ اليهِ فيكافئهُ

لانهُ كان يتصورهم بصورة عسوفًا لا عطوفًا زاهيًا عاتيًا لا مرفقًا متانيًا ولو كان وفيًا لما كان يجب ان يتناسى احسانهُ اليهِ فقتلهُ قتلاً يُرثى لهُ بالمخاتلة والمكر ولم يراعِ احسانهُ اليهِ ولا اشفاقهُ عليهِ وعلى ابيهِ قبلهُ وقُتل هركانوس وعمرهُ ثمانون سنة وهو آخر من ملك على امة اليهود من الكهنة وكانت مدة ملكهِ اربعين سنة وكان انسانًا خيِّرًا وديعًا دينًا حسن السيرة ولم يكن من ملوك حشمناي احمد طريقة منهُ ولا اصلح سيرة

ذكر قتل هيرودس وارسطوبولوس [1]

كان ارسطوبولوس هذا من احسن الناس صورةً واجملهم طلعةً وكانت اختهُ مريم امرأة هيرودس مثلهُ في الحسن والجمال وكان الناس الذين يشاهدونهما يذهلون من زيادة بهائهما ويقولون كانَّما ولد ارسطوبولوس ومريم بشرًا ولوان ملاكًا ينتج الناس لكانوا هؤلاء وكان هيرودس شديد المحبة لمريم فلما قتل جدها هركانوس عظمت بغضتها وبغضة اسكندرة امها لهُ واعتقدتا عداوتهُ وكانت اسكندرة تريد ان يكون ابنها ارسطوبولوس كاهنًا كبيرًا موضع هركانوس جدهِ فكره هيرودس ذلك لانهُ خاف ان

---

١ ارسطوبولوس هو اسكندر بن ارسطوبولوس بن اسكندر بن هركانوس الاول وارسطوبولوس هذا هو ابن اسكندرة ابنة هركانوس هذا الملك الذي قتلهُ هيرودس الشرير

تميل الناس اليهِ لفضلهِ ودينهِ ومحبتهم لهركانوس جدهِ فاجتهد هيرودس وحرص ان ينقل الكهانة عن ذلك البيت اعني بيت حشمناي حتى لا يبقى لهم مقدَّم ولا رياسة خوفاً من ان يكون ذلك سبباً لرجوع الملك اليهم فاخذ رجلاً من عوام الكهنة فقدمهُ وجعلهُ كاهناً كبيراً في بيت الله فعظم على اسكندرة وارسطوبولوس ابنها ذلك وعلى ابنتها مريم امرأة هيرودس وزاد ذلك في بغضتهما لهُ وكان بين اسكندرة وبين ملكة مصر كليوبطرة مودة اكيدة ومحبة قديمة فحملت اليها اسكندرة مالاً وهدايا وكتبت اليها تسألها مسألة وهي ان انطونينوس زوجها يكتب الى هيرودس فيامرهُ ان يعزل ذلك الكاهن الذي قدمهُ ويقدم ارسطوبولوس ابنها كاهناً كبيراً في موضعهِ ففعلت كليوبطرة ذلك وسالت انطونينوس ان يكتب كتاباً الى هيرودس يامرهُ بعزل ذلك الكاهن ويقدم ارسطوبولوس وبعث الكتاب مع رسول قاصد لاجابة هذه الطلبة فلما وصل الى هيرودس الكتاب امتنع من ذلك وقال لرسول انطونينوس ان اليهود لا يرون ان يعزلوا كاهناً من مرتبتهِ بعد تقدمتهِ ولا يرون ايضاً ان يجعلوا غيرهُ في موضعهِ ما دام حياً وليس يجوز لنا ان نخالف سنتنا ولو رمنا ان نفعل ذلك لمنعتنا الناس منهُ ولم يجيبونا اليهِ وكتب الى انطونينوس بمثل ذلك وكان رسول انطونينوس

مدة اقامتهِ في اورشليم اذا نظر شخص ارسطوبولوس واختهِ مريم امرأة الملك هيرودس يتعجب من حسنها وجمالها فقال لامها اسكندرة انا اريد ان تصوري لي صورتها حتى امضي بها الى انطونينوس فانهُ اذا رآها حسن موقعها منهُ وبلغت بذلك ما تريدين ففعلت اسكندرة ذلك لنقص راي النساء ونزارة عقولهنَّ ولحرصها على تقدُّم ابنها فلما اخذ رسول انطونينوس الصورة انفذها الى سيدهِ وكتب تحت الصورة ما ولدا ارسطوبولوس انسان بل ملاك باشر اسكندرة واولدها اياهُ فلما وصلت الصورة الى انطونينوس استحسنها جدًّا واشتاق ان يرى ارسطوبولوس وكتب الى هيرودس يذكر لهُ احسانهُ اليهِ ونصرتهُ لهُ على اعدائهِ وتمليكهُ على اليهود ثم سالهُ ان يوجّه لهُ سرعةً ارسطوبولوس وقال انك ان اخرتهُ عن المجيء ومنعتني عن النظر اليهِ كان ذلك سببًا لوقوع النفور والعداوة بيني وبينك فلما وصل الكتاب الى هيرودس عظم عليهِ وحصل لهُ فكر وهم في انطونينوس عساهُ انما طالب ارسطوبولوس طلبًا هكذا حثيثًا الالما يقبح ذكرهُ فكرِه ذلك وأنف منهُ فبادر بعزل الكاهن الذي كان قدمهُ فيما سلف وولى ارسطوبولوس موضعهُ وكتب الى انطونينوس يقول لهُ اني زَعَمْتُ قد امتثلت ما امرتني بهِ وقبلت ذلك من تقديم

ارسطوبولوس وما كنت توقفت عن المبادرة في ذلك الاّ لاني احتجت لملاطفة الكهنة وتدبير اخلاقهم وترقب العامة ايضاً وسياستهم لان عادتهم ما جرت ان يخلع كاهن من رتبتهِ ويتقدم غيرهُ في حياتهِ فلما تمَّ ما اردتهُ من سياسة الامر وتدبيرهِ انتهيت الى ما امرتني بهِ من تقديم ارسطوبولوس ووليتهُ الكهانة فلا يجوز لهُ ايضاً بعد تولّي هذه الرياسة ان يسافر عن اورشليم الى موضعٍ بعيد وليس هو ملكاً بل هو كاهن يجب عليهِ ان يلازم خدمة الهيكل ولا يفارقهُ ومتى الزمتهُ ان يخرج عن المدينة انكر ذلك جميع اليهود ولم يرضوا ولم يطلقوا لهُ ذلك وما نأمن ان يهيج بسبب ذلك حرب وفتنة

فلما وصل كتاب هيرودس الى انطونينوس بذلك كف عن طلب ارسطوبولوس ولم يطلبهُ بعد ذلك وتمَّم هيرودس ما بدأ بهِ من خلع الكاهن الذي اقامهُ وقدم ارسطوبولوس وجعلهُ كاهناً وكان ارسطوبولوس ابن ست عشرة سنة ولم يكن اليهود يستجيزون ان يعزلوا الكاهن عن رتبتهِ الى ان يموت وابتدأ بمخالفة ذلك انتيوخوس المسمى افيموس فانهُ عزل الكاهن الذي كان في ذلك الوقت وقدم غيرهُ وقد فعل انتيغونوس مثل ذلك وقطع اذن عمهِ هركانوس حتى اعابهُ وبعدها ما فعلهُ هيرودس

هذا من خلع الكاهن الذي كان ولاَّهُ وتقديم ارسطوبولوس ابن اسكندرة وانما فعل ذلك رغمًا ليرضي اسكندرة وليقطع الشر ويزيل الخصام من بيتهِ فما انقطع ذلك لعظم عداوة اسكندرة وابنتها لهُ. فلما رأَى ذلك هيرودس خاف من اسكندرة ان تدبر عليهِ وتحتال في افساد قلوب العامة عليهِ فوكل بها من يراعي ما تفعلهُ من حيث لاتعلم ويرفع اخبارها اليهِ. ثم ان اسكندرة كتبت الى كليوبطرة تشتكي من هيرودس وتسالها ان تساعدها عليهِ فاشارت عليها كليوبطرة بان تحتال في الخروج من اورشليم وبعثت اليها سفنًا وخدامًا يكونون معها فاقام الخدام مع السفن في يافا وارسلوا الى اسكندرة يعلمونها بذلك فرامت اسكندرة الخروج من المدينة فلم يتم لها ذلك فصنعت تابوتين مثل توابيت الموتى ودخلت في الواحد وادخلت ابنها ارسطوبولوس في الآخر وامرت ان يُحمَل التابوتان الى خارج المدينة مثلما تُحمَل الموتى الذين يُحمَلون من اورشليم الى القبور وكان اليهود يدفنون في موضع يسمى جيرون وغيرها حوالي المدينة على انها اذا صارت خارج المدينة مضت الى يافا وركبت في البحر الى مصر فمضى خادم من خدامها وهو الذي كان هيرودس امرهُ بان يرفع اليهِ اخبارها فاخبر هيرودس بذلك فلما أُخرج التابوتان من المدينة

بعث هيرودس من يقبض عليها وردها اليهِ فامر بفتحها فلما نظر اسكندرة وابنها غضب عليها وعاتبها على ما فعلاهُ ثم صفح لها واصرفها الى منزلها . ثم حضر عيد المظال فاتى جميع الناس الى اورشليم ودخلوا بيت الله على رسومهم فطلع ارسطوبولوس على المنبر على رسوم روساء الكهنة وقد لبس ثياب القدس الجليلة ولما نظر الناس اليهِ عجبوا فيهِ وسرهم تقدمتهُ عليهم وظهر من ميلهم اليهِ ومحبتهم لهُ وشغفهم بهِ وشفقتهم عليهِ ما لا يمكن ان يصفهُ واصف فشق ذلك على هيرودس جدًّا وخاف ان يقوى امر ارسطوبولوس بميل الناس اليهِ ومودتهم لهُ فيغلبهُ على الملك فعمل على قتلهِ وكان من عادة ملوك اورشليم ان يخرجوا بعد عيد المظال الى منتزهات وبساتين لهم في اريحا فيقيمون فيها اياماً فخرج هيرودس الى اريحا على عادتهِ ونزل في قصرهِ هناك ومعهُ ارسطوبولوس وجميع اهلهِ وغلمانهِ ووجوه اصحابهِ ولما حضروا في اريحا جلس هيرودس في مجلسهِ وجلس ارسطوبولوس الى جانبهِ وجلس غلمانهُ واصحابهُ على طبقاتهم ثم حضر الطعام فجلسوا واكلوا وشربوا وكان لهم في ذلك اليوم سرور عظيم فلما كان بعد الشراب خرج هيرودس يتمشى في البستان وينظر الى المياه التي تجري فيهِ وخرج ارسطوبولوس يمشي معهُ فبادر الغلمان الى بركة الماء ليسبحوا فيها

ويلعبوا فاذا هيرودس قد تقدم اليهم وقال لهم اذا نزلتم الى الماء لتسبحوا فاستدعوا ارسطوبولوس واميلوهُ الى ان ينزل معكم فاذا نزل الماء فاسبحوا معهُ ولاعبوهُ طويلاً ثم غرّقوهُ ولا تفارقوهُ الى ان يموت ففعل الغلمان ما امرهم بهِ هيرودس وغرّقوا ارستوبولوس واصعدوهُ من الماء وهو ميت فلما علم الناس بموتهِ اشتد غمهم وحزنهم عليهِ وندم هيرودس على قتلهِ وبكى عليهِ بكاءً مرًّا مفرطًا لما رآهُ مائتًا وامر بدفنهِ وبالغ في اكرامهِ واجلالهِ ومات ارسطوبولوس وهو ابن سبع عشرة سنة وكانت ولايتهُ الرياسة على الكهنوت دون السنة . فتاكدت بغضة اسكندرة وابنتها مريم لهيرودس ولامهِ ولاختهِ وكانت ام هيرودس من آل ادوم وكانت مريم امرأتهُ تعيّرها بذلك ويتصل ذلك بهِ فلا ينكرهُ على مريم ولا ينهاها عنهُ لمحبتهِ لها وموضعها في نفسهِ ووثقت مريم من هيرودس بذلك فدامت على شتم امهِ واختهِ فتمكنت المشارّة والعداوة بينهنَّ وكان في اخت هيرودس شر مفرط ومكر ودهاءٌ وحيلة ولم تكن مريم كذلك فلم يزل الشر بينهما الى ان تمَّت لاخت هيرودس الحيلة والتدبير على مريم وكان من امرها ما سنذكرهُ فيما بعد في مكانهِ

ذكر خروج انطونينوس الخليفة بمصر على الملك اوغسطس وما كان من امره

كانت كليوبطرة ملكة مصر امرأة حكيمة ساحرة عارفة بضروب الزينة وصنوف التصنُّع بصيرة بكلما يعجب الرجال من النساء حتى كانت لتصنُّعها مثل الجارية الشابة في الحسن والظرافة وهي مع ذلك امرأة كبيرة السن فلما تزوجت انطونينوس صاحب جيش اوغسطس ملك الروم ملكت قلبهُ وغلبت عليهِ وكان يطيعها في كلما تريدهُ منهُ ولايخالفها فحملتهُ على قتل ملوك كانوا في طاعة الروم ونهب اموالهم ونعمهم ففعل ذلك وقتل كثيرين من الملوك بغير سبب واخذ بلادهم واموالهم واسر جماعة من نسائهم واولادهم وحمل جميع ذلك الى كليوبطرة فجعلتهم لها عبيدًا وتحكمت في اموالهم وبلدانهم بما ارادت وكان ذلك سبب بغضة الامم لانطونينوس وعداوتهم لهُ واتصل الخبر بذلك الى الملك اوغسطس فغضب وانكرهُ وطلبت كليوبطرة من انطونينوس ان يقتل هيرودس ملك اليهود فتوقف عن ذلك لعلمهِ بموضعهِ من الملك اوغسطس فحملتهُ على معصية اوغسطس قيصر ومحاربتهِ وسهلت عليهِ ذلك فقبل منها واظهر الخلاف على اوغسطس وجمع العساكر والعدد وعمل على المسير اليهِ لمحاربتهِ ووجَّه الى هيرودس

يستدعيهِ للمسير معهُ لمحاربة اوغسطس الملك فسار اليهِ هيرودس في عسكر كبير وعدة حسنة فلما صار بمصر قال لهُ انطونينوس قد خشيت انك ان سرت معي وبعدنا كلانا عن الديار ان يغلبنا من نخلفهُ وراءنا من الامم على مملكتنا ويخرجوا عن طاعتنا والصواب ان تعود انت الى بلادك فتقيم فيها وتكون عونًا لنا وتراعي اعمالنا فان الامم الذين حولنا يهابونك ويتقونك وقد بلغنا ايضًا عن العرب انهم قد عصوا واظهروا الخلاف علينا فامضِ من هنا قاصدًا اليهم وحاربهم الى ان تفرقهم وتردهم الى طاعتنا

ثم سار انطونينوس الى رومية وخرج هيردس متوجهًا الى الشام وكانت كليوبطرة تعادي هيرودس وتريد هلاكهُ لاسباب عدة منها انها كانت تريد ان تظفر بمملكتهِ وتستولي عليها كما استولت على غيرها من المما لك ومنها ان اسكندرة ابنة هركانوس كانت كل وقت تسالها في قتلهِ وغير ذلك من الاسباب فلما عاد هيرودس من مصر ليحارب العرب كما امرهُ انطونينوس وجهت معهُ كليوبطرة قائدًا يقال لهُ انثياون في عسكر كبير واظهرت لهيرودس انها انما وجهت بهِ لمعاونتهِ على العرب وتقدمت لهُ في السر بان يحتال على هيرودس ويوافق العرب على انهُ يتاخر عنهُ

اذا التقوا فاذا اشتد القتال اطبق عليهِ هو واصحابهُ من ورائهِ
واطبقت عليهِ العرب من قدام فيهلكونهُ ففعل كما امرتهُ كليوبطرة
ووافق العرب عليهِ فقُتِلَ من اليهوذ في تلك الدفعة الوف كثيرة
وقاتل هيرودس ومن كان معهُ من اصحابهِ في ذلك اليوم قتالاً
عظيماً شديداً الى ان خرجوا من بين العسكرين وقتلوا من العرب
ومن اصحاب انثياون خلقاً كثيرًا ومضوا الى اورشليم واقاموا فيها
وحدثت زلزلة عظيمة في تلك الايام في جميع بلدان اليهودية لم
يكن مثلها من زمان عزيا الملك فهلك بها خلق كثير من الناس
والبهائم وفزع هيرودس وجميع اليهود وخاف خوفاً شديداً واتفق
رايهم على مسالمة جميع الامم الذين حواليهم فراسلوهم في ذلك
فاجابوهم جميعهم للمسالمة الاَّ ملك العرب فانهُ امتنع وقتل رسل
هيرودس وظن ان رجال هيرودس قد هلكوا في الزلزلة وانهُ انما
راسلهُ في الصلح لضعفهِ وخوفهِ منهُ فطمع لذلك في انهُ يغلب اليهود
ويقهرهم وجمع اصحابهُ ليسير اليهم ويحاربهم . فلما اتصل ذلك
بهيرودس جمع اليهود من بلدانهم وقال لهم قد علمتم ما فعل ملك
العرب من قتلهِ رُسلنا ومقابلتهِ ما بذلناهُ من الجميل بضدهِ وذلك
شيءٌ لم يفعلهُ غيرهُ ولا يجوز لنا ان نمسك عنهُ لما في ذلك علينا
من العار والنقص لان الامم اذا بلغهم ذلك طمعوا فينا واجترأُوا

علينا وما زلتم تبادرون الى محاربة الاعداء بحمية الدين ونصرة الامة فيجب ان تتجردوا لله عزّ وجلّ في هذا الوقت وتتعصبوا لهُ ولهولاء المقتولين ظلمًا وتزيلوا طمع اعدائكم فيكم وتنفوا العار عن انفسكم فان قلتم ان هذه الزلزلة قد اضعفت قلوبنا واهلكت رجالنا فانكم تعلمون انها لم تهلك احدًا من رجال الحرب ولعلها انما اهلكت الاشرار دون الاخيار واصلحت القلوب ويجب عليكم اذ قد خلصكم الله من الهلاك ونجاكم من التلف ان تزيدوا في طاعتهِ ونصرة دينهِ ومجاهدة اعدائهِ وقد علمتم ما كان جرى لنا مع العرب واتفاقهم مع انثياون على هلاكنا وان الله نصرنا عليهم وخلصنا منهم فثقوا بالله عزّ وجلّ وتوكلوا عليهِ واجروا على عاداتكم وعادات اسلافكم واغزوا هذا العدو قبل ان يغزوكم وابدأوا بهِ قبل ان يبدأ بكم فان الله عزّ وجلّ ينصركم ويعينكم فلما سمع القوم كلام هيرودس قويت قلوبهم واتفقت كلمتهم وآراؤهم على محاربة العرب وضمنوا لهيرودس انهم لا يتخلفون عنهُ فشكر الله عزّ وجلّ وشكرهم وامر بتقريب قرابين كثيرة . ثم سار الى العرب في عسكر عظيم فحاربهم دفعات فكان الظفر لهُ في جميعها وقتل من العرب خلقًا كثيرًا فاجتمعت العرب الى عسكرهم فاقاموا فيهِ وامتنعوا من الحرب فحاصرهم هيرودس خمسة ايام ولم يترك احدًا يخرج من العسكر

فعطشوا عطشًا شديدًا وارسلوا الى هيرودس رسلًا وهدايا وسألوهُ ان يرفع عنهم الحرب ويطلق لهم الخروج الى الماء فلم يظهر هيرودس لرسلهم ولاقبل هديتهم ولا اجابهم الى ما طلبوهُ منهُ . فلما اشتد بهم العطش عملوا على ان يخرجوا اليهِ جميعهم فيحاربوا عسكر هيرودس فاما ان يغلبوهم واما ان يُقتَلوا ولا يموتوا بالعطش فخرجوا الى هيرودس فحاربوهُ فغلبهم هيرودس وقتل منهم الوفًا كثيرة وهرب من بقي منهم فتبعهم هيرودس فقتل منهم تسعة آلاف رجل واستباح ديارهم واموالهم وخرب مواطنهم فذلت العرب عند ذلك وطلبوا من هيرودس الامان فامنهم ووافقهم على مال يحملونهُ اليهِ كل سنة وعاد الى اورشليم ظافرًا غانمًا ولم تخالفهُ العرب بعد ذلك

خبر وقعة انطونينوس مع اوغسطس

واما انطونينوس فانهُ سار الى رومية فلقيهُ اوغسطس قيصر في عسكرهِ فحاربهُ فانهزم انطونينوس فظفر بهِ اوغسطس فقتلهُ وغنم عسكرهُ وسار متوجّهًا من رومية الى مصر فلما علم هيرودس بمسيرهِ الى مصر ايقن بالهلاك ولم يجد بدًّا من لقائهِ واوصى اصحابهُ بما اراد وبعث بأمهِ واختهِ مع يوسف اخيهِ الى القلعة في جبل الشراه وبعث بمريم وامها اسكندرة الى حصن يسمى اسكندرونة مع يوسف

زوج اختهِ ورجل من اهل صور يقال لهُ سومي وامرهما ان يقتلا مريم وامها ان بلغهما انهُ قد قتل في طريقهِ واستحلفهما على ذلك سرًّا وامرهما بكتمانهِ ثم سار الى اوغسطس قيصر وحمل معهُ هدايا كثيرة وقد كان اوغسطس عمل على قتلهِ من اجل انهُ صاحب لانطونينوس ومن اودّائهِ وسمع انهُ كان اراد معاونتهُ عليهِ. فلما وصل هيرودس الى اوغسطس امر بازالة التاج عن راسهِ واحضارهِ. فلما حضر سلم على اوغسطس وهنّأهُ بالظفر ثم قال ايها الملك ان كنت انما سخطت عليَّ وامرت بازالة التاج عن راسي من اجل اني كنت محبًّا لانطونينوس الذي كان صاحبك ولاني اردت معاونتهُ عليك فحقًّا اقول اني كنت احبهُ واوقيهِ لانهُ احسن اليَّ وجعل التاج على راسي الذي ازلتهُ انت عنهُ ولو كان حيًّا دمتُ على محبتهِ ولم انتقل عنها وقد كان استنهضني الى معونتهِ وسارعت اليهِ كما كان يسارع كل وقتٍ الى نهضني ومعونتي ولا يتخلف عني فان كان ذنبي عندك ايها الملك انما هو حسن وفاءي وحسن محافظتي لمن احسن اليَّ ومعونتي لمن استعان بي فاني لا انكر ذلك ولا اعتذر عنهُ وان كان ذنبي اني عاونتهُ على ملكك فقد علمت اني لم اكن معهُ وقت محاربتهِ لك ولم اجرد سيفي في وجهك لاني فارقت انطونينوس من مصر وسرت الى العرب واشتغلت

بمحاربتهم ولقد ساءني تاخري عنهُ ولو كنت معهُ لبذلت نفسي في نصرتهِ ولو هلكت كان ذلك اسرَّ لي من ان يظن بي الناس اني خذلت صديقي وتخلفت عنهُ وقطعت بهِ في وقت حاجتهِ اليَّ فيقولون عني قلة الوفاء وسوء المكافاة فلا يرغب احدهم في مودتي ولعمري ان انطونينوس لم يهلك الاَّ بسوء رايهِ في قبولهِ من كليوبطرة الساحرة ولقد اشرت عليهِ ان يقتلها فلم يقبل والآن ايها الملك ان كنت قد ازلت التاج عن راسي فما ازلت عني عقلي ولا اختياري فان ابقيتني فاني مهما دمت حيًّا احب من يحبني واكرم من احسن اليَّ واحافظ عليهِ فاعجب اوغسطس كلام هيرودس وقال ان كنا غلبنا انطونينوس برجالنا فنحن نغلبك بالاحسان اليك ونستميلك بالانعام عليك لانك تستحق ذلك بما ظهر من وفائك وحسن محافظتك وعلمنا ان انطونينوس ما كافاك بما تستحق منهُ كما لم يكافئنا نحن على احساننا اليهِ ولم يشكر انعامنا عليهِ بل قبل راي كليوبطرة الساحرة وعدل عن الصواب وخالف الواجب وجحد النعمة ونحن نرى ان نحسن اليك وننعم عليك لما تقدم من طاعتك لنا وخدمتك في دولتنا ومحاربتك اعداءنا ثم امر اوغسطس ان يجعل التاج على راس هيرودس واكرمهُ واحسن اليهِ ثم سار الى مصر وهو معهُ فقتل كليوبطرة ملكة

مصر بالاسكندرية ووهب هيرودس جميع ما كان انطونينوس جعلهُ لها . ثم عاد اوغسطس قيصر الى رومية وعاد هيرودس راجعًا الى اورشليم

ذكر قتل هيرودس امرأتهُ مريم وامها اسكندرة

كان يوسف زوج اخت هيرودس وسومي الصوري اللذان ذكرنا ان هيرودس كان قد ارسل معهما امرأتهُ مريم وامها اسكندرة الى حصن اسكندرونة عند مسيرهِ الى اوغسطس قيصر قد اخبرا مريم بما كان هيرودس امرهما بهِ من قتلها وقتل امها ان هلك في طريقهِ وقد كانت مريم تبغض هيرودس واهلهُ وتعاديهم مذ قتل جدها هركانوس واخاها ارسطوبولوس فلما سمعت ما اخبرها بهِ يوسف زوج اختهِ وسومي الصوري تزايدت عداوتها وبغضتها لهيرودس فلما عاد هيرودس من طريقهِ وجدها من التنكر لهُ والانقباض عنهُ على اضعاف ما كان يعرف فساءهُ ذلك فاقبل يلطف بها ويستميلها بجهدهِ ويتلافى قلبها وهي مقيمة على عملها فلما كان بعد ايام جرى بينها وبين اخت هيرودس كلام فاستطالت مريم عليها وشتمتها فمضت اخت هيرودس اليهِ فشكت اليهِ مريم وكذبت عليها وقالت لهيرودس قد بلغني ان يوسف زوجي ارتكب الفحشاء مع مريم في غيبتك وامكنتهُ في نفسها فلم يقبل هيرودس

قولها ولا اثر في نفسهِ لعلمهِ بطهارة مريم وعفافها ولمعرفتهِ بكثرة مقت اختهِ لها وانها تعاديها وتطلب هلاكها . ثم ان هيرودس خلا مع مريم في بعض الاوقات واقبل يعاتبها ويستميلها ويذكر لها موضعها في قلبهِ ثم سألها عن السبب الذي اوجب ما تجدد من بغضتها لهُ وانقباضها مع ما هو عليهِ من محبتها والميل اليها فلما كرر القول عليها بمثل ذلك قالت لهُ اذ كنت عندك بهذه المنزلة وكنت من المودة لي على ما ذكرت فلمَ امرت يوسف زوج اختك وسومي الصوري بقتلي وقتل والدني لما مضيت الى اوغسطس قيصر فهل رايت احدًا من الناس يقتل من يحبهُ فلما سمع هيرودس ما قالت مريم وقع في نفسهِ ان اختهُ صدقت فيما قالت واخبرتهُ عنها وذلك انهُ ظن ان يوسف لم يخبر مريم بما اسرهُ الملك اليهِ وامرهُ بكتمانهِ الاَّ لتمكنهِ منها وبعد حال حدثت لهُ معها فقام للوقت مغضبًا وكره مريم وجافاها وعلمت اخت هيرودس ذلك فسرها وارادت ان تتمم ما بدأت بهِ اذ قد وجدت سبيلاً وحصل لها وقت موافق فاستدعت خادمًا من الخدام الذين يتولون شراب هيرودس فوهبتهُ مالاً واعطتهُ سمًّا قاتلاً وقالت لهُ امض بهذا السم الى الملك هيرودس وقل لهُ ان مريم دفعتهُ وقالت لي ان اجعلهُ في شراب الملك فانهُ شيءٌ يصرف قلبهُ الى محبتي والميل

اليَّ وما تجرأْتُ ان افعل ذلك ولا رايت ان اخفي عن الملك ففعل الخادم ما امرت بهِ اخت هيرودس فغضب هيرودس وامر بان يُجرَّب ذلك السم في بعض المجرمين الذين وجب عليهم القتل . فلما سُقي منهم الرجل الذي شربهُ مات لوقتهِ فامر هيرودس عند ذلك بقتل يوسف وسومي فقتلا وامر ان تعتقل مريم الى ان يحضر الحكام السبعون شيخًا فينظروا في امرها. فلما علمت اخت هيرودس بذلك كرهت ان يتأَخر امر مريم الى ان يحضر الحكام لانها خافت ان تفحص الحكام عن القضية فتظهر براءَة مريم وكذبها هي عليها فتهلك هي وتخلص مريم فدخلت على هيرودس ومعها قوم يقوون كلامها وقالت ايها الملك ان كنت اخرت قتل مريم في هذا اليوم لانقدر ان نقتلها بعد ذلك لان اهل بيتها وعبيدهم اذا علموا انك تريد ان تقتلها منعوك عن ذلك ولم تأْمن من فتنةٍ تجرى وامر كبير واقبلت هي ومن استعانت بهِ يضيقون على مريم ويقرفونها ويذكرونها بالقبيح وبكل ماسمج من الحديث ويشيرون على هيرودس بتعجيل قتلها حينئذٍ قال لهم قد جعلت امرها اليكم فاصنعوا بها ما احببتم وللوقت خرجت اخت هيرودس كمن ظفر بغنيمة عظيمة فوجهت بخدامها اخرجوها من الموضع الذي كانت قد اعتقلت فيهِ بالهوان الشديد والعنف

والتهديد وذهبوا بها الى خارج المدينة لتقتل ووقفت لها اخت هيرودس نساءً كثيرات في الطريق ليشتمنها ويسمعنها القبيح ويثلبنها بما فظع من الكلام ويذكرنها بالزنا وهي ساكتة لاتجيب واحدة منهنَّ بحرف ولم يتغير وجهها ولااضطربت مشيتها ولاظهر منها خوف ولاجزع بل كانت في صبرها وقلة جزعها مثل سائر اهلها وذويها المكابيين الذين كانوا يُعرَفون بالشجاعة والاقدام على الموت ثم مدت عنقها فضربت رقبتها وانصرفت من الدنيا ولم يُعرَف لها نظير في النساء في زمانها لما كان قد اجتمع فيها من الحسن والجمال والاخلاق الرضية على الكمال وما حسن من الشيم وظرُف من الخصال مع العفاف والعقل وحسن التدين والطهارة وكرم النفس وجودة الطرائق ولم يكن في اخلاقها شيءٌ ينكر غير كبر كان فيها وهو كان السبب في استطالتها على هيرودس واهلهِ . ثم ان هيرودس ندم على قتل مريم امرأتهِ اعظم ندامة ولحقهُ من الاسف والجزع والحزن عليها ما نهك جسمهُ فمرض مرضاً شديداً الى ان قارب الموت ثم عُوفي وبلغهُ عن اسكندرة ام مريم انها كانت قد دبرت على قتلهِ في مرضهِ فأمر بقتلها فقتلت وكان لمريم ابنان من هيرودس اسم الواحد منهما اسكندر والآخر ارسطوبولوس وكانا لما قُتِلت امهما في رومية لان هيرودس

كان بعث بها الى هناك ليتعلما خط الروم ولغتهم

بعض الاحاديث عن هيرودس

لما قتل هيرودس زوج اختهِ يوسف ازوجها بعدهُ لرجل من الادوميين يقال لهُ كرسوس وولاهُ بلاد ادوم وكان اهل ادوم في ذلك الزمان يختنون ويحفظون دين التوراة لان الملك هركانوس الاول كان قد الزمهم ذلك فالتزموهُ وثبتوا عليهِ فرد الصنم الذي كانوا يعبدونهُ قديمًا وامرهم بعبادتهِ وعمل على مخالفة هيرودس . ثم وقع بينهُ وبين اخت هيرودس شر وكرهتهُ وسألت اخاها ان يطلقها منهُ ففعل ذلك وكان قوم كثيرون من اولاد الملوك المكابيين بني حشمناي قد هربوا من هيرودس الى بلد ادوم فسترهم كرسوس زوج اختهِ اثنتي عشرة سنة فسعت بهم اخت هيرودس الى اخيها هيرودس فامر بطلبهم والقبض عليهم ثم قتلهم وقتل كرسوس زوج اختهِ وقتل من وجوه اليهود وروسائهم ومقدميهم وعلمائهم خلقًا كثيرًا حتى لم يبقَ فيهم من يعاندهُ ولا من يعارضهُ ولايجسر ان ينكر عليهِ شيئًا مما يفعلهُ فتمكن مما يريد وخالف كثيرًا من وصايا التوراة وبنى في اورشليم بناية حسنة وصوَّر فيها جميع الملوك الذين غلبهم وقهرهم واتخذ ميدانًا وجعل فيهِ عجلًا تجرها الخيل للمسابقة وجمع فيهِ انواعًا كثيرة من السباع والوحوش وكان

يأمر بالقاء الناس لهم حتى تاكلهم وهو يبصرهم وتفترسهم بحضرتهِ وكان يامر الناس بمصارعتها فمن غلبها احسن اليهِ واعطاهُ مالاً كثيرًا فقصدهُ من كل امةٍ من كان لهُ باس ومرارة نفس وكان صلحاء اليهود وعلماؤُهم يكرهون كثيرًا من افعال هيرودس وينكرونها ولا يظاهرونهُ بذلك لخوفهم منهُ . ثم ان قومًا منهم تعصبوا لله وعولوا على قتلهِ فلم يتم لهم ذلك. ووقف هيرودس على ما ارادوا ان يفعلوا فقتلهم

وكان هيرودس يمشي بين الناس متنكرًا فيقف على اخبارهم ويسمع ما يذكرونهُ بهِ فيعرف من يحبهُ ومن يبغضهُ فيحسن الى محبيهِ وينعم عليهم ويأسي الى مبغضيهِ ويهلكهم فعظمت هيبتهُ في نفوس الناس وخافوهُ واتقوهُ وكان قد اخذ على جميع اليهود العهود على طاعتهِ وموالاتهِ واستحلفهم بالأَيمان الغليظة والمواثيق على ذلك فملكهم بذلك وتحكم فيهم بما اراد واكرم شيوخ الفريسيين هليل وشماي واصحابهما لانهُ كان يثق بمودتهم وهم كانوا اشاروا على الناس ان يملكوهُ فكان يراعي لهم ذلك ويقربهم ويكرمهم وكذلك شيوخ الطائفة الذين يسمون الصلحاء فانهُ كان يكرمهم ويحسن اليهم من اجل شيخ منهم يقال لهُ مناحيم وكان مناحيم هذا رجلاً صالحًا حكيمًا فاضلاً ويقال ان هيرودس في صباهُ كان يتردد الى مجلس الحكماء

والعلماء ليتعلم منهم فمر يوماً بمناحيم هذا وهو في صحن القدس فلما راهُ مناحيم قام بين يديهِ ثم سجد لهُ وقال يحيا الملك الى الابد فظن هيرودس انهُ يهزأُ بهِ فغضب وشتمهُ فضحك مناحيم وقبض على هيرودس واقبل يضربهُ بيدهِ على ساقيهِ على سبيل المزاح . ثم قال ايها الصبي انك ستملك على امة الله عزَّ وجلَّ ويعظم امرك فاذا ملكت اذكر هذا الضرب الذي ضربتك ولتكن لك علامة فيما بيني وبينك تذكر بها كلامي هذا وما اخبرتك بهِ واعلم انك ستعمل في مدة ملكك خيرًا وشرًا وانا اشير عليك واوصيك ان ترغب في الخير وتزهد في الشر وتتركهُ على اني اعلم انك لا تقبل وصيتي ولا ترغب الاَّ في الشر. ثم عاد مناحيم فضرب هيرودس على ساقيهِ وتركهُ فمضى وهو يبكي فلما كبر هيرودس وملك على اليهود ذكر كلام مناحيم وما كان قد انباهُ واخبرهُ بهِ في صباهُ فاستدعاهُ وقال لهُ قد صحَّ ما كنت اخبرتني بهِ من الملك وقد علمت فضلك وحكمتك وانا اسألك ان تخبرني كم بقي من عمري وكم مدة ملكي فسكت الشيخ ولم يجبهُ فخاف هيرودس ان يكون الشيخ انما سكت ولم يجبهُ لعلمهِ ان مدة ملكهِ تكون قصيرة فلم يحب ان يخبرهُ بذلك فاعاد مسألتهُ فما اجابهُ قال لهُ هيرودس ترى اني املك عشر سنين فاجابهُ الشيخ نعم وعشرين سنة وثلثين

وزيادة فقال هيرودس فكم مقدار الزيادة فلم يجبهُ بشيءٍ ففرح هيرودس بما اخبرهُ بهِ الشيخ من طول مدتهِ واحسن اليهِ والى اصحابهِ ووصلهم بمال كثير وبنى هيرودس مدينة صومورون على حدودها وآثارها القديمة وسماها سبسطية وبنى فيها قصرًا حسنًا لاوغسطس الملك وبنى ايضًا مدينة قيصرية وتباهى في حسنها وبنى فيها ايضًا قصرًا حسنًا وبنى بقربها خانًا عظيمًا وبنى مدنًا كثيرة وحصونًا منيعة وذلك من اثارهِ المحمودة التي ذُكِر بها وشُكِر عليها . ومما حُمِد عليهِ من افعالهِ ايضًا ما فعلهُ في سنة المجاعة وذلك انهُ حدث في السنة الثالثة عشرة من ملكهِ جوع شديد عظيم في كل بلدان الامم الذين في طاعة هيرودس فاضرَّ ذلك بالناس واجحف بهم وقدح فيهم وكان ببلد مصر وبارض الروم رخاءٌ وخصب وكثرة رخص وسعة فاخرج هيرودس من خزانتهِ اموالاً جزيلة وبعث بها مع رسلهِ الى مصر وسير معهم سفنًا وامرهم ان يشتروا بتلك الاموال غلات ويحملوها في السفن ففعلوا ووصلت السفن الى يافا والى قيصرية وكتب الى الملك اوغسطس يخبرهُ بعظم الجوع والقحط في بلادهِ ويسألهُ ان يحمل اليهِ غلة فاهدى اليهِ اوغسطس غلات كثيرة ثم كتب اوغسطس الى صاحبهِ بمصر يامرهُ بان يحمل الغلات الى بلد اليهود ويبيعها

بسعر رخيص فكثر الطعام بالشام واتسع الناس وصلحت احوالهم واقام هيرودس عدة كثيرة من الخبازين وامران يخبزوا دائماً كل يوم واجرى على جميع الشيوخ واليتامى والارامل والعميان والمرضى والمنقطعين من الخبز ما يكفيهم في كل يوم واجرى على الشباب وبقية المحتاجين الحنطة ما يكفيهم ولم يقطع هذه الجراية عن الجميع حتى فرغت المجاعة وفرج الله عزّ وجلّ عن الخلق . وقد ذكر ان هيرودس فرّق على خمسة آلاف رجل قصدوهُ في طول هذه المدة من غير اليهود اموالاً كثيرة وفرّق من الحنطة ثمانين الف حمل فشكرهُ اليهود والامم وجميع اهل مملكتهِ على ذلك واثنوا عليهِ وهان عليهم كل ما جرى منهُ وعظمت سمعتهُ وجل قدرهُ عند جميع الامم الذين بلغ اليهم خبرهُ . ولما استدام امر هيرودس وقوي سلطانهُ وامن على جميع بلادهِ ورعيتهِ ولم يبقَ لهُ من ينازعهُ من جميع الامم الذين يجاورونهُ وقع في نفسهِ ان يهدم القدس ويبنيهُ مثل البناء الاول الذي بناهُ سليمان بن داود الملك فجمع اليهود على اختلاف طبقاتهم وذلك في السنة الثامنة عشرة من ملكهِ . ثم قال لهم ان الله عزّ وجلّ قد احسن الينا وبسط ملكنا وامن بلادنا وسلطنا على كثير من الامم العظيمة والملوك الجبابرة حتى قهرناهم واطاعوا باجمعهم لنا الاّ ملوك الروم فان الله

عزَّ وجلَّ سلطهم على جميع الدنيا وجعل ملوك الارض تطيعهم ومع ذلك فهم محبون لنا ومحسنون الينا وجميع امورنا مستقيمة لاخلل فيها ولانقص وبلادنا عامرة ولم يبقَ لنا مدينة ولا موضع مذكور الاَّ وقد اعدناهُ بمعونة الله تعالى الى ما كان عليهِ من كمال العمارة وحسن البنيان الاَّ بيت الله عزَّ وجلَّ الذي هو اشرف المواضع واجلها فانهُ لم يرجع الى ما كان عليهِ وذلك ان اباءنا الذين عادوا من السبي في زمان كورش الفارسي بنوا بيت الله عزَّ وجلَّ على المقدار الذي رسمهُ لهم كورش ولم يمكنهم مخالفتهُ لانهم كانوا عبيد الفرس وتحت امرهم ولم يمكنهم ايضًا ان يتباهوا في بنائهِ لقصور ايديهم في ذلك الوقت وتعذر كثير من الامور عليهم ثم صاروا بعد ذلك في طاعة الملوك اليونانيين وكانوا مقهورين تحت الاذى والمكروه الى ان خلصهم الله عزَّ وجلَّ على يد الكهنة المكابيين بني حشمناي ولم يقدر بنو حشمناي ان يغيّروا بنيان القدس لاشتغالهم بالحروب المتصلة ومقاومة الاعداء ونحن فقد كفانا الله كل ما نخافهُ ومكننا كل ما نريد وقد بنينا كثيرة من المدن وتناهينا في حسن بنيانها وكمالهِ وبهائهِ ليعظم بها قدركم ويحسن من جهتها ذكركم اذ كان جميع ما نفعلهُ منسوبًا اليكم وفخرهُ وجمالهُ عائدًا عليكم ولايجوز لنا ان نكون قد اجتهدنا في بنيان هذه الاماكن

وتناهينا في حسن صنعتها ونترك بيت الله عزَّ وجلَّ شعثًا ناقصًا
عما كان عليهِ من البهجة ونحن قادرون على تغييرهِ بما قد اعطاهُ
الله لنا من كثرة النعمة وسعة الملك وقد احببت ان انقضهُ وابنيهُ
على حدودهِ الاولى واجتهد في حسن بنيانهِ وكمال صنعتهِ ونقديم
ذلك على جميع اشغالنا ونبذل فيهِ جهدنا فان بيت الله عزَّ وجلَّ
هو عماد ديننا وبهِ شرفنا وفخرنا وعمارتهُ هي اجل ما نتقرب بهِ الى
ربنا ونشكر نعمتهُ عندنا فما الذي ترون في ذلك فامسك القوم
ولم يجيبوا هيرودس بشيء لانهم خافوا ان يهدم القدس فلا يقدر
ان يتم بناءهُ فقال لهم هيرودس قد علمت الذي تخافون منهُ وانا
لااهدم شيئًا من القدس الَّا بعد الفراغ من تحصيل ما يحتاج اليهِ
من الحجارة والخشب والفضة والذهب والجوهر وحجارة المرمر
والنحاس والحديد وغير ذلك من الاصناف والعدد والآلات
ولم يزل يستعد بذلك يومًا فيومًا الى ان تكاملت المواد التي يحتاج
اليها جميعها في مدة ست سنين وحينئذٍ احضر عشرة آلاف صانع
سوى من يتبعهم واختار من الكهنة الف رجل ليتولوا بنيان
قدس الاقداس الذي لايجوز ان يدخلهُ احد غيرهم. فلما نظر
الناس الى جميع الاصناف من الآلات والعدد والمؤن وسائر المواد
قد حضرت ولم يبقَ منها شيءٌ نشطوا الى البنيان واتفق رايهم

عليهِ فهدم هيرودس بيت الله الى اساسهِ وجدد جميعهُ وبناهُ على حدودهِ الاولى وزادهُ في مواضع منهُ زيادات كثيرة وبناهُ احسن بنيانٍ واتقنهُ واكملهُ وانهاهُ واجملهُ . واما شرح ذلك على هيئتهِ وتفضيلهِ ووصف ما صنعهُ هيرودس فمكتوب في كتب اليهود مدون في سيرهم واخبارهم . وذكر ان هيرودس بنى القدس في مدة سنين وان المطر في تلك السنين لم يكن يمطر نهارًا بل ليلًا وذلك لئلاَّ يبطل الناس من العمل فينقطع وكان ذلك معونة من الله عزَّ وجلَّ لما اراد من كمال هذا البنيان وتمامهِ فلما كمل جميع البنيان امر بتقريب القرابين الكثيرة واوعز الناس باستعمال السرور والابتهاج والطرب سنة كاملة وكان الناس في جميع بلدان اليهودية في مدة هذه السنين في سرورٍ متصل وفرح دايم يسبحون الله ويشكرونهُ على احسانهِ

ذكر قتل هيرودس ولديهِ اسكندر وارسطوبولوس

قد تقدم ان هيرودس كان قد بعث ولديهِ ليتعلما لسان الروم ولغتهم وخطهم وكانا في رومية اذ قتل ابوهما امهما مريم فلما بلغهما خبرها ساءهما ذلك جدًّا فعادا من رومية الى اورشليم فلما لقيا هيرودس اباهما لم يكرماهُ كما يجب لهُ لما حصل في نفوسهما من بغضتهِ بسبب قتلهِ امهما فانقبض عنهما هيرودس وجفاهما وكان

اسكندر متزوجًا بابنة عمهِ وكان لهيرودس امرأَة قبل مريم يقال
لها رسيس وكان لها منهُ ابن يقال لهُ انتيبطرس وكان هيرودس
قد ابعدها وابعد ابنها هذا انتيبطرس لمحبتهِ مريم وولديها فلما قتل
مريم وانحرف عن ابنيها نقل رسيس امرأَتهُ الاولى الى قصرهِ وقرب
انتيبطرس ورد اليهِ جميع امرهِ وجعلهُ ولي عهدهِ والملك من
بعدهِ فخاف انتيبطرس من اخويهِ ابني مريم ان ينازعاهُ في الملك
من بعد ابيهِ وان يعينهما الناس على ذلك ويميلوا اليهما لشرف امهما
مريم لانها كانت بنت اجلاَّء الكهنة واشراف الملوك وكانت رسيس
ام انتيبطرس من بنات عامة اليهود فاراد انتيبطرس ان يستريح
من اخويهِ في حيوة ابيهِ فاقبل يدبر عليهما فقال لابيهِ هيرودس
ان اسكندر وارسطوبولوس يقولان انهما احق بالملك مني لانهما
اجل مني وهما يعاديانك ويبغضانك ويريدان قتلك من اجل
انك قتلت امهما وقدمتني عليهما ولم يزل يكرر هذا القول على
هيرودس ويجعل قومًا اخرين يقولون لهُ مثل ذلك الى ان اثر في
نفسهِ فانقبض عن اسكندر وارسطوبولوس . ثم ان هيرودس
سار الى رومية الى الملك اوغسطس فاخذ معهُ اسكندر ابنهُ فلما
حضر بحضرة اوغسطس شكاهُ اليهِ وقال انهُ يعاديني بسبب امهِ
ويريد قتلي فقال اوغسطس لاسكندر لِمَ احوجت اباك الى ان

يشكوك . فقال اسكندر ايها الملك حزني على امي التي قتلت بغير ذنب ما انكرهُ لان البهائم فضلاً عن الانسان العاقل المميز تحنُّ الى اماتها وتحبها وتألفها وتحزن عليها في حال فقدها اياها وتستوحش وتتشوق نحوها وقد تراها ترن الى فراقها واما ما ذكرهُ عني من طلبي قتل ابي فاني انكرهُ وذلك كما انهُ يجب عليَّ من الحق لامي كذلك يجب لابي لان الله عزَّ وجلَّ قد جعل وجوب حقهما بالسوية وما كنت بالذي اجمع على نفسي بالعاجل المصيبة بوالديَّ جميعاً مع ما اصير اليهِ في الآخرة من العذاب الدائم والعقاب الاليم الداهر ولكن اخي انتيبطرس هو الذي يريد يغضب ابي عليَّ بما يتقول بهِ علينا من الكذب ليقتلنا كما قتل مريم والدتنا ثم بكى بكاء شديداً فرق لهُ اوغسطس قيصر وجميع الحاضرين بكوا لبكائهِ فامر حينئذٍ اوغسطس هيرودس ان يعود لابنيهِ الى ما كان لهما عليهِ وان يقربهما ولا يبغضهما ولا يقبل قول من يطعن عليهما وامر اسكندر ان يقبّل رجلي ابيهِ ففعل وامر هيرودس بان يضم اسكندر اليهِ ويقبّلهُ ففعل ثم امر اوغسطس لهيرودس بجوائز وصلات كثيرة فاقام في رومية اياماً ثم عاد الى اورشليم واستحضر وجوه اصحابهِ ومشايخ اليهود واستحضر بنيهِ الثلثة اسكندر وارسطوبولوس وانتيبطرس ثم قال للحاضرين ان الله عزَّ

وجلّ قد وسع مملكتي وكبّرها وقد رايت ان اقسمها على بنيّ الثلثة بالسواء بحيث لا يكون لواحد منهم على الآخر امر ولا اعتراض في شيء فاشهدوا عليّ بذلك وارضوا بما رضيت بهِ ثم اني امركم معشر اصحابي ورعيتي ان تطيعوهم ولا تدخلوا بينهم الاَّ فيما يصلح احوالهم ويولف قلوبهم واحذروا ان تدخلوا بينهم في شيء يوقع العداوة والوحشة ولا تتكلموا عندهم بما يعود بالمضرة عليهم فان الكلام يحرك قلب الانسان كما تحرّك الرياح مياه البحر ولا تجالسوهم على الشراب ولا تكثروا معهم الانس والحديث فان كثرة انسكم بهم يدعوهم الى ان يطلعوكم على اسرارهم فاذا وقفتم عليها الجاكم ذاك الى ان تتقربوا الى كل واحد منهم بنقل اخبار الاخر اليهِ فيحدث لذلك من الشر بينهم ما يكون سببًا لهلاكهم وهلاككم ثم التفت الى بنيهِ وقال لهم اني اوصيكم بطاعة الله وطاعتي فان بذلك تطول اعماركم وتنجح اموركم وتنالوا الخير والسعادة في الدنيا والآخرة ثم ضمهم اليهِ وقبّلهم وامر الناس بالانصراف

فلم ينفع ما عملهُ هيرودس ولا صلحت قلوب بنيهِ لان انتيبطرس كان يريد ان يكون الامر لهُ وحدهُ حسبما كان ابوهُ جعلهُ قبل ذلك وكان اسكندر وارسطوبولوس يريان ان انتيبطرس لا يستحق ان يكون نظيرًا لهما وكان في انتيبطرس شر

عظيم ومكر ودهاءٍ ولم يكن في اخويهِ ذلك وكان يظهر لهما الاكرام ويلقاهما بالجميل وهو منطوٍ على عداوتهما وبغضتهما وكان قد جعل عليهما عيونًا ورقباء ومستبحثين يرفعون اليهِ اخبارهما في كل وقت وجعل من يرفع عليهما الى هيرودس بالحق والباطل من كلامٍ يغضبهُ عليهما واذا حضر هو عند هيرودس ابيهِ لا يذكرهما الَّا بالجميل والثناء عليهما ويكذب من يرفع عليهما دهاءً منهُ وتحكمًا في الشر فكان هيرودس ابوهُ لا يتهمهُ في امرهما ولا يشك في محبتهِ لهما وكان هو في السر لا يفتر ولا يدع الاحتيال في مضرتهما والاغتيال عليهما والتوصل الى مكروهما. ثم ان انتيبطرس اقبل يلطف بعمهِ فيروراس وعمتهِ سالومي وسألهما ان يقولا لهيرودس ان اسكندر وارسطوبولوس يريدان قتلهُ وقتل انتيبطرس وطلب اليهما ان يمكنا من نفسهِ ذلك وكان هيرودس يميل الى اخيهِ فيروراس والى اختهِ ويقبل منهما وكان هذان يعاديان اسكندر وارسطوبولوس بسبب امهما مريم ففعلا ما امرهما بهِ انتيبطرس ودخل انتيبطرس الى هيرودس فقال لهُ مثل ذلك وقوى المكيدة باقوام آخرين كانوا يمقتون الاخوين فجعل هولاء يدخلون الى هيرودس كقومٍ ينصحونهُ ويؤكدون عندهُ تحقيق ما رُفِع اليهِ عنهما ففعل الوشاة ذلك والقوا الى هيرودس ما اغضبهُ واخرجهُ

عليها فاعتقلها وقيَّدها . فلما اتصل ذلك بارخلاوس ملك
كبدوكية حمي اسكندر جاء الى اورشليم يتلطف في خلاص
صهرهِ وكان ارخلاوس هذا رجلاً حكيمًا فاضلاً فلما اتى الى
هيرودس اظهر لهُ من السخط على اسكندر والغم بما اتصل بهِ عنهُ
ما لا مزيد عليهِ ثم قال اني انما جئتُ الى ههنا لانظر ان كانت ابنتي
امرأَة اسكندر علمت بما اراد زوجها ان يفعل ولم تخبر الملك قتلتها
وان كانت لم تعلم بذلك فرقت بينها وبينهُ . ثم اقبل ارخلاوس
يستميل هيرودس ويلاطفهُ ويكثر الحضور عندهُ الى ان انس بهِ
هيرودس ومال اليهِ وكان لا يفارقهُ في اكثر اوقاتهِ . فلما علم
ارخلاوس بميلهِ اليهِ وثقتهِ بهِ قال لهُ في بعض الايام اني تاملت
امرك ايها الملك فوجدتك لما كبرت واحتجت الى الدعة والرفاهية
وراحة القلب قد حصلت على ضد ذلك من الهم والغم وشغل
القلب ثم تأملت امر ابنيك اسكندر وارسطوبولوس فوجدتك
لم تقصر بالاحسان اليهما ولم يبقَ امرٌ يريدانهِ الاَّ وقد بلغتهما اياهُ
فعلمت ان الذي بلغك عنهما من طلبهما قتلك غير صحيح وان
الذي اخبرك بذلك فقد كذب ولم يرثِ لك انت ولا شفق عليهما
واذا كان قد تم لهذا القائل ان تمكن منك مع تقدمة سنك وفضلك
وحنوّك وكثرة تجربتك ومعرفتك بالناس حتى قبلت قولهُ

ونقلك عن حب الوالد واشفاقهِ الى القساوة والحنق على ولديك فهو اولى بان يتمكن منهما ويؤثر كلامهُ فيهما لما هما عليهِ من الحداثة وقلة التجربة بالامور والمعرفة بمكر الناس وشرهم. فقال هيرودس يشبه ان الامر كما ذكرت فمن الذي خدعهما وحملهما على ذلك فقال ارخلاوس هو فيروراس اخوك. ثم اخبرهُ بما وقف عليهِ من ذلك فقبل هيرودس قول ارخلاوس وغضب على فيروراس اخيهِ وابعدهُ فخاف فيروراس على نفسهِ من اخيهِ فمضى الى ارخلاوس واعترف بذنبهِ وسأَلهُ ان يصلح لهُ قلب هيرودس اخيهِ ويزيل ما في نفسهِ عليهِ. قال ارخلاوس انا افعل ذلك بعد ان تعاهدني انك تصدق الملك وتخبرهُ بجملة ما كان منك في امر ولديهِ فعاهدهُ فيروراس على ذلك. ثم ان ارخلاوس حضر عند هيرودس بعد ايام فقال لهُ في كلام جرى بينهما ان اهل الرجل منهُ بمنزلة اعضاء جسدهِ فكما يجب على العاقل اذا مرض بعض اعضائهِ ان يلطف في اصلاحهِ بالدواء ولا يبادر بقطعهِ فينحل جسمهُ ويزيد مرضهُ والمهُ كذلك يجب عليهِ اذا اخطأَ بعض اهلهِ ان يصلحهُ ويقبل عذرهُ ولا يعجل بعقوبتهِ او بقتلهِ فيوهن ركنهُ ويقل عددهُ وينبغي للعاقل ايضاً اذا سخط على بعض اهلهِ وهجرهُ الّا يديم بعدهُ منهُ ويواصل عتبهُ ويطيل هجرهُ فيوحشهُ منهُ

ويجد عدوهُ الطريق الى الدخول بينهم بما يفسد حالهم وفيروراس هو اخوك وعضو من اعضائك وقد هجرتهُ وسخطت عليهِ وهو معترف بذنبهِ ويعتذر منهُ ويسأل الملك ان يعفو عنهُ ويصفح لهُ وقد توسل بي اليك ايها الملك لاسألك ان ترضى عنهُ وانا اسأل الملك ان يجيب سؤالي فيهِ ويصفح عنهُ فقال هيرودس قد اجبت سؤالك فيما سألت ثم امر باحضار فيروراس اخيهِ فلما احضرهُ سقط بوجههِ واعترف بذنبهِ واخبر الملك بانهُ هو الذي احتال على ولديهِ واخبرهُ عنهما ما لا حقيقة لهُ حتى سخط عليهما. فقال لهُ هيرودس ما الذي حملك على ذلك فقال لهُ لانك فرقت بيني وبين جاريتي فلانة واخذتها مني وانا كاره فقال هيرودس لارخلاوس قد صفحت عن فيروراس اخي بمسألتك وشكرت ما صنعتَ لانك داويت بلطفك ما عرض لاحوالنا من الفساد حتى انصلحت واستقامت كما يلطف الطبيب بمداواتهِ جسم العليل المريض حتى يصلح ويبرا. ثم امر هيرودس باطلاق اسكندر وارسطوبولوس ابنيهِ ورضي عليهما وامر لارخلاوس بمالٍ وصلاتٍ كثيرة وامر جميع قوادهِ واصحابهِ ان يهدوا اليهِ هدايا كثيرة وانصرف ارخلاوس راجعًا الى بلدهِ فشيعهُ الملك هيرودس الى موضعٍ بعيد ثم ودعهُ وعاد الى اورشليم ومضى ارخلاوس الى بلدهِ

فلما رأى انتيبطرس ان اباهُ قد طلق اخويهِ ورضي عليهما ساءهُ ذلك واقبل يدبر عليهما ويحتال في قتلهما فحمل الى رجل من خواص هيرودس مالاً وسالهُ ان يتلطف في اسخاط الملك عليهما ويحقق عندهُ انهما يريدان قتلهُ ففعل الرجل كذلك وتلطف فيهِ واجتهد حتى غيَّر قلب هيرودس على ابنيهِ اسكندر وارسطوبولوس واوحشهُ منهما فسخط عليهما وامر بان يعتقلا ويقيدا. ثم ان هيرودس مضى الى الساحل فحملهما معهُ مقيدين مضيقًا عليهما فرق لهما جميع من كان مع هيرودس من قوادهِ واصحابهِ واغتموا عليهما ولم يتجرأ احد منهم ان يسالهُ خوفًا من ان يتهمهُ في امرهما وكان في العسكر شيخ من جملة القواد وكان ابن هذا الشيخ صديقًا لاسكندر بن هيرودس ومخالطهُ . فلما رأى الشيخ سوء حال اسكندر واخيهِ وما يجرى عليهما ساءهُ ذلك جدًا وحملهُ على الغم بامرهما مع ادلالهِ بمنزلتهِ عند الملك ان صاح باعلى صوتهِ في العسكر قد ذهب الاشفاق وقلت الرحمة وبطل الحق وتغيب العدل وعدم الانصاف من العالم . ثم قال لهيرودس يا من يبغض احباءهُ ويحب مبغضيهِ واعداءهُ كيف غاب عنك الصواب مع معرفتك وفضلك حتى قبلت من اعدائك الذين يحملونك على قتل اولادك وهدم اركانك وانما يريدون ان تبقى وحيدًا فريدًا ثم

يدبرون على هلاكك بعد ذلك فتبادر اعداء اسكندر وارستوبولوس الى هيرودس فقالوا له ايها الملك ان هذا الشيخ لم يتكلم بهذا الكلام لمحبته لك ولا لمودته لبنيك ولكنهُ اراد ان يظهر ما في قلبهِ من عداوة الملك وبغضتهِ ويطعن على رايهِ وسياستهِ ويشنعهُ عند جندهِ ورعيتهِ بحيث انهُ يظهر انهُ ناصح مشفق وهو عدو مبغض منافق ومشاق ولقد صح عندنا ان هذا الشيخ وافق مزين الملك على قتلهِ وضمن لهُ عند اسكندر واخيهِ مالاً كثيرًا فامر هيرودس بالقبض على الشيخ وعلى ابنهِ وعلى المزين وعاقبهم ليعترفوا بما قيل عنهم فما قالوا شيئًا . فلما اشتدت العقوبة على ابن الشيخ وكان صبيًا حدثًا لم يصبر فاعترف على نفسهِ بما تجنى بهِ القوم السعاة من الكذب ليدفع عن نفسهِ وعن ابيهِ مضض العقوبة فما نفعهُ ذلك فامر هيرودس بقتلهِ وقتل المزين ثم امر بان يُحمَل اسكندر وارسطوبولوس الى سبسطية فيقتلا هناك وامر ان يصلبا فصُلبا وخلف اسكندر ابنين اسم الواحد تركان واسم الآخر باسم اسكندر ابيهِ اولدهما من ابنة ارخلاوس ملك كبدوكية وخلف ارسطوبولوس ثلثة بنين اسم الواحد باسم ابيه ارسطوبولوس واسم الآخر اغرياس وهو الذي ملك بعد انتيبطرس بن هيرودس واسم الثالث هيرودس باسم جدهِ وخلف ايضًا ابنين

الفصل الخامس

ذكر قتل انتيبطرس بن هيرودس وموت هيرودس

ولما قتل اسكندر وارسطوبولوس ابنا هيرودس فرح انتيبطرس اخوهما بهلاكهما وبلغ ما كان يريدهُ فيهما فلما تبين الناس منهُ ذلك ابغضوهُ وكرهوهُ جداً الّا ان انتيبطرس بكل هذا لم يكف عن الشر ولا توقف عن الترادي والتخابث ولم يكتفِ بقتل الاخوين حتى قصد اولادهما ايضاً بالمكروه والاذى وذلك ان هيرودس لما قتل ابنيهِ ندم على قتلهما لما تبين بطلان ما قيل عنهما لهُ فتعطف على اولادهما وقربهما اليهِ وعنى باصلاح احوالهما. ثم جمع قوادهُ واصحابهُ فقال لهم قد كبرت وقرب الموت مني واذا رايت اولاد ابنيَّ المقتولين عظم غمي وحزني وبكت عيناي لاني انا الذي جرحت نفسي بنفسي وقتلت ولديَّ بسوء رايي وحصلت بعدهم على الغم والاسف والحسرة وقد اشتدت رحمتي لاولادهما

لصغرهم ويتمهم ورايت ان اسندهم الى من يكتفلهم ويكفيهم ويقوم لهم مقام الاب. ثم قال لفيروراس اخيهِ قد رأيت ان ازوج ابنتك لتركان بن اسكندر وتضمهُ اليك . وقال لانتيبطرس وانت يا ابني اريد ان تزوج ابنتك لابن اخيك ارسطوبولوس وتقوم لاولاد اخيك مقام ابيهم فما امكن فيروراس وانتيبطرس ان يخالفا هيرودس فاجاباهُ بقبول ما امرها وهما كارهان لذلك فاخذ هيرودس ايديهما وصافحهما على ذلك وعقد الزيجة بحضرة الناس واشهدهم عليهما فسر الحاضرون بما فعل هيرودس ووافقهم . اما انتيبطرس فكره ذلك ولم يسرهُ لعداوتهِ لاخوتهِ ولاولادهما ولانهُ خاف ان يقوى امر تركان بن اسكندر بفيروراس حميهِ وارخلاوس ملك كبدوكية جدهِ فحمل الى فيروراس عمهِ اموالاً كثيرة وسالهُ ان يحتال في ابطال ما عقدهُ هيرودس من الزيجة بينهُ وبين تركان بن اسكندر ففعل فيروراس ذلك ولم يزل يحتال ويلطف ويسال هيرودس ويخدعهُ حتى فسخ الزيجة وابطلها . ثم ان هيرودس وجَّه بابنهِ انتيبطرس الى رومية ليسلم على قيصر الملك اوغسطس ويجدد معهُ عهدًا فبعد مسير انتيبطرس هذا وظعنهِ بلغ هيرودس ان فيروراس اخاهُ يدبر على هلاكهِ فاثر ذلك في نفسهِ من غير ان يحققهُ فسخط عليهِ وابعدهُ وامرهُ ان يلزم بيتهُ

ولا يدخل اليهِ احد. ثم ان فيروراس مرض بعلة الموت فلما أيس من نفسهِ وجّه الى هيرودس اخيهِ يسالهُ المسير اليهِ ليراهُ قبل موتهِ ويوصيهُ بمن يخلف من اهلهِ وولدهِ فرق لهُ هيرودس وسار اليهِ فلما رآهُ هيرودس على تلك الحالة بكى بكاءً حرقًا ووعدهُ بالجميل في اهلهِ وولدهِ ثم انصرف ومات فيروراس فاغتم عليهِ هيرودس وبالغ في اكرامهِ ودفنهُ مع آبائهِ. ثم ان هيرودس احب ان يتحقق ما كان قد بلغ عنهُ فقبض على خدام اخيهِ وجواريهِ فعاقبهم فاقرت واحدة من الجواري ان فيروراس وانتيبطرس كانا يجتمعان عند رسيس ام انتيبطرس اذا انصرفا من مجلس الملك هيرودس فيجلسان عندها في مجلس قد اعدتهُ لهما اكثر الليل يشربان ويدبران على الملك قالت ولقد سمعت انتيبطرس يقول لفيروراس في بعض الليالي ان هذا الملك كالسبع الردي ذو خلق اسدي لا يرحم احدًا لانهُ قتل امرأتهُ التي كان يحبها وقتل اولادهُ واهلهُ والواجب ان نبتعد عنهُ والاَّ فلا نجو منهُ ولا نفلت من توحشهِ ورداءتهِ فاذا فررنا منهُ وحصلنا حيث لا يقدر علينا دبرنا على هلاكهِ واحتلنا في قتلهِ فاننا ان لم نسارع بذلك ونبدأ بقتلهِ قتلنا هو كما قتلهم وهو يزعم انهُ قد جعل لي الملك من بعدهِ وهوذا كما ترونهُ الى هذه الغاية كالشاب القوي وانا قد شبت وما

ادري من يموت فينا قبل صاحبهِ واولاد اولادهِ المقتولين قد كبروا وهوذا يقربهم اليهِ ويدنيهم منهُ وانا اعلم انهُ لا يريد لي خيرًا لانهُ مبغض وماقت لجميع اهلهِ وهو قد ابعدك وانت اخوهُ ولم يراعِ موضعك منهُ وخدمتك لهُ ونصحك اياهُ بل جافاك وطرحك بغير سبب ولقد امرني ان اهجرك ولا اكلمك ووعدني انهُ يعطيني مئة بدرة فقال لهُ فيروراس الامر على ما ذكرت ولسنا نأمن شرهُ ولا نثق منهُ والصواب ان نستريح منهُ قبل ان يقتلنا . ثم قالت الجارية بانهما اتفقا على ان يمضي انتيبطرس الى رومية ويقيم فيروراس مع الملك فيحتال عليهِ حتى يقتلهُ . ثم يعود انتيبطرس من رومية فيهلك الملك

فلما سمع هيرودس كلام الجارية علم انها قد صدقت وذلك انهُ كان قد امر ابنهُ انتيبطرس بالاَّ يكلم عمهُ فيروراس ووعدهُ بالملك وكان ذلك سرًّا بينهما ولم يعلم بهِ احد غيرهما فاطلق الجارية وجميع خدام فيروراس وجواريهِ وقبض على خازن انتيبطرس ابنهِ وعاقبهُ ليقر بما وقف عليهِ من تدبير انتيبطرس ولدهِ وفيروراس اخيهِ على قتلهِ فاقر الخازن بان انتيبطرس كان وجَّه صديقًا لهُ الى مصر حتى اتاهُ من هناك بقارورة سم فدفعها الى فيروراس وقال لهُ اذا مضيت انا الى رومية فاحتل انت على ابي

حتى تقتلهُ بهذا السم فاني اكره ان يكون ذلك وانا حاضر فيُنسَب ذلك اليَّ فضمن لهُ فيروراس ذلك واخذ منهُ قارورة السم ودفعها الى امرأَتهِ وامرها بان تحتفظ بها فارسل هيرودس الى امرأَة فيروراس اخيهِ يامرها بالحضور لديهِ بذلك السم فخافت المرأَة من هيرودس فاخذت القارورة معها والقت ذاتها من مكانٍ عالٍ لتموت فما ماتت بل توهنت وترضضت ونالمت بعض اعضائها فحُمِلت الى هيرودس في تلك الحالة فامرها ان تصدقهُ عن خبر اخيهِ .ثم تهددها الى ان اخبرت ذلك فقالت ايها الملك لو كان زوجي فيروراس باقيًا في الحيوة لما كشفت لهُ سرًّا الى الابد ما دمت ولو جلبت عليَّ عقوبات مبرحة وتعذيبات وتلويات قادحة بل كنت افديهِ بنفسي وابذل دونهُ مهجتي واما الآن فاذ قد مات وفات وامنت عليهِ من سائر المكاره والآفات الصائرة اليهِ من بني ادم فاني اخبرك ايها الملك عنهُ وذلك انهُ استدعاني في اليوم الذي مات فيهِ بعد مجيئك اليهِ وانصرافك من عندهِ فقال لي قد رايت ما تفضل بهِ اخي عليَّ من مجيئهِ اليَّ وبكائهِ لما رآني وما وعدني بهِ من الجميل في من اخلفهُ بعدي وقد كان ذلك الظالم انتيبطرس الغاشم خدعني وكان يغويني فحملني على قتل اخي واعطاني سمًّا قاتلًا اسمهُ بهِ وقد كنت قاربت ان افعل

ذلك واقتل اخي ابن امي وابي واوجب واولى من سائر الخلق حقًّا عليَّ والآن فاسرعي وأئتيني بقارورة السم التي دفعها اليَّ انتيبطرس الباغي واقلبي السم الذي فيها امامي لئلّا يظفر بهِ انتيبطرس من بعدي فيقتل اخي ففعلت انا ما امرني بهِ وتركت من ذلك السم قليلاً في قارورة لاريهُ لسيدي الملك اذا سألني عنهُ لاني كنت خائفة من هذا اليوم ثم اخرجت القارورة لهيرودس فامر باخذها والاحتفاظ بها ثم امر بان تحمل المرأة الى منزلها وتقدم الاطباء بمداواتها وكتب الى انتيبطرس ابنهِ يامرهُ با لعودة من رومية ولا يتاخر فعاد انتيبطرس ومعهُ رسول من عند الملك اوغسطس يسمى اوراس الى هيرودس فلما صار الى مدينة قيصرية بلغهُ ان عمهُ فيروراس قد مات وان هيرودس قد سخط على امهِ رسيس ومنع ان تسمى سيدة فخاف انتيبطرس ان يكون هيرودس قد وقف على ما كان بينهُ وبين عمهِ ولذلك سخط على امهِ وابعدها ومنعها ان تسمى سيدة فاراد ان يهرب فمنعهُ من كان معهُ من خدام هيرودس وغلمانهِ لخوفهم من هيرودس ولانهم ارادوا ان يرجعوا الى اهلهم ومنازلهم وقالوا لانتيبطرس انك ان هربت حققت قول اعدائك فيك ولا تقدر ان تنجو من ابيك ولا تطمع انك تفوتهُ لانهُ يتطلبك حيثما اتجهت واية ناحية قصدت

ولا يقدر احدان يمنعهُ منك ولا يدفعهُ عنك ومن اصوب الآراء
ان تمضي اليهِ وتحتجّ عن نفسك فانهُ اذا رآك وسمع كلامك قبلهُ
وازال ما في نفسهِ منك فقبل انتيبطرس قولهم ومضى الى اورشليم فلما
وصل الى البلد لم يستقبلهُ احد لان الخبر شاع ان هيرودس الملك
ساخط عليهِ فامتنع بعض الناس من لقائهِ خوفًا من الملك
واكثر الناس كانوا يمقتونهُ فما اثروا لقاءهُ ووجّه هيرودس اقوامًا
يتوكلون بانتيبطرس . فلما رأى انتيبطرس ذلك ايقن بحصولهِ في
الاسواء وخاف على نفسهِ ثم دخل الى المدينة ومضى الى ابيهِ فلما
رآهُ ميَّل وجههُ عنهُ وقال لهُ ابعد عني يا فاقد كل صلاح . تنحَّ
عن وجهي يا عديم كل خيرٍ امضِ من قدام عينيّ يا ملعون وفي
الغد احضر مع رسول اوغسطس الملك واحتجّ عن نفسك ان
كانت لك حجة . فلما كان في غد ذلك اليوم امر هيرودس
باحضار قوادهِ واصحابهِ فحضروا على طبقاتهم وحضر رسول الملك
اوغسطس واحضر هيرودس كل من كان قد اقر على انتيبطرس
بما اراد ان يفعلهُ فلما حضروا التفت هيرودس الى رسول الملك
اوغسطس فقال لهُ سمعت يا اوراس باقبح ما فعل ابني انتيبطرس
اذ طلب هلاكي واراد ان يقتلني فقال لهُ رسول الملك لا تعجل
ايها الملك وتامل هذا الامر وابحث عنهُ حتى تقف عليهِ صحيحًا

حقيقيًا فامر هيرودس باحضار كتاب من ام انتيبطرس اليهِ وقُرِئ بحضرة الناس وكان فيهِ انهُ قد انكشف للملك تدبيرك على قتلهِ فاحذر ان تعود الى اورشليم الاَّ ومعك عسكر قوي من الروم فانك لاتخلص منهُ الاَّ بمحاربتهِ

ثم امر هيرودس باحضار انتيبطرس فلما حضر طرح نفسهُ على رجلي ابيهِ واقبل يبكي ويتضرع فلما رأَى الحاضرون ان يتكلموا في حق انتيبطرس بالجميل ويسالوا الملك ان يصفح عنهُ منعهم هيرودس ان يتكلموا وامرهم بالصمت والسكوت فسكتوا ثم اقبل على رسول اوغسطس فقال لهُ لايجوز لمن وقف على افعال انتيبطرس وظلمهِ ان يرحمهُ ويسال فيهِ وقد تمنيت ان اكون بغير ولد فان ذلك كان خيرًا لي من ان اقتل ولدي مثل هذا الظالم ولقد علمت اني قتلت ولديَّ ظلمًا وانهما كانا بريين ولكن هو الذي حملني على قتلهما بشرهِ وكذبهِ ولم يفعل ذلك لسوءٍ سبق منهما اليهِ بل حسدًا لهما لما علم انهما افضل منهُ واولى بالملك وقد كنت غلطت لما قدمتهُ عليهما وجعلت لهُ الملك دونهما لانهُ صار لذلك عدوًّا لهما يطلب هلاكهما ثم خدعهما بمكرهِ وشرهِ حتى حملهما على عداوتي ثم خدعني بحيلتهِ وكذبهِ حتى قتلتهما واحزنت نفسي وفرحتهُ وقتلت ولدَيَّ ظلمًا حتى ارضيتهُ ثم صرت ابكي عليهما وهو يضحك واحزن

على قتلها وهو يفرح وكيف لا ابكي ويعظم حزني وانا انظر الى نسائها ارامل والى اولادها يتامى ولا اقدر على تلافي ما فرط ولا ردّ ما قد فات . ثم انهُ لم يكتفِ بذلك من قتلهِ اخوتهُ حتى اخذ في التدبير على قتلي ولم ينتظر ان يميتني الله باجلي مع علمهِ بكبر سني وقرب الموت مني بل طلب ان يتعجل للملك بقتلي ويكافئني على الاحسان اليهِ بالاساءة ولم يتقِ الله عزّ وجلّ في اخوتهِ ولا فيَّ ولم يراعِ احساني اليهِ لاني مكنتهُ وقدمتهُ على اخوتهِ الذين كانوا اولى بالملك والتقدّم منهُ وسلطتهُ على الاموال والرجال وبسطت يدهُ ورفعت قدرهُ وبلغتهُ ما يفوق املهُ وبعثتهُ الى الملك اوغسطس ليقرب من قلبهِ ويحظى بشرف المنزلة عندهُ وما زلت مجتهدًا في كل ما يصلح حالهُ ويقوي امرهُ وعزمهُ وهو مع ذلك مجتهدٌ في مكروهي ويعاملني بالمكر والخديعة ويظهر للناس انهُ ينصحني ويحفظني من اعدائي وهو اشرّ الناس عليَّ واشدُّهم عداوة لي فلا تغترّ يا اوراس لخضوعهِ ولا تقبل كلامهُ ولا ترحم بكاءهُ فانهُ معتاد الكذب والخديعة وما كنت بالذي ارحمهُ وهو لا يرحم اخوتهُ ولا يرحمني ولو علمت من جميع اولادي واهلي انهم يريدون قتلي لم ارحمهم ولا ابقي على احد منهم

ثم امسك هيرودس عن الكلام فلما امسك رفع انتيبطرس

راسهُ عن الارض قليلاً مثل الاسير الذليل والمريض الذابل ثم تكلم بخضوع وانكسار فقال يا ابي قد سمعت مقالتك وفهمت كلامك وجميع ما قد ذكرتهُ فهو حجة لي وقد اظهرت براءتي من حيث اردت ان تبيّن ظلمي لانك قلت اني كنت احفظك من اعدائك واحرسك ممن يطلب هلاكك ولو كنت اريد قتلك لما فعلت ذلك واما ما وصفتهُ من احسانك اليّ فانا معترف بجميعهِ وهو اكبر حججي في ابطال ما ذكر عني من ارادتي قتلك لان اكثر ما يحمل الانسان على قتل صاحبهِ شيئان احدهما ان يأمن من سوء كان يخافهُ منهُ . والثاني ان ينال خيرًا قد كان منعهُ عنهُ. اما السوء فما رأيتهُ منك قط ولا خفتهُ واما الخير فلم يبقَ شيء مما يتمناهُ الانسان الاَّ وقد بلغتهُ منك لانك ملكتني وقدمتني على اخوتي ورفعت قدري واغنيتني واكدت حالي عند الملك اوغسطس حتى حظيت عندهُ واكرمني لما مضيت اليهِ وقدمني على جميع رسل الملوك الذين وردوا اليهِ وكنت مع ذلك اكثرهم مالاً واحسنهم حالاً واجلهم قدرًا وانما نلت جميع ذلك بنعمتك وجاهك فايُّ شيء بقي من الجميل لم تفعلهُ بي حتى تظن بي اني اعاديك بسببهِ فاطلب قتلك من اجلهِ لانا لهُ ولو كنت اشر الناس طبعًا واشدهم لك عداوةً وبغضًا لقد كان احسانك الكثير

يصلحني لك ويضطرني الى محبتك ويمنعني عن طلب مكروهك ومع ذلك لم يبلغ بي الجهل وقلة المعرفة الى ان يغيب عني ما اوجبهُ الله عليَّ من حقك حتى انعرض لقتلك واسخط الله عزَّ وجلَّ ويحل بي اليم عقابهِ واولم يردني عن ذلك الخوف من الله لصدني عن ذلك الاعتبار باخويَّ والخوف مما اصابهما لما ارادا قتلك بان الله عاجلهما بالعقاب ولم يمهلهما فاظهر لك امرهما حتى قتلتهما ولعمري ان احسانك الكبير اليَّ كان هو السبب في عداوة اخويَّ لي حتى ارادا قتلي وقتلك واما انا فكيف تظن بي اني كنت اعاديهما واريد قتلهما وانت قد قدمتني عليهما وجعلت لي الملك دونهما فلم يبقَ لي حال اعاديهما عليها واريد قتلهما من اجلها ولو كنت اريد قتلك لما اجتهدت في تاكيد محبة الملك اوغسطس لك لما حضرت عندهُ واثنيتهُ عن معاونة سيلاون عليك بعد ان كان سيلاون قد حمل اليهِ الهدايا والاموال الكثيرة وسالهُ ان يقويهُ بالرجال ليحاربك وانت تعرف باس سيلاون وشجاعتهُ او ليس انا الذي اخذ مَن قد كمن لك لكي يقتلك واتيت بهِ اليك حتى قتلتهُ فلو كنت اريد قتلك لم افعل شيئًا من ذلك وكنت قد بلغت غرضي فيك بحيث لاينسب لي ولا اعاب بهِ وقد علمت اني اخطأت على نفسي بمضي الى رومية وبعدي من حضرة الملك لان أعدائي

وحسّادي تمكنوا مني في غيبتي ومن الكذب عليَّ والاحتيال في
مكروهي فانهم صوروا عندك الباطل بصورة الحق فقبلتهُ منهم ولو
اني كنت حاضرًا لما تم لهم ذلك على اني ما مضيت الى رومية الاَّ
بامرك وانت الذي ارسلتني فاثرت طاعتك وخدمتك وثبت
عند الملك اوغسطس واجتهدت في ابطال ما اراد سيلاون من
محاربتك وان يثني اوغسطس عن محبتك وانما فعلت ذلك
لاشفاقي عليك ونصحي لك والملك اوغسطس يشهد لي بما سمعهُ
من كلامي الجميل فيك وما شاهدهُ في اجتهادي ونصحي في توقيرك
واكرامك وما عاد بمسرتك وان كتبت اليهِ تسألهُ عن ذلك
فهو سيخبرك بصدقي وصحة قولي ومع ذلك فانت تعرف محبة
اوغسطس لك ولو انهُ رأى مني في امرك ما يكرههُ لم يرضَ بهِ
ولا اخفاهُ عنك ومع ذلك فلو كنت استسهلت ركوب هذه
المعصية العظيمة والامر الفظيع لما امهلني الله الى هذه الغاية وسلمني
من الآفات في البر والبحر وخلصني من حوادث السماء والارض
فان الله عزَّ وجلَّ لم يهمل العصاة لما اسرفوا بل عاجلهم بما استحقوهُ
من العقوبة وقد علمت ان ابشالوم لما ظلم داود اباهُ وطلب قتلهُ
عاجلهُ الله بالمكافاة حتى هلك ولو انهُ كان وصل الى ابيهِ لسلم ولم
يهلك وها انا قد جئت اليك ولو اني اردت اهرب لما بعد عليَّ

الهروب وكان لي في الارض سعة وقد اشفق داود على ابنهِ الذي طلب قتلهُ ظاهرًا فاوصى اصحابهُ ألاَّ ينالوهُ بسوءٍ وانما جميع ما بلغك عني هو قول اعداءٍ وحساد لم يظهر لشيءٍ منهُ حقيقةٌ فان امهلتني واخرتني الى ان يتحقق امري فهو الاشبه بك والاولى بفضلك وعدلك وان لم تفعل ذلك واردت قتلي فاقتلني انت بيدك فاني استسهل الموت في طاعتك ومرضاتك فان قلت كيف اقتل والدي وهو لحمي ودمي فليس منك ولا من لحمك ودمك من اراد قتلك وسعى في هلاكك ولم يشفق عليك . ثم بكى انتيبطرس بكاءً شديدًا فرقَّ لهُ الحاضرون لما سمعوا من كلامهِ وبكوا لبكائهِ ما خلا هيرودس ونيقولاوس كاتبهُ وكان نيقولاوس محبًا لابني هيرودس المقتولين عارفًا بخصال انتيبطرس وفعالهِ الشريرة وسوءِ نيتهِ ودهائهِ وغشهِ

فامر هيرودس نيقولاوس بالكلام لانهُ لم يوهل انتيبطرس لجواب شيءٍ مما اعتذر منهُ وتكلم بهِ فقال حينئذٍ نيقولاوس لا يغركم ايها الحاضرون ما تسمعونهُ من كلام انتيبطرس وخضوعهِ وتذللهِ وبكائهِ وانما جميع ذلك تماكرٌ منهُ وتخابث وبمثل هذا المكر قتل اخويهِ وغيرهما واحتال على فيروراس اخي الملك بما لا يُشكُّ في صحتهِ ولا حجة لهُ فيهِ ولو ان انتيبطرس انصف نفسهُ لما كان لهُ

سبب يدعوهُ الى قتل ابيهِ لكنهُ لما استبطأ موت ابيهِ اراد ان يقتلهُ ليتعجل لهُ الملك وانتم فتبكون على الاخوين النفيسين المقتولين ظلمًا وترحمونهما وتتوجعون لهما فذلك اولى واحق من ان ترحموا انتيبطرس وتتوجعوا لهُ بعدما ظهر من شرهِ وظلمهِ وينبغي ان تنظروا للملككم ولانفسكم ولاولادكم ان انتيبطرس ان خلص من القتل لم يبقِ منكم احدًا وتكلم نيقولاوس كلامًا كثيرًا في هذا المعنى بيَّن بهِ ظلم انتيبطرس وصحة ما ذكر عنهُ فقال هيرودس لرسول الملك يا اوراس سل انتيبطرس هل بقي لهُ حجة يحتج بها عن نفسهِ فسالهُ الرسول فلم يجب بحرف حينئذٍ امر هيرودس باحضار قارورة السم التي كان انتيبطرس سلمها لعمهِ فيروراس واحضر رجلًا ممن وجب عليهِ القتل فامر بان يُسقَى من ذلك السم فلما سُقي مات لوقتهِ فامر هيرودس بان تختم القارورة ودفعها الى رسول اوغسطس ليمضي بها اليهِ ويخبرهُ بما جرى وامر بان يقيد انتيبطرس فقيِّد وحُبس ولم يزل معتقلًا الى ان امر بقتلهِ

ذكر موت هيرودس

ثم ان الملك هيرودس اعتلَّ علة الموت وكانت علتهُ تزداد في كل يوم وتقوى وتعظم حتى ضجر من الحيوة وطلب الموت ليستريح مما كان فيهِ من الآلام والاوجاع العظيمة فعمل على ان يقتل

نفسهُ فاستدعى بتفاحة فلما اخذها قال للغلام اعطني سكينًا اقشرها بها بيدي فاتاهُ بسكين فلما اخذها رفعها بيدهِ ليضرب بها فوادهُ فبادر الغلمان اليهِ فمسكوا يدهُ واخذوا السكين منهُ وبكوا وصرخوا وارتفعت اصواتهم بالعويل والضجيج فسمع الناس من خارج القصر فبكوا لبكائهم ووقع الخبر بان الملك قد مات فسمع ابنهُ انتيبطرس بذلك فسر لذلك وفرح وطلب من الموكل بهِ ان يطلقهُ فلم يجسر ان يفعل ذلك الاَّ بعد ان يتحقق موت الملك فلما عَلِم الموكل ان الملك حي لم يمت مضى اليهِ فاخبرهُ بامر انتيبطرس وما ظهر من سرورهِ لما سمع بموتهِ فغضب وامر بقتل انتيبطرس فقُتِل لوقتهِ ثم امر ان يُمحى اسمهُ من كتاب العهد ويكتب ارخلاوس بن هيرودس ليكون لهُ الملك من بعدهِ . ثم مات هيرودس بعد ان قتل ابنهُ انتيبطرس بخمسة ايام وهو ابن سبعين سنة وكانت مدة ملكهِ سبعًا وثلثين سنة وكان ملكًا مقبلاً مهابًا مظفرًا وكان مع ذلك عسوفًا متمردًا حتى انهُ قتل في مدة حياتهِ من الخلق ما لا يحصيهِ الاَّ الله سبحانهُ ولذلك صبَّ الله عليهِ تلك العلل الغليظة الى ان هشمت مفاصلهُ ومزقت حياتهُ وتمنى الموت لنفسهِ فلم يتم لهُ ذلك حتى اذن الله تعالى بذلك وكان هيرودس قد اوصى ابنهُ قبل موتهِ بان يقتل جميع من في المحبوس بعد موتهِ لكي

يكون في كل منزلٍ نحيب وعويل بعدهُ لانهُ كره ان تسر الناس بفقدهِ ويبتهجوا لموتهِ فاحتال لهم بما يزيد في حزنهم في اوان حزن اهلهِ وبنيهِ عليهِ اما ابنهُ فلم يفعل ذلك لكنهُ اطلقهم واحسن اليهم وكانوا خلقًا كثيرًا

ولما مات هيرودس جمع كاتبهُ نيقولاوس الناس فقرا عليهم كتاب العهد وفيهِ ختم الملك فقبل الناس وبايعوا ارخلاوس وعاهدوهُ على جميع مرادهِ والسمع والطاعة لامرهِ . ثم مضى ارخلاوس وجميع الناس ليدفنوا هيرودس في قبرٍ قد كان اعدهُ لنفسهِ في قريةٍ قرب اورشليم فحملوهُ بسريرٍ من ذهب مرصع بالجواهر النفيسة وعلى السرير ستور من الديباج المثقل بالذهب والبرفير والارجوان واجلسهُ على السرير واسندهُ بوسائد الديباج وعمل على راسهِ تاج الملك وبيدهِ قضيب من ذهب على شبه رسمهِ في حياتهِ ومشى بنوهُ قدامهُ مع جميع قواد اليهود ورؤسائهم وجميع عسكرهِ وعبيدهِ وغلمانهِ يمشون وراءهُ والجميع مجملون باللباس الموشى والزينة المرتفعة حاملين آلات السلاح وكان حوالي السرير خمسون خادمًا من خدمهِ معهم المسك الكثير والعنبر الرفيع والكافور الثمين وغير ذلك من الاطياب المرتفعة الثمينة ينثرون على الناس بايديهم وقد حُمِلَ من قصرهِ الى ان دُفِنَ في

قبرهِ بالكرامة والتبجيل وبالغ الناس في اكرامهِ واجلالهِ ولم

يفعلوا ذلك لمحبتهم لهُ ولكن لان خوفهُ كان

ثابتًا في قلوبهم وهيبتهُ

لم تتغيَّر من

نفوسهم



الفصل السادس

اخبار ارخلاوس بن هيرودس وهو سمى نفسهُ ايضاً هيرودس

ولما مات هيرودس اظهر الناس ما كان في نفوسهم من بغضتهِ وعداوتهِ فاطلقوا السنتهم بذمهِ والطعن عليهِ ووصفوا لهِ الذميمة واساءتهِ اليهم وخافوا ان يملك ارخلاوس فيسير بسيرتهِ فامتنعوا من طاعتهِ وقبول امرهِ فقتل منهم كثيراً . فمضى منهم قوم الى الملك اوغسطس فشكوا اليهِ ما كان يجري عليهم من هيرودس وطعنوا على ابنهِ ارخلاوس وقالوا انهُ قد قتل جماعة كثيرة منهم وتعدى على الملك واخذهُ بغير امرك وقد كان يجب ان يتوقف الى ان يستأذنك ولا يملك دون امرك واكثروا من الطعن عليهِ بذلك عند الملك اوغسطس وسالوهُ الاَّ يملكهُ عليهم وقالوا قد رضينا بان تجعل علينا ولاة من اصحابك ونحن

نطيعهم ولانخالفهم وكان ارخلاوس ايضًا قد مضى الى اوغسطس الملك مع نيقولاوس كاتب هيرودس فتكلم عنهُ نيقولاوس وقال لاوغسطس ان هولاءِ لا يكرهون ان يملك عليهم ارخلاوس الاَّ لانهم يريدون ان يعصوا الروم ويخرجوا عن طاعتهم ولولم يكن ذلك لم يمتنعوا ان يملك عليهم طول زمانهم ولد هيرودس الذي كان طائعًا للروم ومحبًّا لهم طول حياتهِ فمكن هذا الكلام عند اوغسطس وقوي امر ارخلاوس فاتفق راي الشيخ الذي برومية وراي اوغسطس ان يملكوا عليهم ارخلاوس وورد الخبر الى اوغسطس بان بلاد اليهودية قد افتتنت وانهم قد هموا بمخالفة الروم فملك ارخلاوس على اليهودية وامرهُ بالعودة الى اورشليم فعاد ارخلاوس وقد تم لهُ الملك فلما تمكن وقوي امرهُ ساءَ السيرة في اليهود وفعل افعالاً قبيحة واخذ امرأَة اخيهِ اسكندر المقتول وكان لها اولاد من اسكندر

ان ارخلاوس لما اخذ امرأَة اخيهِ وصارت في منزلهِ رأَت في نومها منظرًا كانَّ زوجها اسكندر قد وقف بها وهو ساخط عليها وكانها ارادت تقرب منهُ فدفعها عنهُ ثم قال لها ما كفاكِ انك تزوجتِ بعدي بفلان حتى تزوجتِ بعدهُ ارخلاوس اخي وكسوتِني العار والفضيحة ثم حلف لها اني لااحتمل هذا الفعل

منكِ ولااصفح عنهُ ولابد لي من الانتقام منكِ ومن ارخلاوس اخي فاستيقظت المرأة وهي مرعوبة جدًّا فاخبرت من عندها بما نظرت ثم ماتت بعد يومين . ورأى ارخلاوس ايضًا في نومهِ كانَّ بين يديهِ سبع سنابل نابتة في اصلٍ واحد وهي حسنة وكانَّ ثورًا عظيمًا قد اقبل اليها وابتلعها فقصَّ هذه الرؤيا على بعض العلماء فقال لهُ اما السبع سنابل فهي السبع السنين التي ملكت اما الثور الذي ابتلعها فهو قيصر ملك الروم ياخذ ملكك في هذه السنة ويزيلك عنهُ . فلما كان بعد ايام يسيرة ورد قائد من اوغسطس قيصر الى اورشليم فقبض على ارخلاوس وقيدهُ وحملهُ الى رومية فمات فيها وكانت مدة ملكهِ سبع سنين وملك بعدهُ انطيغوس اخوهُ ابن هيرودس

ولما ملك اوغسطس انطيغوس بعد اخيهِ سماهُ هيرودس ايضًا باسم ابيهِ وكان هيرودس هذا اشرّ من اخيهِ ارخلاوس واقبح افعالاً وكان مسرفًا في النسوة والمعاصي وهو الذي اخذ امرأة فيلبس اخيهِ وهو حيٌّ ولهُ منها ولدان واسم المرأة هيروديا فلما انكر علماء اليهود وايمتهم عليهِ ذلك قتل منهم جماعة كثيرة وقتل يوحنا بن زكريا الحبر الاعظم والكاهن الاكبر لما انكر عليهِ اخذ امرأة اخيهِ وهو حيٌّ ولان لهُ ايضًا منها ولدين ويوحنا هذا هو الذي ابتدأ

فعمل المصبوغات لليهود والتطهيرات والتكفير للخطايا وهو المسمى عند النصارى يوحنا المعمدان بن زكريا . وكان ايضًا في هذا الوقت رجل حكيم اسمهُ يسوع ان كان جائزًا ان يُدعَى انسانًا وكان صانعًا عجائب كثيرة ومعلمًا للذين ارادوا ان يتعلموا الحق وكان لهُ تلاميذ كثيرون من اليهود والامم هو المسيح الذي اشتكى عليهِ روساؤنا واكابرامتنا وسلمهُ بيلاطس البنطي للصلب ومع هذا كلهِ الذين تبعوهُ من البداءة لم يتركوهُ وقد نُظِر اليهِ حيًّا ثلثة ايام بعد صلبهِ كما كان قد تنبأ بعض الانبياء وصنع معجزات أُخر كثيرة ولم يزل الى يومنا هذا بعض الناس يدعون مسيحيين الذين يعترفون بهِ رئيسًا لهم

وفي زمان هيرودس هذا مات اوغسطس قيصر وكانت مدة ملكهِ ستًّا وخمسين سنة وملك بعدهُ طيباريوس قيصر وكان رجلًا رديًا قبيح السيرة وكان الفساد ظاهرًا في كل اعمالهِ وكان قد امر الناس بالسجود لصورتهِ وبعث بقائد لهُ من بلد البنطس صاحب جيشهِ يسمى بيلاطس ومعهُ صنم صورتهِ الى اورشليم ليأمر الناس بالسجود لهُ فامتنع اليهود من ذلك فقتل منهم جماعة كثيرة وكانت مدة ملك هيرودس هذا احدى وعشرين سنة ثم بعث طيباريوس قيصر بمن قبض عليهِ وحملهُ الى بلد اسبانيا وهو

الاندلس فمات هناك وملك بعده ابن اخيهِ اغرياس بن ارسطوبولوس المقتول بن هيرودس

خبر اغرياس بن ارسطوبولوس بن هيرودس

في زمان اغرياس هذا مات طيباريوس قيصر ملك الروم ولهُ في الملك اثنتان وعشرون سنة وشهر وملك بعده غايوس قيصر ابنهُ اربع سنين وثلثة اشهر وكان هذا رجلاً وحشياً معجباً كثير الشر فاشخص بيلاطس الى رومية وقتلهُ ومات غايوس قيصر ملك الروم وملك بعده اكلوديوس قيصر اربع عشرة سنة ثم مات وملك بعده نيرون قيصر ثلث عشرة سنة وكان اشر من تقدمهُ واقبح سيرة فامر الناس ان يسموهُ الهًا ويحلفوا باسمهِ ويبنوا لهُ مذابح في جميع مملكتهِ ويقربوا لهُ القرابين فاجابهُ الى ذلك واطاعهُ الامم باجمعهم غير اليهود فانهم امتنعوا وتهيأوا واستعدُّوا لمحاربتهِ فارسلوا اليهِ رسولاً يقال لهُ فيلو وكان رجلاً فاضلاً حكيماً فلما وصل فيلو الى نيرون قيصر قال لهُ لِمَ لم تطيعوني وتمتثلوا ما امرتكم بهِ فقال لهُ فيلو انا لانسمي الهًا الا الله وحدهُ ولا نحلف بغيرهِ ولانبني مذبحًا لسواهُ ولانقرّب قربانًا الاّ لهُ ولسنا ننقل عن ذلك ولانطيع من يأمرنا بخلافهِ ولو بذلنا انفسنا للقتل . فسخط نيرون قيصر على فيلو واسمعهُ القبيح فخرج فيلو الى اليهود الذين معهُ فعرفهم

بما جرى من الملك وقال لهم الامر عظيم وقد غضب الملك ولسنا نأمن ما يكون منهُ وليس لنا سوى ان نقصد الله عزّ وجلّ بالصلوة ونصوم ونسألهُ ان يصرف عنا هذه البلية فمضوا الى جميع اليهود الذين في رومية واخبروهم بذلك فاجتمعوا ثلثة ايام وصاموا وصلوا ودعوا الى الله عزّ وجلّ وسألوهُ ان يكفيهم امر نيرون قيصر ويخلص فيلو منهُ فلما كان اليوم الثالث شغب العسكر على نيرون قيصر وهجموا عليهِ فقطعوهُ بالسيوف حتى لم يبقَ في جسدهِ عضو يُعرَف والقوهُ الى الخارج فادلوه للكلاب ولم يُدفَن واظهر الله فيهِ النقمة وعاجلهُ ببعض اذى الطائلة لتعديهِ وتجبرهِ والحادهِ وكفرهِ وملك بعدهُ غلبا قيصر فاطلق فيلو ومن كان معهُ من اليهود واحسن اليهم واذن لهم بالرجوع الى اورشليم فعادوا على اجلّ حال واحسنها ثم هدموا ما كان اصحاب نيرون المقتول قد بنوهُ من المذابح ومحوا اثارها وكان اغريبا ملك اليهود حسن السيرة محمود الطريقة فاضلاً خيّرًا وكان مكرمًا عند قيصر موقرًا طول حياتهِ وكانت مدة ملكهِ ثلثًا وعشرين سنة وملك بعدهُ ابنهُ وكان اسمهُ اغريباس باسم ابيهِ ايضًا

اخبار اغريباس بن اغريبا بن ارسطوبولوس المقتول من هيرودس وهو اخر من ملك على اليهود في البيت الثاني.

وفي ايامهِ كانت الجلاء وخراب اورشليم وتشتيت الامة

في زمان اغريباس هذا مات اكلوديوس قيصر ملك الروم وملك بعدهُ نيرون قيصر كما ذكرنا وكثرت الفتن والحروب في جميع بلدان اليهودية وفي بلد الشام ودامت واتصلت وكثر وتحرّك المتغلبون والخوارج وزاد الشر وكثر الفسق والغش والظلم والقتل واخذ اموال الناس وحرمهم وخيفت الطرق وانقطعت السبل وانبسطت يد الاشرار وعلت كلمتهم وكثر الباطل وخفي الحق ولم يستقم لاغريباس حال ولا لرعيتهِ ولم يزل الشر يزيد والخير ينقص والبلا يعظم الى ان قدم وسباسيانوس صاحب جيش نيرون قيصر الى بلاد المشرق فحاصر اورشليم ثم عاد الى رومية فانتقل الملك اليهِ بعد نيرون قيصر فاستخلف ابنهُ تيطس على حصار المدينة الجليلة فحاصرها الى ان فتحها واخرب القدس وجلا الامة اليهودية

ان اغريباس بن اغريبا ملك عشرين سنة على اليهود ولم تبطل الحروب في جميع ايامهِ بين اليهود وبين الروم الى ان خرب القدس وجلوا الامة اليهودية في سنة عشرين من ملكهِ في اليوم

التاسع من الشهر الخامس وهو شهر آب . وفي زمان اغريباس هذا كثرت العداوات بين اليهود وبغض بعضهم بعضاً بغير سبب وكان كل من مقت صاحبهُ قتلهُ وكثر فيهم القتل وهان عليهم سفك الدماء وكثر الاشرار في اورشليم وكان منهم قوم يحملون سكاكين صغاراً ذات حدين يخفونها في ثيابهم ومن اراد منهم ان يقتل رجلاً كان يعطي بعض اولئك الاشرار شيئاً ويسألهُ ان يقتلهُ فيمضي ذلك الشرير فيلاصق ذلك الرجل ويمشي الى جانبهِ بين الناس ثم يضربهُ بالسكين في بعض مقاتلهِ فيسقط ميتاً ويختلط القاتل بالناس فلا يُعرَف ولم يكن القتل بالسكاكين يُعرَف بعد عندهم قبل ذلك فلذلك لم يحاذروهُ وكان هولاء الاشرار جماعة كثيرة وكانت لهم خفة وجسارة واقدام وكانت المدينة عظيمة كثيرة الناس جداً ولم يكن موضع منها يخلو من الزحام وكان اصحاب السكاكين يمشون بين الناس دائماً في القدس وفي الاسواق وفي الشوارع فيقتلون من ارادوا بتلك السكاكين ولا يُعرفون لكثرة الخلق والزحام في المدينة فسمي هذا القتل الموت الاعمى لانهُ كان خفياً لا يظهر فيحترز منهُ فهلك من الناس خلق كثير وقُتِل رجل من جملة الكهنة يقال لهُ يوناثان وكان رجلاً فاضلاً صالحاً ولم يعرف قاتلهُ وقُتِل جماعة كثيرة من ذوي القدرة

واهل الخير وارباب التديّن ومن سائر الناس على طبقاتهم فلما كثر هذا القتل ودام صار جميع الناس يلبسون الدروع من تحت ثيابهم خوفًا من اصحاب السكاكين . ولما كثر الشر والاذى في مدينة القدس اجتمع قوم كثير من اهلها ليخرجوا بمالهم واولادهم لخوفهم على انفسهم فمضى الاشرار الى فيلكس صاحب الروم فقالوا لهُ ان جماعة من اليهود قد خرجوا من اورشليم وانما خرجوا لانهم يريدون ان يعصوا الروم فوجَّه فيلكس اصحابهُ فتبعوهم فقتلوا اكثرهم واسروا من تبقى منهم

خبر العازر بن حناني الخارجي وهو اول من ابتدأ باظهار مخالفة الروم وهو احد الخوارج الثلثة الذين كانوا سبب خراب اورشليم وهلاك الامة

كان حناني الكاهن كاهنًا كبيرًا ولهُ ابن يقال لهُ العازر كان جبارًا شجاعًا فاتكًا ذاعرًا حراميًا وكان قد انضاف اليهِ جماعة كثيرة من الحرامية واهل الشر وكانوا يمضون كل وقت الى بلد الشام فيقتلون وينهبون ويعودون الى بلادهم ففعلوا ذلك دفعات كثيرة مدى سنين حتى انهم انكوا اهل بلد سورية واضروا بهم فكانوا يفعلون ذلك دفعات كثيرة وفي بلدان اليهودية ايضًا فلما كثرة اذية العازر واصحابهِ للسريان استغاثوا فيهم الى فيلكس

صاحب الروم فاحتال فيلكس على العازر حتى قبض عليهِ وقيدهُ وحملهُ الى رومية وقتل اصحابهُ فلما كان بعد مدة عاد العازر من رومية الى اورشليم وكان اغريباس الملك قد مضى الى رومية الى نيرون قيصر ليتلقاهُ ويسلم عليهِ فحدثت في غيبة اغريباس حروب كثيرة بين اليهود وبين الروم وكان سبب ذلك ان فيلكس صاحب الروم جار على اليهود وكثر ظلمهُ لهم وتعديهِ عليهم فحاربوا فيلكس فغلبوهُ وهزموهُ وقتلوا من اصحابهِ الروم جماعة كثيرة وطردوا من بقي منهم عن اورشليم فهرب فيلكس الى مصر فوافى بها اغريبا الملك راجعًا من رومية الى اورشليم فلقيهُ فيلكس واخبرهُ بما جرى عليهِ وعلى اصحابهِ من العازر. ثم سار اغريباس من مصر يريد اورشليم ومعهُ قائدان جليلان من الروم في عسكرٍ كبير فلما قرب من المدينة خرج الناس فاستقبلوهُ واكرموهُ فلقيهم اغريباس بالجميل وسألهم عن احوالهم فشكوا اليهِ ما فعلهُ فيلكس بهم واستغاثوا اليهِ في الروم وقالوا انَّا لا نطيعهم بعد هذا ولا نقبل منهم ولا نخضع لاوامرهم فاغتم اغريباس بما جرى على اليهود من الروم وشق عليهِ ما ذكروهُ من عزمهم على مخالفتهم والخروج عن طاعتهم لعلمهِ بقوة الروم وان اليهود لا يقدرون على مخالفتهم وانما يعرضون انفسهم للهلاك بمقاومتهم لهم فلطف اغريباس بالناس وسكنهم

بسبب الروم الذين جاءوا معهُ . ثم دخل المدينة ومضى الى بيت
الله وجمع اليهود على طبقاتهم ليخاطبهم في ذلك فلم يتمكن من
مخاطبتهم لارتفاع اصواتهم وكثرة كلامهم فقال لهم يا اخوتي اسمعوا
ما اقول وانصتوا لهُ وتاملوهُ وامسكوا عن الكلام حتى تسمعوا
ما اتكلم بهِ فانكم ان لم تمسكوا عن الكلام قطعتم على كلامي
وانسيتموني ما اريد اقولهُ لكم ولم تسمعوا ما اقول فاذا لم تسمعوا
ما اقول كيف تفهمون لان استماع الكلام يؤدي الى فهمهِ ومن فهم
الكلام عرف صوابهُ فاذا عرف معنى كلام القائل ما يكاد السامع
قولهُ يخالفهُ فامسك الناس ليسمعوا ما يقول فقال اغريباس
قد فهمت ما ذكرتم من اذية الروم لكم وما عملتم عليهِ من مخالفتهم
وبالخروج عن طاعتهم ولعمري انكم لم تحملوا انفسكم على ذلك
الاَّ لامر عظيم قد بلغ منكم ومكروه شديد قد وصل اليكم وما خفي
عني ما جرى عليكم من الروم وما عاملوكم بهِ ولقد ساءني ذلك
وغمني ولكن لا حيلة لنا فيهم ولا قدرة لنا عليهم ولا طاقة لنا بهم
ولا بد لنا من مداراتهم والرفق بهم لان الله قد سلطهم على الدنيا واذل
لهم الامم واخضع لهم الممالك حتى اطاعهم جميع من في جهة الشمال
الى حيث جبل الثلج المقيم الذي لا يمكن الناس ان يتجاوزوهُ
واطاعهم من في جهة المشرق ومن في جهة المغرب الى البحر المحيط

وما نحن اكثر رجالاً من هذه الامم ولا اعظم باساً من جميع هولاء
الذين غلبتهم الروم وهزمتهم واستولت عليهم ومتى اظهرتم مخالفة
الروم حركتم قيصر وجميع من في مملكة الروم الى محاربتكم ولم تجدوا
من يعينكم عليهم فاما الروم فان كل احد يعينهم عليكم لان جميع
الامم تطيعهم وليس الروم مثل العرب ولا كالسريان واهل ادوم
الذين عرفتم قتالهم وحربهم بل هم اشد بأساً من جميع من قاتلتموهُ
من الامم البعيدة والقريبة واكثر عدة واعظم سلطة ومعهم من الامم
الغريبة من يقاتل بانواع القتال ما لم تعرفوهُ ولا تعهدوهُ فان
كنتم انما تتكلون على حصونكم فما هي اعظم من الحصون التي
فتحتها الروم وظفروا بها ولم تمنعهم قوة الحصون عن اهلها ومع ذلك
فان قيصر لم يعلم بما جرى عليكم من اصحابهِ ولا يرضاهُ واذا علم بهِ
فهو ينكرهُ ويغيرهُ وانا اكتب اليهِ بجميع ما فعلهُ اصحابهُ واسالهُ ان
يصرفهم عنكم ويوجّه اليكم من خيار قوادهِ ورجالهِ ممن لا تتاذون
بهم ويامرهم ان يحسنوا اليكم ويمنعوا الاذى عنكم وانا اثق منهُ بان
يفعل ذلك لعلمي بحسن نيتهِ لكم ورغبتهِ في اصلاح احوالكم وعمارة
بلادكم والصواب ان تقيموا على ما كنتم عليهِ من طاعتهم وان
تداروا اصحابهم ولا يظهر لهم منكم امر يكرهونهُ الى ان يمضي كتابي
اليهِ ويعود جوابهُ ولا تعجلوا بامر لا تدرون كيف تكون عاقبتهُ فان

العجلة في الاشياء مذمومة وربما طلب الانسان ان يتخلص من امرٍ فيقع في ما هو اعظم منهُ فهذا الذي اراهُ لكم واشير بهِ عليكم وما اشرت عليكم الاَّ بما اوجبهُ النصح والاشفاق ولا رضيت لكم الاَّ بما رضيت لنفسي من طاعة الروم ومسالمتهم فان فعلتم ذلك فانا معكم على ما عهدتموهُ ولست ادع الاجتهاد فيما يصلح شانكم ودفع الاذية عنكم وان كنتم لا تقبلون وتاتون على معصية الروم ومخالفتهم فاعلموا اني لا ادخل معكم في ذلك ولا اعينكم عليهِ ولا ارضى بهِ فاتقوا الله عزَّ وجلَّ في انفسكم واولادكم وحريمكم واشفقوا على هذه المدينة الجليلة وبيت المقدس المكرم عند الله سبحانهُ ولا تتعرضوا للمقاومة لمن لا طاقة لكم بهِ ولا تستجلبوا عداوة من لا تقدرون عليهِ. فان ايسر ما ينالكم من ذلك حدوث الفتن في بلادكم وانتم تعلمون بان فيكم جماعة كثيرة يريدون الشر ويسرهم ان تحدث الفتنة حتى يسارعوا اليها فاذا اوجدتموهم السبيل الى ذلك قويت شوكتهم وانبسطت ايديهم على اهل الخير والسلامة فاهلكوهم ثم تحصلون منهم في اعظم ما تكرهون من الروم ويكون ذلك سبب مجيء عسكر الروم الى بلادكم ومحاربتهم لكم واجتهادهم في هلاككم وبواركم فترون في انفسكم حينئذٍ ما لا تحبون وتبلغ اعداؤكم فيكم ما كانوا يتمنونهُ فتندمون على ما فرط منكم فلا تنفعكم الندامة ثم بكى اغريباس

وبكى حناني الكاهن فاكثر الناس عملوا على قول ما اشار بهِ اغريباس واما العازر بن حناني واصحابهُ فانهم لم يقبلوا ذلك واضمروا اظهار مخالفة الروم والايقاع بهم وكان نيرون قيصر قد بعث بهدية الى بيت الله عزَّ وجلَّ وقرابين كثيرة يقرب بها في القدس على ما كان ملوك رومية يفعلون فاخرج العازر تلك الهدايا من بيت الله والقاها بعيدًا منهُ وقال لا نبذل محل قدس الله للنجاسات والطامات بادخال هدايا الغرباء من القبائل وما يقربونها اليهِ ثم مضى مع اصحابهِ فقتلوا قواد الروم الذين جاءوا مع اغريباس واصحابهم وقتلوا ايضًا جميع من كان في اورشليم من الروم ولم يعلم اغريباس بشيء من ذلك لانهُ كان مقيمًا في عسكرهِ خارج المدينة فلما علم شيوخ المدينة وكبراء الناس واعيانهم بما فعلهُ العازر واصحابهُ انكروهُ واستعظموهُ وخافوا عاقبتهُ واجتمعوا لمحاربتهم وارسلوا الى الملك اغريباس ليعلموهُ بذلك فارسل اليهم قائدين من اصحابهِ ومعهم ثلثة آلاف رجل لمعاونتهم فقويت يد الشيوخ وحاربوا العازر واصحابهُ سبعة ايام ثم غلبوهُ وقتلوا كثيرًا من اصحابهِ وانهزم العازر ورجالهُ الى القدس وتبعهُ الشيوخ واصحاب اغريباس فدخلوا في اثرهم الى القدس فقاتلوهم والتحمت السيوف والحرب بينهم واشتدت وكان في اصحاب العازر جماعة

يحملون السكاكين قد خلوا بين الناس والناس لا يرون معهم سلاحًا فيحذرونهم فقتلوا من الناس خلقًا كثيرًا وانهزم اصحاب اغريباس وخرجوا من المدينة وخرج معهم اكثر الشيوخ والعلماء واهل السلامة واقاموا في ظاهر المدينة مع اغريباس فقويت يد العازر واصحابه واستولوا على المدينة واحرقوا قصر الملك وقصر ابيه فتلف فيها اموال كثيرة وزخائر عظيمة واشياء كثيرة من عِدَد الملوك وكنوزهم النفيسة . وحدث في ذلك الزمان بين السريان وبين اليهود الذين يسكنون في بلادهم عداوة وكان السريان في ذلك الزمان يسكنون بدمشق وحلب والغور ايضًا وفي مدن كثيرة غير ذلك فاحتال السريان على اليهود حتى قتلوا كل من في قيصرية ومن في دمشق فلما اتصل خبرهم باهل اورشليم وغيرهم من اليهود اجتمعوا الى دمشق وغيرها من بلد الشام فقتلوا من بها من السريان وعادوا بغنائم كثيرة وسلب جزيل . واجتاز اليهود في عودتهم بمدينة حصينة من مداين السريان يقال لها سفيلو فنزلوا عليها وحاصروها وارسلوا الى اليهود الذين فيها يشيرون عليهم بالخروج من المدينة والانتقال منها وقالوا لهم امضوا معنا الى بلادنا فانّا لا نأمن عليكم من السريان ان يقتلوكم كما فعلوا بغيركم من اليهود الذين كانوا في بلادهم فلم يقبلوا منهم

بل اجابوهم بالقبيح وخرجوا اليهم فحاربوهم معاونةً للسريان عليهم فانصرف اليهود عنهم وتركوهم فلما كان بعد ذلك بايام خاف السريان من اليهود الذين في هذه المدينة فعملوا على قتلهم فلم يتم ان يقتلوهم في المدينة فاحتالوا عليهم حتى اخرجوهم منها الى بعض الشِّعْب ثم اجتمعوا عليهم فقتلوهم باجمعهم وكانوا خلقاً كثيرًا وكان في جملتهم رجل يقال لهُ شمعون بن شاول وكان جبارًا عظيم الخلقة شجاعًا وكان لما جاء عسكر اليهود الى هذه المدينة ليفتحوها خرج اليهم جماعة من اليهود الذين في المدينة فقاتلهم اشد قتال وقتل منهم معاونة للسريان فلما احتال السريان على اليهود حتى اخرجوهم من المدينة خرج شمعون هذا في جملتهم وابوهُ وكل اهلهِ فلما جاء السريان والروم ليقاتلوا اولئك اليهود جاءوا الى شمعون واهلهِ ليقتلوهم ايضاً فحين رآهم قد اقبلوا اليهِ جرَّد سيفهُ فقتل جماعة منهم ثم كثروا عليهِ فلما علم انهُ لا يطيقهم وقف منتصباً سيفهُ في يدهِ . ثم قال لهم اسمعوا مني يا معشر الروم والسريان قد علمت اني مستوجب ان تقتلوني ولا ترحموني اني نصرتكم واجتهدت في خلاصكم من اليهود حتى سلمتم منهم ولم يفعلوا بكم كما فعلوا بغيركم وقاتلت قومي بسببكم وعاديتهم من اجلكم وقتلت منهم كثيرًا لنصرتكم ولذلك سلطكم الله حتى كافأتموني بالسوء وذلك عدل

منهُ تعالى لاني قتلت اخوتي وبني عمي في رضى الغرباء ونصرتهم وقد كان يجب عليَّ الّا افعل ذلك غير اني وان كنت مستوجبًا القتل فلست امكنكم من نفسي ولا ادعكم تقتلوني لئلّا تفتخروا بقتلي بل اقتل انا نفسي بيدي واخذ منها حق الله وحق اخوتي الذين سفكت دماءهم في هواكم ظلمًا. ثم ان شمعون خرج عن طبعهِ وزال عن التمييز فلم يجسر احدٌ من الروم والسريان ان يقترب منهُ فتقدم الى شاول ابيهِ فضرب عنقهُ ثم قدم امهُ فضرب عنقها وانما ابتدأ بقتل ابيهِ وامهِ لئلّا يمنعاهُ من قتل اولادهِ وزوجتهِ. ثم جاءت اليهِ زوجتهُ مسرعة مادة عنقها فضربها وافاتها الحيوة. ثم اقبل اليهِ اولادهُ يمدون اعناقهم وهو يقتلهم واحدًا فواحدًا. ثم قتل اهلهُ عن اخرهم فلما فرغ من قتلهم جميعهم جمع اجسامهم وطلع فوقها ثم قتل نفسهُ بسيفهِ بيدهِ

ذكر عودة اغريبا الملك الى رومية بعد ما جرى من العازر الحناني الكاهن

ولما جرى من العازر بن حناني من قتل قواد الروم واصحابهم على ما ذكرناهُ مضى اغريبا الى نيرون قيصر واخبرهُ بجميع ما جرى فغضب وبعث الى كسبينا صاحب جيشهِ يامرهُ ان يسير مع اغريباس الى بلد القدس ليرد اليهود الى طاعة الروم وكان

كسبينا قد مضى الى بلد العجم فحاربهم وقهرهم ثم عاد الي بلد الشام فبلغهُ ما فعلهُ العازر بن حناني من قتل الروم واظهار مخالفة قيصر فغضب من ذلك فلما جاء اليهِ اغريباس واخبرهُ بما امرهُ قيصر من مسيرهِ معهُ لمحاربة اليهود فرح كسبينا بذلك جدًّا لانهُ كان يريد ان يجد السبيل الى الانتقام من اليهود فجمع عساكر كثيرة وسار مع اغريباس فاحرق جميع ما عبر بهِ من مدن اليهود وقتل اهلها الى ان انتهى الى اورشليم فلقيهُ العازر بن حناني واصحابهُ يحاربونهُ فغلبهم كسبينا واغريباس ومن معهما ونزلوا الى اورشليم ثلثة ايام وارسلوا الى العازر في طلب الصلح فامتنع وقتل الرسل ثم جمع اصحابهُ ومن انضاف اليهِ من الكهنة وغيرهم وخرج في اليوم الرابع من المدينة فقتل من الروم الوفًا كثيرة . فلما نظر كسبينا ما جرى وعلم شدة بأس اليهود وشجاعتهم واقدامهم على الحروب خاف منهم ورأى ان يبعد عنهم قبل ان يعودوا الي محاربتهِ فقام بقية نهارهِ ولما صار الليل امر اربعين رجلًا من اصحابهِ ان يشعلوا نيرانًا كثيرة ويضربوا بالابواق من اول الليل الى الصبح ليظن اليهود ان العسكر مقيم على المدينة ثم رحل كسبينا واغريباس وجميع العسكر وساروا طول الليل حتى بلغوا قيصرية فلما علم العازر واصحابهُ من الغد بسيرهم خرجوا في اثرهم الى قيصرية

فحاربوهم وهزموا كسبينا وقتلوا من اصحابهِ خلقًا عظيمًا فهرب كسبينا واغريباس الى رومية واخبرا نيرون قيصر بما جرى فعظم عليهِ وورد اليهِ في ذلك الوقت ايضًا ان الفرس عصت عليهِ لما بعد كسبينا عنهم فقلق من ذلك وكان قيصر قد وجّه قائدًا عظيمًا من قوادهِ يقال لهُ وسباسيانوس الى بلد المغرب والاندلس ففتحها واستولى عليها ثم عاد الى رومية عند ورود الخبر بمخالفة اليهود والعجم فاخبرهُ قيصر بذلك وامرهُ ان يسير الى اليهود فيستاصلهم ويخرب بلدانهم ويهدم حصونهم فسار وسباسيانوس من رومية ومعهُ ابنهُ نيطس واغريباس الملك في عسكر كبير فيهِ اكثر فرسان الروم وشجعانهم وجبابرتهم فلما انتهوا الى انطاكية وبلغ اليهود خبرهم عملوا على محاربتهم وراوا ان يقسموا بلدانهم ثلثة اقسام يجعلون في كل قسم منها رجلاً منهم من اهل الشجاعة والراي ومعهُ عسكر قوي يضبط الجهة التي يحل فيها ويلقى كل من يجيء من عساكر الروم فاختاروا لذلك ثلثة من الكهنة احدهم يوسيفوس الكاهن اعني يوسف بن كربون الثاني حناني الكاهن الاكبر الثالث العازر بن حناني وجعلوا كل واحد من هولاء الثلثة على قسم من الاقسام التي قسموها وجعلوا ذلك بقرعة بالقسم الذي يخرج بالقرعة لاحد هولاء الثلثة هو

الذي يحصل بيدهِ ويقيم فيهِ ويحارب من يجيءُ اليهِ من عسكر الروم فحصلت طبرية وجبل الجليل وما يتصل بذلك ليوسف بن كربون وحصلت اورشليم وكورتها لحناني الكاهن الاكبر وحصل جهة بلد ادوم وما يليها الى ايله وتخومها للعازر بن حناني وقوي امر هولاء الثلثة بالعساكر والاموال والسلاح الكثير وضمنوا لهم حفظ ما تولوهُ وجعلوا ما بقي من بلدانهم من الاغوار والى حدود مصر بيد قوم من الكهنة وغيرهم ممن يصلحون لذلك

اخبار يوسيفوس

فلما استقر امر اليهود على قسمة بلادهم ونقديم من قدموهُ ليضبط كل جهةٍ منها سار يوسف بن كربون الى الجهة التي حصلت لهُ في قسمهِ وهي طبرية واعمالها فعمرها وشيد ما فيها من الحصون والضياع وجعل المقاتلة في كل موضعٍ يحتاج اليهِ واما حناني الكاهن فانهُ ايضاً عمَّر اسوار اورشليم ورفعها وجعل فيها الرجال والعدد الكثيرة وجعل مثل ذلك في بقية الجهات . ثم سار وسباسيانوس بعسكرهِ من انطاكية فنزل على بلد الشام ورأى ان يجعل طريقهُ على طبرية ويبتدئ بها وبمحاربة من في تلك الجهة. فلما اتصل ذلك بيوسف بن كربون استعد لمحاربتهم ورتب عسكرهُ وجعل على كل الف رجل منهم مقدماً وكذلك على كل

مئة وعلى كل خمسين وعلى كل عشرة وقواهم بالسلاح واوصاهم بما يجب ان يفعلوهُ من امور الحرب وتدبيرهِ وشجعهم وقال انكم مشرفون على القتال لاعدائكم فلا تخافوهم ولا تهابوهم فان خوفكم منهم يضعف قلوبكم ونياتكم ويعين اعداءكم عليكم فثقوا بالله واتكلوا عليهِ فانهُ القادر ان يعينكم وينصركم ولا تجزعوا من الموت فان ظفر الاعداء بكم وبحريمكم واولادكم وحكمهم فيهم ما تلقونهُ منهم من الذل والهوان اعظم من الموت وموتكم في طاعة الله ونصرة دينهِ وامتهِ والمدافعة عن حريمكم ونعمكم احسن في الذكر واحمد في العاقبة فينبغي ان تبذلوا انفسكم في مجاهدة اعداء الله واعدائكم فاما ان ينصركم عليهم فتظفروا بهم وتستريحوا واما ان تقتلوا على طاعة الله ومجاهدة اعدائهِ فتصيروا الى النور الاعظم حيث السعادة الباقية والغبطة الدائمة والثواب الراهن والجزاء المقيم الدهري

فلما سمع القوم كلام يوسف قويت قلوبهم وعملوا على لقاء اعدائهم. ثم ان يوسف اختار من جملة الذين في تلك الجهة ستين الفًا فجعلهم عسكرهُ الذي يعتمد عليهِ وامر بقية الناس ان يمضوا الى مساكنهم فيقيموا بها ويضبطوها ويطالعوهُ باخبارهم وسار في جماعةٍ من اصحابهِ الى حصن لاغريباس الملك يقال لهُ طورية ففتحهُ واخذ مالاً كثيرًا منهُ وسلاحًا وغير ذلك. ثم بلغ يوسف

عن اهل طبرية انهم قد خالفوا امرهُ واستامنوا الى الروم واخذوا رجلاً منهم فولوهُ عليهم فغضب يوسف من ذلك وسار اليهم فنزل على المدينة وقال لاهلها لِمَ نقضتم العهد الذي كان بينكم وبيني واخترتم طاعة الروم فقالوا ما اردنا شيئًا من ذلك وانما فعل ذلك قوم اشرار من البلد وهم الذين ادخلوا صاحب وسباسيانوس الى المدينة فما قدرنا على منعهم . ثم فتحوا ليوسف باب المدينة فدخل وقتل بعض اولئك الاشرار وقبض على صاحب وسباسيانوس وبلغهُ عن اهل صفوريه واهل جبل الجليل مثل ذلك فسار اليهم وقتل جماعة منهم وسبى جماعة وبعث بهم الى اورشليم وقتل من كان في هذه المواضع من الروم فلما بلغ وسباسيانوس ما فعله يوسف بن كربون عظم عليهِ فسار اليهِ وكان اغريباس في اربعين الف مقاتل قد انضاف الى عسكر وسباسيانوس وكان عسكر وسباسيانوس عظيمًا جدًّا لكثرة من معهُ من الروم ومن انضاف اليهِ من جميع الامم الذين يعادون اليهود ويريدون الخروج عن طاعتهم فساروا باجمعهم مع وسباسيانوس لرغبتهم في التشفي من اليهود ولم يبقَ من جميع الامم القريبة من لم يعن الروم على اليهود غير اهل ادوم فانهم كانوا منذ الزمهم هركانوس الملك دين اليهود مقيمين على طاعتهِ فلم يعصوهم

ولااعانوا عليهم احدًا من اعدائهم ولما حاصر الروم اورشليم كان فيها
من ادوم ثلثون الف رجل يختلعون اليها بالنوبة ليحفظوا الحصن
ومعاونة اليهود على الروم. ثم سار وسباسيانوس بعساكرهِ الى طبرية
وجبل الجليل فلما نظر يوسف بن كربون عظم عساكر الروم خاف
منهم فمضى الى حصن في جبل الجليل يقال لهُ يوذات فتحصن
فيهِ فسار وسباسيانوس فنزل على الحصن بعسكرهِ وبعث الى
يوسف بن كربون يدعوهُ الى الصلح ويعدهُ بالجميل ان اطاعهُ
ويخوفهُ من الحرب التي لا يعرف كيف تكون عاقبتها فسالهُ يوسف
ان يمهلهُ الى ان يشاور اهل اورشليم فاجابهُ وسباسيانوس الى ذلك
فتباعد عن الحصن فارسل يوسف الى اهل اورشليم يستعلم رايهم
فيما التمسهُ وسباسيانوس فعاد الجواب منهم يامرهُ بالَّا يسالم الروم
وان يهلك في محاربتهم الى ان يظفر او يهلك فلما عاد الجواب الى
يوسف بذلك من اهل اورشليم امتثل ما امروهُ بهِ وعلم
وسباسيانوس بذلك فعاد بعسكرهِ ونزل على الحصن فخرج اليهِ
يوسف وكان بينهم حروب عظيمة مدة خمسة ايام فقتل من
الفريقين خلق كثير واستقتل اليهود وبذلوا انفسهم وهان عليهم
الموت في محاربة اعدائهم والذب عن حريمهم واولادهم والتعصب
لدينهم وكان عسكر الروم في كل يوم يزيد ويكثر من يرد اليهِ من

جميع الجهات من سائر الامم وكان عسكر يوسف يقل ويضعف لكثرة من يعدم منهم ولايجدون معونة من احد فلما كان في اليوم السادس لم يخرج اليهود من الحصن لضعفهم وقلة عددهم واقاموا في المدينة واغلقوا الابواب وطلعوا على الحصن فحاصرهم وسباسيانوس اياماً وقطع عنهم قناة الماء فاضر بهم العطش ثم نصب كبش الحديد على الحصن ليهدمهُ فخرج اليهود من الحصن وقاتلوا الروم قتالاً شديداً عظيماً وقتلوا كثيراً منهم واحرقوا الكبش ورمى بعضهم وسباسيانوس فاصاب ساقهُ فاضطرب عسكر الروم وكادوا ينهزمون فشجعهم وسباسيانوس حتى ثبتوا واشتد القتال بين الروم واليهود وهلك من الفريقين خلق كثير ولم يبقَ مع يوسف من اصحابهِ الاّ عدد قليل فعادوا الى الحصن واغلقوا عليهم واقاموا في حروب متصلة بينهم وبين الروم ثمانية واربعين يوماً الى ان كلّ اليهود وانقطعوا لطول الحرب والتعب والسهر وضعفوا عن حفظ الحصن وناموا في بعض الليالي . فلما علم الروم بذلك طلع منهم قوم الى الحصن فنزلوا الى المدينة وفتحوا الباب ودخل العسكر فقتلوا جميع اليهود الذين كانوا في المدينة ولم يفلت منهم غير يوسف بن كربون واربعين رجلاً معهُ لانهم خرجوا من المدينة لما دخلها الروم ومضوا الى بعض الشعر

فاقاموا في مغارة هناك فلما عرف وسباسيانوس بخبرهم ارسل اليهم يلطف بهم ويستدعيهم الى طاعته واعطاهم الامان ووعدهم بالجميل ان اطاعوهُ فمال يوسف الى ذلك وعمل على الخروج الى وسباسيانوس فلما علم القوم الذين معهُ بذلك شق عليهم وكرهوا طاعة الروم فقالوا ليوسف يا يوسف اننا نراك تريد ان تستامن الى الروم وما ندري كيف اخترت ذلك لنفسك ورضيت بهِ وانت تعلم ان اليهود اختاروك من جملة الكهنة واهل القدس وقدموك على غيرك من اليهود واعتمدوا عليك في مقاومة اعدائهم ووثقوا بدينك ونصحك لهم فكيف يجوز لك ان تكذب ظنهم فيك وتخونهم بمسالمتك اعداءهم وطاعتك لهم فان كنت تظن ان وسباسيانوس انما اراد خروجك اليهِ لحسن رايهِ فيك فليس الامر كذلك وانما يريد ان تحصل بيدهِ حتى يفتخر انهُ قد ظفر بعظيم من كبراء اليهود ورئيس من روسائهم فيشجع اصحابهُ بذلك ليستطيل على اليهود ويكسر قلوبهم وتكون انت قد اعنتهُ على ذلك في هذا الامر واكسبتهُ الفخر والذكر واكسبت قومك ونفسك الذل والعار وانت قادر على ان تمنعهُ من ذلك ولا تبلغهُ ما يريد ومع ذلك فانَّا لا نامن الروم فيغدورن بك فيقتلونك وموتك بسيفك وانت عزيز اولى من ان تموت بسيوف اعدائك بعد ان

ترى بنفسك من الذل والهوان وتسمع في قومك ودينك من الثلب والتعيير ما هو اعظم من الموت وقد علمت ان موسى معاين الله سال الله عزَّ وجلَّ ان يميتهُ قبل ان يرى في قومهِ مكروهًا وداود الملك لما راى ما اصاب قومهُ من الموت سال الله سبحانهُ ان يميتهُ مع اهل بيتهِ بدل الامة ويصرف الوبأ عنهم وشاول الملك ويوناثان قتلا انفسهما وكرها ان يحصلا بيد العدو فكيف اخترت انت لنفسك الخروج الى اعدائك ورغبت في البقاء بعد هلاك قومك ولم تتشبه بالانبياء والملوك الذين اختاروا الموت والقتل على طاعة اعدائهم ولم يرغبوا في البقاء بعد قومهم واين شجاعتك وباسك واقدامك على الموت واين دينك وفضلك ومعرفتك أوليس انت الذي علمتنا انهُ لايتم لنا قول الله عزَّ وجلَّ في التوراة القائل حب الله الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل جهدك على حقيقتهِ الآ بان نبذل نفوسنا في طاعتهِ ونستقتل على دينهِ أوليس انت الذي كنت تقول لنا قاتلوا اعداءكم الى ان تظفروا بهم او تُقتَلوا ولاتكرهوا الموت ولاتخافوا من القتل فان كل من يموت في الحرب على دين الله عزَّ وجلَّ ونصرة امتهِ يكون من المرضيين عندهُ والمخلصين في طاعتهِ ويصير بعد الموت الى النور الاعظم والثواب الباقي الدائم فقبلنا ذلك وبذلنا انفسنا للموت وقاتلنا

الاعداء الى ان قُتلِنا باجمعنا فكيف لاتختار لنفسك من الخير الذي اخترتهُ لنا وكيف تاثر الحيوة على الموت وانت كنت تامرنا بهِ وتدعونا اليهِ وكيف تنصف اصحابك الذين قتلوا قدامك وسُفكت دماؤُهم في طاعتك اذا انت اخترت البقاء بعدهم ولاتوثر اللحاق بهم واشفقت على نفسك من الموت الذي سارعوا اليهِ وصنتها عن القتل الذي كنت تحثهم عليهِ أَوليس انت الذي كنت تنادي باعلى صوتك اذا لقيت عسكر الروم تقول انا يوسف بن كربون مقدم الحرب الذي وهب نفسهُ لله عزَّ وجلَّ واستقتلت في نصرة دينهِ وامتهِ فكيف يكون حالك عند الله عزَّ وجلَّ اسمهُ وعندهم اذا خرجت اليهم وخضعت لديهم أَلَا تكون قد ابطلت قولك وكذبت نفسك وافتخرت بما لم تفعل لانك قلت قد استقتلت وهان عليك الموت في طاعة الله ثم ظهر منك الرغبة في الحيوة وكراهية الموت ما يخالف قولك وهل هذا الَّا عار عليك وعلينا يهون الموت دونهُ وكيف ترضى ان تسلّم نفسك للروم مثل الامة الصغيرة الحقيرة العاجزة وبعد ما كنت معروفًا بالشجاعة وكبر الهمّة وكانت الجبابرة تخافك والشجعان تتقي باسك أَوليس كل من يراك بعد ذلك او يبلغهُ خبرك يظن بك الجزع والوهن وقلة الحفاظ وعدم الوفاء ويقول هذا الذي اسلم

قومهُ ولم يحافظهم فايُّ عار وخزي مثل هذا وايَّة حيوة تطيب معهُ وايُّ ذكر اقبح منهُ ولئن رضيت لنفسك فنحن لانرضى لك بهِ ولانمكنك منهُ ولانعينك عليهِ ثم جرَّدوا سيوفهم وقاموا اليهِ وقالوا اما ان تستجيب لنا بقتلك فنموت كريمًا عزيزًا كاحد السادة والعظماء الذين قتلوا في عزهم ولم يخضعوا لعدوهم ثم نقتل انفسنا بعدك واما ان تمتنع من ذلك فنقتلك بهذه السيوف كما نقتل بعض اعدائنا ولانمكنك ما يكسبك ويكسب الامة العار والذم فقال لهم قد فهمت كلامكم وقد صدقتم فيما قلتم وكيف لي ان اكون قد متُّ قبل هذا اليوم ولم ارَ ما رأيتهُ ولكن انفسنا هي ودائع الله عزَّ وجلَّ عندنا وهو الذي خلقها في اجسامنا في الوقت الذي اراد وهو الذي يقبضها في الوقت الذي يريد وليس نقدر ان نميت انفسنا اذا اراد الله حياتنا ولانقدر نحفظها اذا اراد الله موتها ولايجب ان نعرضها للموت الاَّ في طاعة الله ومرضاتهِ ومتى اهلكناها على غير هذا الوجه كنا قد عصينا الله وضيعنا الامانة في حفظ النفس التي اودعناها وخسرنا الدنيا والاخرة ولم يبلغنا احد من الانبياء والصالحين انهُ قتل نفسهُ لما وقع في الشدائد بل صبروا على حكم الله فيهم كمشيئتهِ وقد طلب بعضهم من الله ان يميتهُ ولم يرَ ان يقتل نفسهُ وقد كان يقدر على ذلك وما امتنع منهُ الاَّ لعلمهِ

انهُ غير جائز وانهُ خطأٌ ومعصية اما بذل النفس الذي يحسن عند الله وعند العقلاء فهو بذلها في مجاهدة الاعداء وحفظ الدين والدفع عن الحريم فما يطمع الانسان في الظفر ويرجو النصر اما قتلهُ نفسهُ بغير سبب من هذه الاسباب فلا يحمد الانسان عليهِ اذا فعلهُ ولا يوصف بالشجاعة والباس بل بالجبن وضعف القلب وقلة العقل وعدم الراي وذلك انَّا لم نجد اكثر من استجاز هذا الفعل وقتلوا نفوسهم الا نساءٌ ومن يجري مجراهنَّ في نزارة الذهن وقلة التمييز ومن المعلوم ان كل من يتعرض للمكروه فانما فعل ذلك في طلب السلامة والحرص على البقاء والحيوان ايضاً يغتال بعضهُ بعضاً لينجو من الموت وصاحب السفينة انما يخاطر بنفسهِ في تدبيرها وسياستها ليسلم من الغرق أَوما تعلمون ان الملك يريد من جندهِ ان يبذلوا نفوسهم في نصرتهِ ومجاهدة عدوهِ ويحمدهم على ذلك ويحفظون عندهُ اذا فعلوا غرضهُ ولا يريد منهم ان يقتلوا انفسهم بايديهم ومتى علم انهم يفعلون ذلك سخط عليهم ومنعهم اشد المنع وما مثلنا اذا قتلنا نفوسنا الاَّ مثل عبيد اذا دخلوا على سلطانهم بغير اذن منهُ فهم يستحقون بذلك ان يسخط عليهم ويعاقبهم واصلح احوالهم ان يطردهم ويبعدهم اما شاول الذي مدحتموهُ لقتل نفسهِ فانتم تعلمون انهُ لم يكن مرضياً عند الله ولا محمود

الفعال وهذا الفعل هو من اعظم افعالهِ المذمومة التي سيُعاقَب عليها وقد علمتم قوة الروم وعظم باسهم وانهم اذلوا المالك وقهروا الامم فلو كنت اريد لنفسي البقاء دون قومي لما كنت قدمت وتجاسرت على محاربة الروم مع علمي بباسهم وما شاهدت من قوتهم وكثرتهم بل كنت امتنعت من ذلك وسالمتهم لما استدعاني وسباسيانوس الى طاعتهِ ووعدني بالجميل فلم افعل ذلك بل بذلت نفسي للموت وصبرت على البلاء العظيم لمحاربتهم ومقاومتهم المدة الطويلة في العدد القليل والجملة اليسيرة ولم اجبن عن قتالهم كما تعلمون لاني كنت اترجى ان ينصرني الله عليهم فاردهم واصدهم عن مدينة القدس او أُقتل في الحرب فيكون ذلك حسنة لي عند الله اذا قُتِلت في طاعتهِ ومجاهدة اعدائهِ فكيف لي ان اكون قد قتلت في الحرب ولم اشاهد قتل اصحابي وكنت اودُّ واتمنّى ان يغدر بي الروم اذا اخذوني فيقتلوني ولا ارى ما اتخوفهُ من خراب اورشليم وهلاك هذه الطائفة الذليلة الاَّ انهُ لاحيلة لي ولا لكم في منع ما يريدهُ الله عزَّ وجلَّ ولو كانت لنا حسنات واعمال صالحة لكان الله قد نصرنا على اعدائنا وظفرنا بهم ولكن ذنوبنا هي التي عكست علينا الامر وامكنت عدونا منا وقد بذلنا العذر واستفرغنا الوسع في مجاهدة الاعداء

وبلغنا غاية ما قدرنا عليهِ من محاربتهم وصبرنا الى ان لم يبقَ للصبر موضع والآن فلا وجه لنا ولا حيلة وقتل أنفسنا بيدنا ليس مما يجدي الينا نفعًا ولا ينفع قومنا ولا يضر اعداءنا ولا ذلك مما نكسب بهِ حمدًا في الدنيا ولا اجرًا في الآخرة وقد بذل لنا الروم الامان واستدعونا الى طاعتهم ووعدونا انهم يستبقوننا ويحسنون الينا فان وفوا لنا بما قالوهُ عشنا على ما يريدهُ الله الى الوقت الذي يشاء فروغ اجالنا فنموت وان غدروا بنا فهو الذي يريدهُ وكان خيرًا لنا من ان نقتل انفسنا بايدينا

ثم رفع يوسيفوس يديهِ الى السماء فقال يا ايها الرب العظيم انت الذي خلقتنا بقدرتك وانت الذي اوقعتنا في هذا البلاء العظيم بذنوبنا التي استوجبنا بها ذلك ان تميتنا انت وتقبض على ارواحنا اليك ولا نقتل نحن انفسنا ويلزمنا من العقوبة ما يلزم قتلة الانفس بغير حق لانك انت مالك ارواحنا وخالقها في اجسادنا وهي لك واليك تعود بعد الموت وانت العادل في جميع افعالك

فلم يلتفت القوم الى كلام يوسف ولا قبلوا قولهُ بل لجوا في قتل انفسهم وقتلهِ فلما رأى يوسف ان القوم لا يقبلون منهُ احتال على خلاص نفسهِ فقال لهم اذا كنتم قد عزمتم على هذا فالصواب

ان نقترع كل اثنين منا فمن خرجت عليهِ القرعة بالقتل يقتل صاحبهُ الى ان لا يبقى منا احد فقبل القوم ما قال يوسف وقتل بعضهم بعضاً الى ان لم يبقَ منهم غير يوسف ورجل آخر فقال الرجل ليوسف اتريد ان نفعل كما فعل اصحابنا فقال لهُ يوسف وأيَّة فائدة في قتلنا انفسنا فاني ان قتلتك كنت مطالبًا بدمك وكذلك ان قتلتني انت كنت مطالبًا بقتلي فنخسر دنيانا وآخرتنا مثل هولاء الذين اخطأُوا على انفسهم ومع ذلك فاني امنعك بكل مقدرتي عن نفسي ولا ادعك ان تقتلني فلما سمع الرجل كلام يوسف خاف منهُ وامسك عنهُ . ثم ان يوسف خرج الى وسباسيانوس فقبلهُ واحسن اليهِ فاشار قوم من اليهود على وسباسيانوس بقتلهِ وخوفوهُ منهُ فلم يقبل منهم ولا اسى الى يوسف ولكنهُ بقي عندهُ معتقلاً مدة وفتح وسباسيانوس حصونًا كثيرة لليهود وقتل اهلها ووجَّه بابنهِ تيطس الى الحصون التي في جبل الجليل وما يليها ففتحها وقتل جميع من خالفهُ من اهلها وامن الذي اطاعهُ واحسن اليهِ

خبر يوحانان الجليلي الخارجي وهو الثاني من الخوارج الثلثة الذين كانوا السبب في خراب المدينة المقدسة وهلاك الامة بمقاومتهم للروم

كان في جبل الجليل مدينة اسمها كوشا له وكان بها رجل يقال لهُ يوحانان لهُ عقل وافر ومعرفة بليغة ذو حكمة وتجربة وعلم الّا انهُ كان رجلًا شريرًا يرتكب العظائم ويستحل المحارم وقد كان انضاف اليهِ جماعة من اهل الشر فقوي بهم على ما يريد فكان يقتل الناس وياخذ اموالهم ويستبيح نعمهم فايسر وكثر مالهُ وانبسطت يدهُ فلما فتح الروم مدينة كوشا له هرب يوحانان هذا مع اصحابهِ الى اورشليم فاقاموا بها وكان ايضًا قد التجأ اليها من المدن التي فتحها الروم جماعة كثيرة من اشرار اليهود وانضافوا الى من كان فيها من اهل الردى وذوي الشغب واصحاب الفتن فلما جاء يوحانان اليها انضاف اليهِ الكل وصاروا جميعًا عصبة قوية متسومة للهيج متهيأة للفتن والرهج فقوي بهم يوحانان وانبسطت يدهُ على اهل المدينة وقبض على من كان بها من الاغنياء وارباب الاموال واصحاب النعم فاخذ اموالهم واعطى اصحابهُ واعتزم ايضًا على الكهنة فغيَّر مراتبهم وعزلهم وعزل الكاهن الاكبر وقدم رجلًا من عوام الكهنة لايعرف شيئًا مما يجب ان يعرفهُ الكاهن وكان

ذلك عارًا على الامّة وعيبًا لا مزيد عليهِ وطالب الشيوخ والحكام
ان يعينوهُ على ما يريدهُ من الظلم فلما امتنعوا من ذلك كشيء
مخالف للشرع قتل كثيرًا منهم فعظمت اذيتهُ وشرهُ على
الناس حتى تمنوا ان تاتي الروم ويغلبوا عليهم لعلهم
يستريحون منهُ ومن اصحابهِ وراموا ان يجدوا
السبيل الى مسالمة الروم فلم
يقدروا على
ذلك



الفصل السابع

لما قوي امر يوحانان وعظم شرهُ وشر اصحابهِ اجتمع روساء المدينة الذين مع حناني الكاهن وانضاف اليهم خلق كبير من الناس فحاربوا يوحانان واصحابهُ وعظمت بينهم الحروب وكثر القتلى من الفريقين فانهزم يوحانان واصحابهُ الى القدس فتحصنوا فيهِ فلما رأى حناني الكاهن ذلك وهوان يوحانان واصحابهُ قد تحصنوا في القدس وملكوهُ امر الناس فكفوا عن قتالهم لانهُ كره ان يكون في بيت الله عزَّ وجلَّ حرب وقتال وكان قد وكل في القدس من حواليهِ ستة آلاف رجل محدقين بهِ يحفظونهُ من سائر جهاتهِ لئلاَّ يخرج منهُ احد من اصحاب يوحانان وارسل حناني الكاهن الى يوحانان يستدعيهِ الى الصلح فدافعهُ يوحانان لانهُ كان قد ارسل الى اهل ادوم يستدعيهم لمعونتهِ فجاءَ من ادوم عشرون الف رجل بالسلاح والعدد فلما عرف حناني الكاهن

بمجيئهم امر بغلق الابواب التي للمدينة ومنعهم من الدخول فطلع
الى الحصن وقال لهم من اين انتم ولِمَ جيئتم فقالوا نحن قوم من
ادوم جينا للصلوة في بيت الله وذلك ان اهل ادوم كانوا يحفظون
دين اليهودية من عهد الملك هركانوس الاول كما ذكرنا فيما تقدم
فقال لهم حناني الكاهن فلمَ اتيتم بهذا السلاح وهذه العدة قالوا
لانّا خفنا من ان يلقانا عسكر الروم في طريقنا فاردنا ان يكون معنا
عدة ندافع بها عن انفسنا فقال قد بلغنا انكم انما اقبلتم لنصرة
يوحانان واصحابهِ ولذلك منعناكم من الدخول فان كنتم انما اتيتم
لنصرتهم فقد اخطاتم لانهم قوم سوء وقد ظلموا الناس وقتلوا اهل
الخير وارتكبوا المحارم. والاولى بكم ان تعينوا اهل السلامة وتنصروهم
ولا تنصروا هولاء الخوارج الاشرار فان عاهدتمونا على ذلك فتحنا
لكم ابواب المدينة لتدخلوا بعد ان تنزعوا سلاحكم فاجاب عسكر
ادوم لحناني بالجميل وقالوا ما نحن الاَّ معكم وعلى ما عاهدتموهُ منا
من محبتكم ونصرتكم فما وثق حناني بقولهم وتوقف عن فتح باب
المدينة وكان ذلك في اخر النهار فبينما هو في ذلك معهم واذا برعد
عظيم وبرق هائل واصوات مفزعة ونزل من السماء مطر كثير
وبَرَد كبير يتطاير منهُ شرارات نار محرقة فلم يستطع حناني الثبوت
على الحصن فانحدر هو ومن كان معهُ ومضوا الى منازلهم وتفرق ايضاً

القوم الذين كانوا يحفظون القدس وظن حناني وغيره ان ذلك الرعد والبروق والمطر والبَرَد انما حدث معونة من الله عزّ وجلّ لهم على اعدائهم فلذلك تفرّقوا ولم يعلموا انهُ كان سخطًا منهُ سبحانهُ وسبب البلاء العظيم الذي اصابهم وذلك ان يوحانان واصحابهُ لما علموا بان القوم الذين على السور والرجال الموكلين بالقدس قد تفرقوا خرجوا حينئذٍ ومضوا الى ابواب المدينة وكسروا الاغلاق وفتحوا الباب وادخلوا عسكر ادوم فصاروا معهم وتفرقوا في المدينة وكبسوا المنازل في تلك الليلة وقتلوا من الوجوه والكبراء نحو من خمسة آلاف سوى من اهلكوا من العوام والاصاغر ولما صار الغد قبضوا على اصحاب النعم وكل من لهُ مال وايسار فقتلوا كثيرًا منهم واخذوا اموالهم وكان وسباسيانوس حينئذٍ مقيمًا بعسكرهِ في قيصرية فلما بلغهُ ما فعلهُ يوحانان واصحابهُ في اورشليم سرهُ ذلك ورأى ان يقيم في موضعهِ الى ان يقوى الشر بين اهل اورشليم ويهلك بعضهم بعضًا فيسهل عليهِ امرهم فاتصلت الحروب بين اهل القدس وبين يوحانان واصحابهِ وكثرت القتلى بينهم وكان اصحاب يوحانان يخرجون الناس من منازلهم يقتلونهم بالسكاكين وغيرها فهلك من الناس بذلك اكثر مما هلك في الحرب . ثم بعث يوحانان بعسكر من اصحابهِ الى مدن اليهود

الذين استأمنوا لوسباسيانوس ففتحوا كثيرًا منها وقتلوا اهلها وغنموا اموالهم ومضوا الى مدينة واحدة في جهة الاردن يقال لها افراذا فاقاموا بها فلما عظمت اذية يوحانان واصحابهِ على اهل اورشليم بعثوا رسلاً الى وسباسيانوس يشكون اليهِ ما ينالهم من اصحاب يوحانان الذين حصلوا عندهم ويسالونهُ ان يخلصهم منهم فامتنع وسباسيانوس من المضي الى اورشليم ومضى الى افراذا فلما شعر اصحاب يوحانان الذين كانوا بها بمجيء وسباسيانوس هربوا الى بعض الشِّعْر فاقاموا هناك فلما وافى وسباسيانوس وعرف خبرهم وجَّه اليهم بقائد من قوادهِ بعسكر كبير فظفروا بهم وقتلوا منهم جماعة وهرب الباقون وعاد القائد فلقي في طريقهِ جماعة من اليهود جائين الى اورشليم فقتل منهم ثلثة عشر رجلاً وطرح الباقون انفسهم في النهر فغرقوا في الاردن فهلكوا وكانوا الوفًا كثيرة . ثم سار وسباسيانوس الى بلاد ادوم ففتحها وسار الى حَذيٍّ والى سبسطية ففتحها وامر بعمارة الحصون التي فتحها وجعل فيها رجالاً وعددًا لتكون معونةً لهُ على اورشليم ثم عاد الى قيصرية وجمع عساكرهُ ليمضي لمحاربة اهل اورشليم وقويت الفتنة وغلبت يد يوحانان واصحابهُ فقتلوا من الناس كثيرًا وحكموا فيهم وفي اموالهم وفي حرمهم بما ارادوا

خبر شمعون الخارجي وهو الثالث من الخوارج المذكورين

كان قد خرج في ذلك الزمان بمدينة اورشليم رجل من اليهود يقال لهُ شمعون وكان رجلاً ساقطاً شريراً ظالماً سافكاً الدما فابتدأ يفعل مثلما فعل يوحانان فطردهُ حناني الكاهن من المدينة فمضى الى بعض الضياع فاقام هناك وانضاف اليهِ جماعة من الاشرار واللصوص وقطاع الطرق فصار معهُ عشرون الف رجل فلما بلغ اهل اورشليم خبره خافوا منهُ فبعثوا اليهِ عسكرًا ليحاربهُ فهزمهم شمعون وقتل منهم كثيرًا وهرب باقيهم راجعين الى اورشليم وقوي امر شمعون فنهب الضياع واخذ المستغلات واتلف الزروع وجاء الى قرب المدينة فارسل الى امراتهِ يامرها ان تخرج اليهِ من المدينة فاراد يوحانان ان يخرج اليهِ يحاربهُ فخاف منهُ فمضى الى بعض المواضع فكمن لهُ في الطريق رجاء ان يظفر بهِ او ببعض اصحابهِ فمرّت بهِ امرأة شمعون وقد خرجت مع جواريها وعبيدها للمضي الى زوجها فقبض عليها يوحانان وردها الى اورشليم فلما بلغ الخبر الى شمعون قبض على جماعةٍ من اصحاب يوحانان فقطع ايديهم وبعث بهم اليهِ وارسل يقول لهُ انك ان لم ترسل لي امرأتي سرت الى اورشليم فاذا ظفرت بها قطعت ايدي اهلها وارجلهم كما صنعت بهولاء فخاف اهل المدينة من شمعون وبعثوا لهُ امرأتهُ

وكف عنهم الاذية مدة يسيرة ومضى الى اهل بلد ادوم فهزمهم واستباح اموالهم ودَهدَهَ ديارهم وخربها ثم جاء بعسكرهِ الى اورشليم فنزل عليها فعظم الضرر على اهل المدينة من شمعون ويوحانان واصحابها لان يوحانان وعصبتهُ كانوا يقتلون الناس داخل المدينة ويفسدون مع نسائهم حتى لم يبقَ في المدينة احد الاَّ وهو خائف على نفسهِ وما لهِ وحريمهِ وكان شمعون وجماعتهُ من خارج المدينة يفعلون مثل ذلك فاذا هرب واحد من اهل المدينة قتلوهُ واخذوا ما لهُ فتحيَّر القوم وضاقت بهم الاحوال وعظم الجور داخل المدينة وخارجها فاتفق رايهم على محاربة يوحانان واصحابهِ فحاربوهم فغلبهم يوحانان وقتل منهم خلقًا كثيرًا ولولا ان من كان حصل في المدينة من اهل ادوم اعانوهم على يوحانان واصحابهِ لم يبقَ من الناس احد ثم ان اهل المدينة رأوا ان يستدعوا شمعون اليهم ليعينهم على يوحانان فظنوا انهُ يكفيهم امرهُ ويكون خيرًا لهم منهُ فراسلوهُ في ذلك فدخل الى المدينة بعد ان عاهدهم ان يحسن السيرة فيهم ويعينهم على يوحانان واصحابهِ فلما صار في المدينة نقض عهدهُ واضر بهم ولم ينفعهم واتصلت الحروب بينهُ وبين يوحانان ولم تنقطع

وفي ذلك الحين ورد الخبر الى وسباسيانوس ان نيرون قيصر

قد مات والروم قد ملكوا عليهم من بعدهِ رجلاً ساقطاً يقال لهُ
بطلس فغضب اصحاب وسباسيانوس من ذلك وملكوا عليهم
وسباسيانوس قهرًا فلما ملك حمل على المسير الى رومية لمحاربة
بطلوس فقسم عسكرهُ نصفين احدهما اخذهُ معهُ وترك النصف
الآخر مع ابنهِ تيطس وامر بمحاربة اليهود واطلق يوسف بن كربون
من الاعتقال واحسن اليهِ وامرهُ بملازمة تيطس ومناصحتهِ وكان
وسباسيانوس قد بعث الى رومية بقائدين من قوادهِ فحاربا بطلوس
وقتلاهُ ثم سار وسباسيانوس بعد ذلك الى رومية ليجدد الملك
لنفسهِ وسار معهُ ابنهُ تيطس الى اسكندرية ثم عاد في البحر الى
قيصرية فاقام مدة الشتاء بها الى ان اجتمعت لهُ العساكر وفرغ
مما يحتاج اليهِ ثم سار الى اورشليم

وعظمت الحروب والفتن بين اليهود في بداءة ملك
وسباسيانوس واشتد حنق بعضهم على بعض ولم تبطل الحروب
بين يوحانان وبين شمعون لا في صيف ولا في شتاء ولا في ليل
ولا في نهار وقد كان العازر بن حناني غائبًا فعاد الى اورشليم وصار
ثالثًا لهما وانضاف الى العازر لما عاد جماعة كثيرة من الكهنة وغيرهم
فملكوا القدس وما حولهُ وضبطوهُ بالرجال المقاتلة وكان شمعون
في المواضع العالية في المدينة ويوحانان واصحابهُ في المواضع السفلية

وكانت الوقائع والحروب بين هولاء الثلثة متصلة لاتكاد تنقطع وكثر القتل في الشوارع والازقة وفي القدس نفسهِ لا يُعَدّ ولا تُعرف كمية القتلى وكثرت دماء المقتولين في ارض القدس حتى تغطى الرخام بالدم وكانت جيف القتلى تسقط بعضها على بعض ولا تُدفَن فاستضر الاحياء من رائحة الموتى والجيف حتى كثرت فيهم العلل والامراض والموت فاجتمع الى القدس جمع كثير من الكهنة ومن جماعة اليهود وغيرهم واختلفت اقوالهم وآراؤهم وكثرت الخصائم بينهم والهيج والقتل دائمًا وكان الكهنة يُقتلون وهم يقربون على المذبح القرابين فتسقط جثثهم على جثث البهائم واختلطت جثث الكهنة بجثث الغرباء واجساد الصالحين والاخيار باجساد الطالحين والاشرار وامتلأ القدس من القتلى وكثر فيهم فيض الدماء وكان الناس لا يمشون الاَّ على قتيل او على دم او ترب او امعاء او معد ممزقة ملقاة مفجرة وتعذر على الناس المشي في القدس لان ارضهُ كانت جميعها مغطاة بالرخام والمرمر فكان الدم يقع على الرخام فاذا مشى الناس عليهِ لم تثبت ارجلهم فيزلقون ويقعون ويتمكن بعضهم من بعض ولذلك عظم الشر واتصلت الفتن ودامت الهيوج حتى فارق الناس الامن وفقدوا الراحة وكان شمعون والعازر اصلح حالاً من يوحانان لان شمعون

كان في اعلى المدينة كما ذكرنا وكان العازر في القدس وكان
يوحانان مقيمًا بينهما في بعض المواضع السفلية من المدينة وكانا
يقاتلانهِ دائمًا ويقهرانهِ فاذا كف شمعون عن قتال يوحانان قاتلهُ
العازر واذا اشتغل عنهُ العازر قاتلهُ شمعون وكانت الحروب بينهم
متصلة بالسلاح والرمي بالحجارة والمقاليع والنيران وكان الناس
فيما بينهم يهلكون والمنازل تُحرَق وما فيها يتلف ويذهب ضياعًا
فاجتمع عليهم اربع افات القتل والحريق والحرب والجوع وكثر
الضجيج والصراخ في المدينة حتى كان يسمع من البعد وكان سائر
الناس على اختلاف طبقاتهم يبكون وينتحبون ويضجون والضيقة
محدقة بهم من كل جهة ولايجدون فرجًا ولا مهربًا الى ان كرهوا
الحيوة وتمنوا الموت

ذكر نزول تيطس على مدينة اورشليم ومحاربتهِ اليهود

كان تيطس يريد ان يفرغ من امر اليهودية بسرعةٍ حتى يمضي
الى ابيهِ فسار من قيصرية حتى انتهى الى بالو فنزل بها مع عسكرهِ
ثم مضى في ست مئة فارس من نقاوة العسكر الى اورشليم ليميّز الحصن
وينظر المدينة ويعلم من امرها ما يحتاج اليهِ واراد ان يراسل اهل
المدينة في الصلح ويبداهم في الجميل ويعرض عليهم الامان فلما قرب
من المدينة وجد ابوابها مغلقة وليس احد يدخل اليها ولا يخرج

منها ولم يجد من يخاطبهُ وانصرف عائدًا الى عسكرهِ . وقد كان قومٌ من الخوارج كمنوا لهُ في بعض الطريق فلما مرَّ بهم وهو راجع الى بالو خرجوا اليهِ واحاطوا بهِ وارادوا ان ياخذوهُ اسيرًا فقاتلهم قتالاً عظيمًا حتى نجا منهم بعد ان اشرف على الهلاك ثم عاد الى عسكرهِ وكان فيهِ وسار في الليلة الثانية فاصبح على اورشليم فنزل بعسكرهِ على جبل الزيتون شرقي مدينة اورشليم ليكون الوادي حاجزًا بينهُ وبين المدينة ولايخفى عليهِ من يخرج اليهِ منها ثم رتب تيطس عسكرهُ واوصاهم بالتعاون والتعاضد وان لايفارق بعضهم بعضًا وان يكونوا حذرين متيقظين وقال لهم انكم معولون على مقارعة قوم لم تقاتلوا مثلهم قط ولا بليتم في وقتٍ من اوقاتكم بمن يشاكلهم في الباس والشجاعة والتجلد في القتال والصبر على الحروب والخبرة بها والمعرفة البليغة باحوالها ولقد عاينت بالامس منهم ما دلني على عظم باسهم وشجاعتهم فانظروا لانفسكم وكونوا على حذر ولا تغفلوا في شيء من امركم . ولما اصبح اهل اورشليم ونظروا عسكر الروم نازلاً على الجبل اجتمع روساء الخوارج الذين في المدينة فاصطلحوا واتفقوا على انهم يرفعون الحرب من بينهم ويحاربون الروم باجمعهم ثم جمعوا اصحابهم وخرجوا الى عسكر الروم فكانت بينهم حروب عظيمة قتل فيها من الفريقين خلق كثير

ثم غلبت الروم على اليهود فانهزموا وعادوا الى المدينة فوقفوا الى
جانب السور وجردوا جماعة من اصحابهم في عدد كثير وامروهم
ان يمضوا من جهةٍ اخرى الى عسكر الروم حتى يصيروا وراءهم
ففعلوا وزحف اليهم من المدينة فصار الروم بين عسكري اليهود
فقتل اليهود في ذلك اليوم خلقًا كثيرًا وثبت تيطس مع اصحابهِ
يقاتلهم قتالاً شديدًا وتخلص تيطس في ذلك اليوم ثلث كرات
وقُتِل من اصحابهِ خلقٌ كثير ثم عاد اليهود الى اورشليم فنقضوا
الموافقة والعهد الذي كان بينهم وعادوا الى ما كانوا فيهِ من الشر
ومحاربة بعضهم بعضًا لان يوحانان كان يريد ان تكون الرياسة
لهُ وكان شمعون والعازر لايجيبانهِ الى ذلك . ثم حضر عيد الفطير
فدخل يوحانان الى القدس مع اصحابهِ في اليوم الاول من العيد
وقد اخفوا سلاحهم ولبسوا الدروع والجواشن تحت ثيابهم
فاستقبلهم الكهنة والناس وفرحوا بمجيئهم ولم يظنوا بهم سوءًا
لانهم لم يروا عليهم شيئًا من السلاح فلما توسطوا القدس اظهروا
السلاح واخذوا يقطعون الطرق على الناس فقتلوا من الكهنة
وغيرهم ما لايحصى بغير رحمة ولاشفقة على كبير ولاصغير فلما عَلِم
العازر وشمعون بما فعلهُ يوحانان قتلوا جماعة ممن كان خارج
القدس من اصحابهِ فخرج اليهما يوحانان من القدس فحاربهما واشتد

القتال بينهم وبلغ الخبر الى تيطس فزحف بعسكره الى المدينة فصعد قوم من اليهود الى الحصن وقالوا لتيطس نفتح لك الباب لتدخل المدينة على انك تعاهدنا انك لا تأسي الينا وانك تكفينا امر هولاء الخوارج فلم يثق بهم تيطس لما كان عرف من شرهم وغدرهم وعظمت الاصوات وكثر الرهج في المدينة لوقوع الخلف بين الناس لان بعضهم كان يريد ان يفتح لتيطس وبعضهم كان يمنع من ذلك فلما علم الروم باختلاف راي اليهود تقدم جماعة منهم الى الحصن بغير امر تيطس طمعاً منهم بان اليهود الذين طلبوا دخولهم يفتحون لهم الباب كما ذكروا. فلما نظر اصحاب الخوارج الذين على السور ان الروم قد تقدموا الى المدينة رموهم بالحجارة والنشاب وعاد اليهود الذين كانوا يستدعون الروم فاعانوا الخوارج عليهم وخرج الجميع اليهم فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزم الروم وتبعهم اليهود الى قرب عسكرهم فاقبلوا يشتمونهم اقبح شتيمة ويعيرونهم بالهزيمة فعظم ذلك على الروم وغضب تيطس على اصحابه الذين تقدموا الى المدينة بغير امره وقال اني لست اعجب من غدر اليهود بكم وانما اعجب منكم مع معرفتكم بالحرب كيف خدعتكم اليهود ووثقتم بقولهم وخالفتم وصيتي ومضيتم الى المدينة بغير امري فلذلك انهزمتم وقتل منكم لان الرعية ليس لها ان تخالف امر الملك ووصيته

وقد علمتم ان بعض ملوكنا قتل ابنهُ لانهُ مضى الى الحرب بغير امرهِ فانتم اذاً تستحقون القتل لمخالفتكم امري وترككم وصيتي. فاعترف اصحاب تيطس بخطائهم وسالوهُ ان يصفح لهم وضمنوا لهُ انهم لا يعاودون الى مخالفتهِ في شيءٍ مما يامرهم بهِ

ذكر هدم السور الاول والثاني من اسوار اورشليم

ولما علم تيطس باختلاف اهل المدينة ومحاربتهم بعضهم لبعض عمل على ان يتقدم الى الحصن فدبر في هدمهِ وامر اصحابهُ ان يوطّوا ويمهدوا ما حوالي المدينة ويزيلوا المعاثر من الطريق ولا يعوقهم شيءٌ ففعلوا ذلك. واما اليهود فاشتغلوا بالحرب التي بينهم واغفلوا امر المدينة وذلك ان شمعون والعازر اتفقا على محاربة يوحانان وكان يوحانان قد ملك القدس مع ستة آلاف رجل واربع مئة رجل شجعاناً ابطالاً وكان مع شمعون عشرة آلاف رجل وخمسة آلاف من ادوم وكان الكهنة واكثر اهل المدينة مع العازر وحصل بقية الناس بين هولاءِ الثلثة باسوا حال لانهم استولوا على الناس وتحكموا فيهم بما ارادوا وكان هولاءِ الخوارج اذا رأوا الروم قد قوي امرهم رفعوا الحرب من بينهم واتفقوا باجمعهم على محاربتهم الى ان يدفعوهم عن المدينة ثم يعودون بعد ذلك فيحارب بعضهم بعضاً فجرى امرهم على هذا اياماً كثيرة. ثم ان

تيطس وجَّه بصاحبٍ لهُ يقال لهُ نيكانور ليخاطب اليهود بالجميل ويدعوهم الى الصلح ويعدهم بالاحسان فلما خاطبهم بذلك رماهُ بعضهم بسهمٍ فقتلهُ فغضب تيطس واحضر الكبش الحديدي وغيرهُ من الآلات ليهدم الحصن وصنع ابراجاً عظيمة من خشب توازي اسوار المدينة وتحتها بكرات تدفعها الرجال وتصعد عليها للمقاتلة فوقها فيقاتلون من فوق فلما رأَى اليهود ذلك قلقوا واصطلحت الخوارج وخرجوا الى الروم فحاربوهم حرباً عظيمة واحرقوا الكبش والآلات وتلك الابراج التي تصنع الروم فيها وقتلوا من الروم جماعة وابعدوهم عن الحصن ثم عادوا الى المدينة وعاد العازر وشمعون الى محاربة يوحانان واتصلت الحروب بينهم وقويت واشتغلوا عن الروم وعلم تيطس بذلك فاعاد الكبش وامر ان يدفع على السور الاول فدفع فوقع من السور بدن كبير فهرب من كان داخلهُ وانحازوا الى السور الثاني فامر تيطس اصحابهُ ان ينقلوا ما سقط من حجارة السور الى البعد وان يوسعوا تلك الثلمة ليتمكنوا من القتال ففعلوا فلما رأَى الخوارج ان السور قد انهدم جددوا الصلح وتعاهدوا على ان يرفعوا الحرب من بينهم وينتصبوا لمحاربة الروم ففرقوا اصحابهم على جهات المدينة ليحفظوها وجعلوا كل فريق منهم في جهةٍ ليحفظوها واشتد القتال بينهم

وبين الروم وجدَّ الجميع في الحرب والتحمت المقارعة لان تيطس تولى ذلك بنفسهِ واقبل يشجع اصحابهُ ويعدهم بالصلات والاموال وشجع ايضًا روساء الخوارج اصحابهم ونادى شمعون في عسكرهِ بان من انهزم قتل وانهدم منزلهُ ونُهِب مالهُ ولما راى تيطس قوة شمعون واصحابهِ وثباتهم عدل الى الجهة التي فيها يوحانان لانها كانت وطية معتدلة فقاتلهم اياماً ثم دفع الكبش على السور الثاني فانهدم منهُ حاجز عظيم وتبادر اليهود الى المواضع التي تهدمت فوقفوا عليها وصدّوا الروم عن الدخول الى المدينة وحاربوهم اشد حربًا وابعدوهم الى خارج الحصن الاول وقتلوا جماعة منهم واقام اليهود على هذه الثغرة يحفظونها ويقاتلون الروم اياماً فلما كان اليوم الرابع ورد الى تيطس عسكر كبير من امم اجتمعت اليهِ فازداد بهم قوةً وخرج اليهود لمحاربة الروم على عادتهم فلم يكن لهم بهم طاقة وغلبهم الروم وانهزموا وعادوا الى الحصن واغلقوا الابواب

ذكر استدعاء تيطس اليهود الى طاعتهِ وما خاطبهم بهِ
يوسيفوس اذ امرهُ بذلك تيطس

لما انهزم اليهود في هذه الكرة امر تيطس ان يرفعوا الحرب وامسك عن قتال اليهود خمسة ايام واراد ان يبالغ في ملاطفتهم

ويجتهد في سياستهم ويدعوهم الى مسالمتهِ والرجوع الى ما كانوا عليهِ من طاعة الروم لانهُ كان يشفق عليهم ان يهلكوا وعلى المدينة ان تخرب وهو لا يريد شيئًا مما جرى فراسلهم بالجميل ودعاهم الى مسالمتهِ فما استجابوا الى ذلك فلما كان في اليوم الخامس ركب تيطس وجاء الى قرب الحصن فوجد يوحانان وشمعون واصحابهما قد خرجوا من المدينة ليحرقوا الكبش وغيرهُ من الآلات التي صنعها الروم لهدم الحصن فلما رآهم تيطس ابتداهم بالسلام وخاطبهم بما حسن من الكلام . ثم قال لهم قد رأيتم يا قوم ما جرى من هدم هذين السورين وانما بقي سور واحد وليس يتعذر هدمهُ وقد علمتم انكم لم تنتفعوا في هذه المدة بكلما فعلتموهُ وكذلك لا تنتفعون ايضًا بدوامكم على ما انتم عليهِ من مخالفتنا فارجعوا اذًا عن ذلك قبل ان اهدم هذا السور الباقي وافتح المدينة بالسيف فاهدم الهيكل واخربهُ وان كنت لست اختار ذلك ولا اريدهُ فان عدتم الى طاعتنا كنا لكم على افضل ما عهدتموهُ منا ودامت لكم السلامة وزال عنكم ما انتم فيهِ من المكاره . ولما فاوضهم تيطس بهذا الكلام وما شاكلهُ اوعز الى يوسف بن كربون ان يتقدم الى الحصن ويخاطبهم ويبلغ الغاية في مناشدتهم ويستدعيهم الى طاعة الروم ويبذل لهم من الأيمان والعهود الاكيدة ما يثقون بهِ ويطمانون اليهِ

فمضى يوسف حتى وقف قدام الحصن مقابل باب المدينة بحيث يسمع القوم كلامهُ ثم قال لهم

اسمعوا مني يا معشر بني اسرائيل ما اخاطبكم بهِ فاني انما اخاطبكم بما ينفعكم ويعود الى صلاحكم ان قبلتموهُ اعلموا ان محاربة الاعداء ومقاومتهم كانت تحسن بكم حين كانت بلادكم عامرة وعساكركم متوافرة واحوالكم مستقيمة واما بعد ان بلغتم هذه الحال من خراب البلدان وقتل الرجال وذهاب النعم واختلال الاحوال فكيف تطمعون في مقاومة هذه الامة العظيمة القوية التي قهرت الممالك والامم واستولت عليهم وطحنتهم وعلى اي شيء تعتمدون وبماذا تنتفعون فان قلتم انَّا نعتمد على الله عزَّ وجلَّ ونرجو منهُ ان ينصرنا كما جرت عادتهُ مع آبائنا فيجب ان تعلموا ان الله هو الذي سلط هذه الامة عليكم لسوءِ اعمالكم ورداءَة افعالكم وكثرة ذنوبكم لانكم ارتكبتم المحارم واستجزتم المآثم والجرائم واستسهلتم الكبائر العظائم وسفكتم الدماء واغضبتم اله الارض والسماء وغشمتم الناس واهلكتم النفوس ونجستم هيكل الله القدوس وقتلتم كهنتهُ وصلحاءَ امتهِ ظلمًا وعدوانًا فكيف ترجون الله عزَّ وجلَّ للنصرة والمعونة مع هذه الافعال القبيحة والله سبحانهُ لا ينصر من عصاهُ وخالف شرائعهُ وتعدى حقوقهُ واحكامهُ وانما يعضد من اطاعهُ

واتقاهُ ورهب تعدية شرائعهِ وان كنتم ايها الاخوة تتكلون على الحصون والعدد والجيوش والعساكر فتعلمون ان جميع ذلك قد ذهب اكثرهُ ولم يبقَ منهُ الاَّ القليل وهذه المدينة قد هدم السوران من اسوارها ولم يبقَ غير سور واحد وهم جادُّون في هدمهِ وانتم كل يوم في تناقص وضعف وعدوكم في زيادة وقوة فان دمتم على ما انتم عليهِ تلاشيتم وهلكتم عن آخركم ولم يبقَ منكم باقية فان قلتم اننا نختار القتل اولى من الذلّ في طاعة الامم والاذعان لهم فقد علمتم ان ابرهيم واسحق ويعقوب وهم المتقدمون في آبائنا واصولنا والسادة الذين يجب علينا ان نقتدي بافعالهم ونتشبه بهم لم يمتنعوا من مسالمة الامم الذين اقاموا بينهم ولا انفوا مداراتهم ولو كان ذلك امرًا مكروهًا لقد كان اولئك السعداء اولى بكراهيتهِ منكم والمتقدمون منا ايضًا قد اطاعوا المصريين اوقاتًا كثيرة واطاعوا ملوك الموصل وملوك العجم ثم اطاعوا ملوك اليونانيين الذين جاروا عليهم واساءوا اليهم وصبروا على ظلمهم لهم الى ان اذن الله تعالى بخلاصهم منهم ثم اطاعوا بعد ذلك ملوك الروم الى هذه الغاية ولم يروا ان في طاعتهم لهم نقصًا ولا عيبًا وكذلك انتم اذا اطعتموهم لم تضركم طاعتهم ولم تنقص بقدركم كما لم تنقص بقدر من تقدمكم وكان ذلك اولى بكم من ان تقيموا على معصيتكم وتثبتوا على

مخالفتكم فتعرضوا انفسكم للهلاك وبلادكم للخراب ثم تحصلون بعد ذلك في اضعاف ما تكرهون من الذل ولا يعذركم احد ولا يحمد رايكم ومع ذلك فان الروم ما زالوا محسنين اليكم محبين لكم وهم الذين كفوكم امور اعدائكم اليونانيين وازالوا سلطانهم عنكم واعانوكم على كثير من الامم الذين كانوا يحاربونكم حتى غلبتموهم وقهرتموهم فانتم اذاً اولى بطاعة الروم ومحبتهم من معصيتكم وبغضتكم لهم وقد علمتم ان الله عزَّ وجلَّ قد جعل لكل امة دولة وزماناً وسلطها فيها وبسط يدها فاذا انقضى ذلك الزمان زالت دولتها وكف سلطانها وبطلت سطوتها حينئذٍ تذل لغيرها وتخضع لمن كان يخضع لها فانتم ايضاً قد كان الله سبحانهُ جعل لكم دولة وسلطكم على من سواكم وملككم اعناق غيركم مدة من الزمان ثم نقل المملكة والرياسة عنكم الى من اراد وسلطهم عليكم فمتى خالفتم مراد الله عزَّ وجلَّ وابيتم ما حكم بهِ عليكم هلكتم ولا نشك ولا نرتاب في ان الله عزَّ وجلَّ رفع الروم وجعل لهم سلطاناً في هذا الزمان لانهُ تعالى قد اذل لهم الممالك وظفرهم بالامم حتى اطاعهم سائر جهات الدنيا ممن هو اشد منكم باساً واقوى سلطاناً واكثر عدداً كيف تظنون انكم تغلبونهم وانتم ترون اقبالهم ومعونة الله لهم وترون انفسكم بخلاف ذلك وليس يعيب الانسان ولا ينقصهُ ان يطيع من هو

اقوى منهُ واعلى يدًا اذ كان الله تعالى قد جعل بعض الناس تابعًا لبعض وبعضهم يحتاج الى بعض فكل صنف منهم يخضع لمن هو اقوى منهُ ويذل لهُ ويطيعهُ وذلك ظاهر موجود في الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم ودرجاتهم وفي الحيوان على اختلافهِ وليس يستغرب ذلك ولا ينكرهُ احد لهُ ادنى عقل واذا كان الامر كذلك فليس طاعة الروم مما يحط من قدركم ولا مما يكسبكم هجنة وعارًا كما لم يلحق احدًا ممن تقدمكم نقص بسبب طاعتهم لمن اطاعوهُ ولا الروم ايضًا باول من اطعتموهُ من الامم ومع ذلك فقد تقدمت طاعتكم لهم منذ سنين كثيرة وقد اختاروا ان يبادوكم بالجميل ودعوكم الى الصلح ووعدوكم بالاحسان وظهر منهم الاشفاق عليكم وعلى مدينتكم وقدسكم فاتقوا الله تعالى في انفسكم وتلافوا اموركم واحسنوا النظر لمن بقي منكم وارجعوا الى ما كنتم عليهِ من طاعة الروم لتسلموا وتبقوا وتتماسك احوالكم وتسلم هذه المدينة العظيمة وهذا القدس الجليل قبل ان يُهدَم هذا السور الثالث فتهلكوا

فلما سمع الخوارج كلام يوسيفوس بن كريون رفعوا اصواتهم بسبّهِ وشتمهِ واسمعوهُ ما قبح من الكلام ورموهُ بالحجارة والسهام ليقتلوهُ فتباعد عنهم قليلًا واغلظ لهم الخطاب وقال يا معشر

العصاة اخبروني ويا ذوي النفاق اعلموني ما الذي يحملكم على
قتال الروم والامتناع من طاعتهم فان قلتم انما تفعلون ذلك
اشفاقاً منكم على القدس وانكم انما تريدون صيانتهُ من الاعداء لئلاَّ
يبذلوهُ للنجس ويدنسوهُ فكيف تصونونهُ وتشفقون عليهِ وانتم فقد
بذلتموهُ لما عظمت رداءتهُ من النجاسات والطاثات ودنستموهُ
بالمعاصي وسفك الدماء الكثيرة ظلماً فان قلتم انكم تريدون نصرة
الامة واعزازها فكيف يصح ذلك وانتم تقتلونها بايديكم وتظلمونها
بغير اشفاق ولا رحمة وهل تفعل الاعداء بكم اكثر مما بلغتموهُ في
انفسكم فاخبروني متى كان احد ممن تقدمكم من امنكم او تاخر
يظفرون باعدائهم ويغلبون من يحاربهم بالسلاح والعدد والعساكر
دون الصلاح وتقوى الله وهل تخلص احد منهم من الشدائد الاَّ
بنصرة الله عزَّ وجلَّ ومعونتهِ اياهُ وهل كان يخلص احد ممن
تقدمكم من الشدائد الاَّ بذلك وهل غلبوا اعاديهم وظفروا بمن
حاربهم الاَّ بنصرة الله عزَّ وجلَّ ومعونتهِ افتراهُ سبحانهُ كان يوازرهم
الاَّ متى اطاعوا امرهُ وحفظوا شرائعهُ واتقوهُ وتوقوا ما يكرههُ ولما
عصوهُ وخالفوا مراسيمهُ وارتكبوا ما نهاهم عنهُ سلط عليهم الاعداء
حتى قهروهم واذلوهم ولم ينتفعوا بسلاحهم وعددهم ولا امكنهم
مقاومتهم بعساكرهم وقوتهم لما سلطهم الله عليهم وحجب معونتهُ

ونصرهُ عنهم وقد علمتم ان الله عزَّ وجلَّ كفى الصالحين امر اعدائهم فمنهم من كفاهُ امر اعدائهِ بلا حرب ولا قتال بل باظهار الآيات العظيمة والجرائح الجسيمة فبلغوا في ذلك ما لم يبلغوهُ في قوتهم ومنهم من حاربوا الاعداء واستعانوا بالله عزَّ وجلَّ ونصرهم على اعدائهم واعانهم عليهم وظفَّرهم بهم ولم يفعل الله سبحانهُ مثل ذلك قط مع العصاة وذلك تدبير منهُ تعالى ليشهر فضيلة الصديقين واجلالهُ اياهم دون غيرهم واعتبروا صحة ذلك بابيكم ابرهيم لما اخذ فرعون سارة زوجتهُ ألم يضرب الله عزَّ وجلَّ فرعون واهلهُ بتلك البلايا العظيمة حتى خضع فرعون وردَّ امراتهُ ولم يرزئها بشيء ثم احسن الى ابرهيم واكرمهُ فهل قدر ابرهيم على ذلك بالسيف والمكافحة ام بالصلاح وطاعة الله عزَّ وجلَّ وكذلك اسحق لما اخذ ابيما لك ملك فلسطين امراتهُ وموسى السعيد وبنو اسرائيل لم يغلبوا فرعون بحرب ولا قوة بشرية لكن بمظافرة الله تعالى لهم خلصهم منهم وكفاهم امرهم ولما حاربهم عماليق هل غلبوهُ بشيء اخر سوى دعاء موسى السعيد وصلاتهِ ورفع يديهِ كما امرهُ الله تعالى ويشوع بن نون قد كان في عسكر عظيم من بني اسرائيل فهل فتح اريحا بالرجال والقتال ام بالآية العجيبة والعلامات البديعة الغريبة التي اظهرها الله عزَّ وجلَّ في سقوط

الحصن وهبوط الاسوار ثم لما اخطأ عخان بما اخذهُ من الحَرَام من الغنيمة التي نهى الله بني اسرائيل عنها اما سخط الله على الامة كلها بسببهِ حتى غلبهم اهل مدينة عاي وهم قليلون فلم يقدروا عليهم مع كثرتهم حتى صلى يشوع وتضرع ودعا فاستجاب الله عزَّ وجلَّ طلبتهُ ونصر بني اسرائيل عليهم وجدعون لما كسر عسكر مدين وعماليق مع كثرتهم اتراهُ غلبهم الاَّ بمعونة الله عزَّ وجلَّ ونصرتهِ وقد علمتم ان شمشون قبل ان يخطي كان جبارًا مظفرًا فلما اخطأ اسرتهُ الاعداء وصار في ايديهم ذليلاً مهانًا مثل اقل الناس واضعفهم وطحنوهُ بالرحى مثل العبيد والاماء وشاول الملك لما كان مطيعًا لله عزَّ وجلَّ كان الله ينصرهُ على اعدائهِ ويظفرهُ بهم فلما عصى امر الله وتعدى شريعتهُ اسلمهُ الى اعدائهِ ولم ينتفع بعسكرهِ وكثرة عددهِ وداود النبي الشريف والملك لم يزل منصورًا مظفرًا لما كانت افعالهُ مرضية لله فلما هفا في تلك الخطية الواحدة كان من امرهِ مع ابنهِ ابشالوم ما كان واذكروا ما فعل الله مع اسا الملك ومع ابنهِ يهوشافاط لما ملكهما نواصي اعدائهما بالدعاء والصلوة فقط واذكروا كيف انهزم عسكر السريان العظيم عن سبسطية بصلاح اليشع النبي وقد كان اهل المدينة اشرفوا على الهلاك من الجوع واوقع الله عزَّ وجلَّ الخوف في قلوب السريان

حتى انهزموا بغير حرب ولا قتال فخرج اهل سبسطية فغنموا عسكرهم وحسنت حالهم وزال عنهم الجوع والقحط وامصيا الملك لما حارب الادوميين الم يغلبهم ويظفر بهم فلما اخذ اصنامهم وتعبد لرذالاتهم أَما خذلهُ الله عزَّ وجلَّ لما حارب يوآش ملك اسرائيل واذكروا هلاك سنحاريب ملك اشور وتلك الابادة والمحقة المنحطة عليهِ من السماء لا بحرب ولا قتال لكن من جهة صلوة حزقيا الملك العادل المقسط وبدعاء الانبياء واعتبروا ايضاً بصدقيا ملك يهوذا لما عصى الكلدانيين وظن انهُ يغلبهم برجالهِ وعددهِ وخالف ارميا النبي فيما كان يامرهُ بهِ ويشير عليهِ من طاعتهم هل انتفع بذلك لما لم يرد الله نصرهُ وهل كانت عاقبتهُ وعاقبة الامة الاسرائيلية والمدينة المقدسة الَّا الهلاك والبوار والدثور والاقفار فهذا وغيرهُ مما لم اذكرهُ يدلكم على عناية الله عزَّ وجلَّ بالاخيار ودحضهِ وخذلانهِ للعصاة الفجار والانتقام الذي حل بنا لم يكن الَّا لسوء فعلنا وردي تصرفنا والله سبحانهُ عادل في كل احكامهِ ومنصف في جميع اعمالهِ واذا عرفتم هذا علمتم ان جميع افعالكم لا توجب في عدل الله وانصافهِ ان يعينكم او ينصركم كما لم ينصر غيركم من العصاة وكيف تطمعون في مقاومة اعدائكم وهل انتم الَّا كغيركم ممن قاوم الاعداء بغير صلاح فلما لم ينصرهم الله وظفر بهم

اعداءهم فهلكوا ولم ينتفعوا بقوتهم وعددهم ولم تدفع عنهم حصونهم وعساكرهم لما اسخطوا الله بمعاصيهم وانتم تعلمون ان الامم الغريبة منا اذا وجدوا شيئًا من آلات القدس اكرموها وحفظوها ولم يبذلوها واما انتم فقد نجستم قدس الله عزَّ وجلَّ وبذلتموهُ للنجس بالمعاصي وسفك الدماء واطراحكم التدين الحميد وخالفتم الشريعة فاي نصر ترجونهُ مع هذا واية معونة من الله عزَّ وجلَّ تطمعون فيها ولقد كانت الجلوة لنا اصلح من السطوة والسبية افضل من الدولة وذلك الشتات كان لنا خيرًا من هذا الثبات لان الجلوة كسرت قلوبنا وذلت عزنا وخفضت تشامخ عزمنا وكبر نفوسنا وكنا نطلب دائمًا طاعة الله عزَّ وجلَّ ونتقرب اليهِ بما يرضيهِ وكان بعضنا يحنو على بعض والواحد يتعطف على الآخر ولم يكن بيننا شر ولا عداوة فلما احسن الله الينا وخلصنا من الجلوة وردنا الى ارضنا ونصرنا واعزنا عصيناهُ وخالفنا وصاياهُ واهملنا شكرهُ وطاعتهُ واشتغلنا بعداوة بعضنا بعضًا بغير سبب حتى استوجبنا سخطهُ وعقوبتهُ ثم نرجو منهُ مع ذلك المعونة والنصرة وهيهات ان ينصر الله الظالمين والخطاة العاصين ومع هذا فهل اوقعنا في هذا البلاء غير انفسنا باختلافنا وانقسام كلمتنا وسوء نية بعضنا في بعض وهل جلب الروم في الابتداء الى هذه المدينة

الجليلة وسلطهم على الامة العبرانية غير هركانوس وارسطوبولوس اخيهِ لعداوة كل واحد منهم لابن ابيهِ ومشاحنتهِ لاخيهِ وغدرهِ بهِ وطلبهِ ان يغلبهُ على الملك ومن جلب بعد ذلك انطونينوس وشكاروس اليس هيرودس بن انتيبطرس لما اراد ان يحارب المكابيين ويتغلب على مملكتهم وانتم الذين جعلتم الامر للروم على انفسكم بسوءِ رايكم واخترتم طاعتهم فكيف تكرهون الآن طاعتهم وتؤثرون مخالفتهم فان قلتم ان صاحب الروم جار علينا واساءَ الينا واحوجنا الى ذلك فقد كان يجب عليكم ان تشكوهُ الى قيصر الملك ولا تبادروا بالمعصية قبل ان تعلموا ما عندهُ وهبكم عصيتم نيرون قيصر لما اساءَ قائد من قوادهِ اليكم كما تقولون فاي عذر لكم في معصية وسباسيانوس الذي قد علمتم حسن سيرتهِ وعدلهِ وقد ظهر لكم من اشفاقهِ عليكم ورغبتهِ في سلامتكم وصلاح احوالكم فلو لم تعلموا ذلك لقد كان ما عاملني انا وحدي بهِ من الجميل وقد كنت استوجب منهُ غير ذلك فيهِ كفاءَة ان يعطفكم الى طاعة الروم ويثنيكم عن مشاقتهم لاني انا اول من اجتهد في محاربتهِ ومقاومتهِ وقتلت خلقًا كثيرًا من اصحابهِ وقد علمت اني خالفت الصواب في محاربة الروم لكني لما رايتكم قد اتفقتم باجمعكم على ذلك والزمتموني بمحاربتهم لم اخالفكم وبذلت المجهود في مناصحتكم

وثبت في حصن يوناداب فما انهزمت ولا تركت قتال الروم ومجاهدتهم الى ان فني اصحابي وغلبني الامر ولم يبقَ لي حيلة ثم حصلت مع الروم بعد ذلك فما اساءوا اليَّ بل احسنوا واجملوا وعفوا عني واكرموني وانا معهم الى هذه الغاية على ما احب وقد كنت اجتهدت قبل حصولي مع الروم ان اهرب اليكم فاكون معكم فما تمَّ لي ذلك وانا الآن احمد الله عزَّ وجلَّ واشكرهُ تعالى اذ لم يسهّل لي المجيء اليكم وخلصني من كوني معكم فاني لو كنت في جملتكم لكنت امَّا ان اشاركم في ظلمكم وقبح افعالكم او ان اخالفكم في ذلك فاقتل منكم كبعض من قتلتموهُ ظلمًا فتاملوا رعاكم الله ما اخاطبكم بهِ ولا ترجوا من الله مذ الآن انهُ ينصركم على اعدائكم كما فعل مع آبائكم لانكم لاتستحقون ذلك ولاتطمعوا ايضًا انكم تغلبون الاعداء بياسكم وقوتكم فان ذلك لا ينفعكم ولا يعود عليكم بطائل اذ لم تكن معاضدة الله معكم كما لم ينتفع من تقدمكم ممن سخط الله عليهِ واستدلوا يا قوم على خذلان الله لكم بعين سلوان فانها كانت قريبة من الجفاف قبل نزول هذه الجيوش الكثيرة على المدينة فلما نزلوا غزرت العين وصارت كالنهر لتعلموا ان الله عزَّ وجلَّ يريد معونة اعدائكم عليكم وتمكنهم فيكم ولا تنكروا قولي لكم بان الله قد خذلكم واطرحكم فانكم تعلمون ان كل احد من

الناس اذا تزايد عليهِ الشر وكثر عندهُ الاذى في منزلهِ ورأى فيهِ ما يكرههُ فارقهُ وانتقل عنهُ واذا كان الله قد كره سكنى الاخيار مع الاشرار ولم يعجبهُ ان يكون الصالحون مع العصاة الفجار فباحرى واكثر الاَّ يسمح ولا يشاء سبحانهُ ان يسكن جلال نورهِ بين قوم قد اغضبوهُ واسرفوا في ارتكاب المعاصي واذ كان الامر كذلك لا تشكوا في أن نور الله عزَّ وجلَّ ومجدهُ وجلالهُ قد انتقل كل ذلك من قدسهِ وهيكلهِ لما نجستموهُ واكثرتم فيهِ الخطايا والمعاصي لان نور الله سبحانهُ انما يستقر في المواضع الطاهرة المقدسة ولا يلبث ولا يقطن في المواضع النجسة والاماكن الدنسة فاذا انتقل نور الله تعالى من بينكم وبعد عنكم فاي خير ترجونهُ بعد ذلك وانا اعلم ان كلامي لا يؤثر فيكم وانكم لا ترجعون عمَّا انتم عليهِ ليتم ما حكم الله بهِ عليكم من هلاك هذه المدينة وخراب هذا القدس الجليل اذ سفكتم بهِ دم الزكي البار فلذلك قد قست قلوبكم وصارت كالحجارة لان الحجر يؤثر فيهِ الماء اذا تواتر انصبابهُ عليهِ وانتم لا تنجع فيكم المواعظ مع كثرتها ولا يحصل لكم انتفاع بها ولا تلين قلوبكم ولا تخضع غير اني قد بلغت الغاية فيما يلزمني من نصحكم والمشورة عليكم بما ينفعكم ويعود بصلاح احوالكم فاقبلوا نصحي واعتبروا بمن قد مضى واشفقوا على هذا القدس الجليل الذي قد اسسهُ

الاكرمون واحسنت اتقانهُ الملوك المعظمون فان عزكم مع عمرانهِ
وثبات امركم ودينكم مقرون ببنيانهِ وان خرب لم يبقَ لكم عز
ولا اقبال ولا دولة وكنتم انتم الذين تخربونهُ بايديكم وتجلبون على
انفسكم البلاء العظيم بسوء رايكم وثباتكم على لجاجتكم فان كنتم
ايها الاخوة لا تشفقون على هذا القدس الاشرف من سائر الاماكن
ولا على هذه المدينة الجليلة فاشفقوا ولو على انفسكم من القتل
وارثوا لحرمكم ولاولادكم وافدوهم من السبي واقبلوا ما بذلهُ لكم ابن
الملك من الامان والوفاء بعهدهِ وما ضمنهُ لكم من الاحسان اليكم
وانا اضمن لكم عنهُ انهُ وافٍ بما ضمنهُ ولا ينقض عهدهُ ولا يخلف
وعدهُ لانني قد تحققت حسن نيتهِ لكم وانهُ لا يختار ان يسيء اليكم
وانما يريد منكم ان تطيعوهُ كما اطعتم من قبلهِ ملوك الروم وتعاهدوهُ
على ذلك ثم ينصرف عنكم فان كنتم لا تثقون بقولي وتتهموني
وتظنون اني اخدعكم واريد معونة الروم عليكم فانتم تعلمون ان ابي
وامي وزوجتي واولادي عندكم فان ظهر لكم من تيطس بعد
طاعتكم لهُ ما يخالف ما ضمنتهُ لكم عنهُ من الجميل فاقتلوهم
واقتلوني فقد رهنتكم دماءهم ودمي على ذلك. ثم بكى يوسيفوس بكاءً
شديدًا وكان تيطس يسمع جميع ما تكلم بهِ يوسيفوس فرق قلبهُ وتوجع
من كلامهِ وامر حينئذٍ باطلاق جميع من كان في عسكرهِ من سبي

اليهود ومن كان الروم قد اشتروهُ من السبي واستملكوهُ واحسن اليهم واطلق لهم ان يمضوا الى حيث ارادوا فرغب اكثر اهل المدينة الى طاعة تيطس واثر فيهم كلام يوسيفوس وعملوا على قبول ما اشار بهِ عليهم فمنعهم الخوارج ووكلوا بالابواب من يحفظها وامروا البوابين ان يقتلوا كل من طلب من اليهود الخروج الى الروم واشتد الحصار على الناس وعدموا الطعام وقوي عليهم الجوع وكان الخوارج يامرون اصحابهم بان يفتشوا منازل الناس وياخذوا ما يجدون فيها من الطعام ويقتلون من يمانعهم على ذلك فاشتد الجوع على الناس في المدينة وكان من يحتال منهم في الخروج الى ظاهر المدينة لياخذ شيئًا من نبات الارض يقتلهُ الروم فقتل منهم بهذا السبب خلق كثير وكان الروم يصلبون من يقتلونهُ قدام المدينة فلما نظر الخوارج ذلك اقبلوا هم ايضًا يقتلون من يظفرون بهِ من اليهود الذين يريدون ان يستأمنوا الى الروم ويصلبونهم على سور المدينة لينظرهم الروم فقتلوا من اليهود خلقًا كثيرًا حتى رحمهم تيطس فامر اصحابهُ ان لا يصلبوا احدًا من اليهود ولم يدع تيطس مع ذلك الرفق باليهود واستعطافهم ومخاطبتهم بالجميل وكان الخوارج اذا سمعوا كلامهُ يزدادون قساوة ويشتمونهُ ويخاطبونهُ بالقبيح يريدون بذلك ان يغضبوهُ حتى لا يخاطب اهل

المدينة بما حسن من الكلام فيميلوا اليهِ اذا سمعوا كلامهُ وحسن تلطفهِ ويرغبون في طاعتهِ ليتخلصوا مما هم فيهِ

فلما رأَى تيطس ان الكلام لاينجع ولا يؤَثر فيهم وان القوم قد كثر شرهم وزاد عصيانهم وتصلبت اعناقهم وايس من طاعتهم عند ذلك عمل على هدم السور الثالث وان يجدَّ في ذلك ليفتح المدينة ويعتق اهلها من اولئك الخوارج القساة فقسم عسكرهُ اربعة اقسام وجعلهم على اربع جهات المدينة ونصب كباشًا لكي يضرب بها السور من كل جهة فخرج اليهم الخوارج واصحابهم فقاتلوهم قتالاً شديدًا عظيمًا وقتلوا من الروم خلقًا عظيمًا واحرقوا الكباش مع جميع آلاتها ونظر الروم من شدة باس اليهود وشجاعتهم ما هالهم وانهزموا وولوا هاربين فردهم تيطس وشجعهم وجعل يقول لهم اما تأنفون لانفسكم من ان يغلبكم اليهود وتنهزموا منهم بعد ان استظهرتم عليهم وهدمتم سورين من اسوار مدينتهم ولم يبقَ الاَّ سور واحد وقد هلك اكثر القوم ولم يبقَ منهم الاَّ القليل وليس لهم من سائر الناس من يعينهم ولا ينصرهم واما نحن فعساكرنا متوافرة ومعنا امم كثيرة تعيننا عليهم واذا كان اليهود يستقتلون على مدينتهم وقدسهم ويحرصون على الغلبة فسبيلكم انتم ايضًا ان تجتهدوا في محاربتهم وتحرصوا على غلبتهم فانكم تكسبون بغلبتهم الاسم الكبير والذكر

العظيم والفخر الجسيم فان انهزمتم هاربين ووليتم فارين اكتسبتم بذلك سوء الذكر وقبح الاحدوثة وحصل لكم العيب الباقي والعار الدائم ثم انفق راي تيطس واصحابهِ على ترك محاربة اليهود وان يحاصروهم ويضيقوا عليهم الى ان يقهرهم الجوع وينال منهم فيهلكوا ويخرجوا اليهِ ففعلوا ذلك وحفظوا جميع طرق المدينة لئلاَّ يدخل اليها احد او يخرج منها فضاق الامر باليهود واشتد الجوع وكان ذلك سبب فتح المدينة

ذكر قتل شمعون الخارجي امثاي الكاهن وبنيهِ وغيرهم من الناس في يومٍ واحد

وسعى قوم من الاشرار بامثاي الكاهن الى شمعون الخارجي وذكروا عنهُ انهُ يريد يستامن الروم وامثاي هذا المذكور كان قد خرج بامر الكهنة وشيوخ اورشليم الى شمعون هذا الخارجي فادخلهُ الى المدينة ليعينهم على يوحانان كما قد ذكرنا جميع ذلك فيما تقدم فامر شمعون اصحابهُ بالقبض عليهِ وعلى بنيهِ وكانوا ثلثة فقبضوا عليهم واحضروهم الى شمعون فامر بقتلهم فسالهُ امثاي ان يقتلهُ قبل ان يقتل اولادهُ فلم يفعل فتضرع اليهِ ان يمكنهُ من اولادهِ ويضمهم اليهِ ويقبلهم ويودعهم فابى ولم ياذن بهِ ولااجاب اليهِ بل امران يصعدوا بهم على سور المدينة ليقتلوا قدام الروم فرفع امثاي

صوتهُ وقال لشمعون يا شمعون انت تعلم اني انا الذي جئتُ بك واتيت بك الى ههنا فصرت عدوًا لي الى هذا الحد فلوكنت اوثر المضي الى الروم لمضيت قبل ان يكون لك عليَّ امر ولكني ما اردت ذلك ولا هممت بهِ وانا اعلم اني استحق القتل واستوجبهُ من الله عزَّ وجلَّ وان يسلطك عليَّ لاني كنت سبب قدومك الى هذه المدينة الجليلة مدينة القدس حتى تسلطت على امتهِ وظلمتهم وغشمتهم وقتلتهم ايضًا وما كنا طلبناك الاَّ لما عظم علينا شر يوحانان وظلمهِ واملنا انك تكفينا امرهُ وتكون خيرًا لنا منهُ وضمنت لنا ذلك وعاهدتنا عليهِ ولم نعلم انك غدور لا تفي بعهد ولا تثبت ولعمري قد اخطانا فيما فعلناهُ ولقد اخلفت اما لنا وكذبت ظننا لاننا املنا منك ان تنصرنا على اعدائنا فكنت اشد عداوةً لنا واشر علينا من كل عدو وقدَّرنا انك تعطل الحروب والفتن من المدينة فزدت فيها وقويت شوكتها ولقد كان هل الشر قبلك يقتلون الناس سرًا فقتلتهم انت جهرًا وسفكت دماءهم بغير اشفاق ولا رحمة ولقد اعنت الروم علينا وقويتهم بقتلك شجعاننا وابطال مقاتلينا حتى فنيت رجالنا وقل عددنا ولقد تحقق عندنا ان تيطس خير لنا منك واحسن طريقة واجود نظرًا واجمل عاقبةً لانهُ طلب ان يستميلنا ويقطع الحروب عنا وانت تمنعنا من ذلك

ولا ترثي لمصابنا ولا تشفق علينا من الحروب المتصلة والبلاءِ الحادث كل يوم فتيطس لاجلالهِ لبيت الله تقدم الى اصحابهِ بالَّا يحرقوهُ اذا ظفروا بهِ ورفع الحرب عنا في عيد الفصح. اما انت فقتلت كهنة الله على مذبح الله في يوم العيد ونجست هيكل الله عزَّ وجلَّ ودنست بيتهُ بسفك الدماء الكثيرة فيهِ وانا ارى اني مشارك لك في جميع افعالك ومُطالب بها لاني ادخلتك الى مدينة قدسهِ ومكنتك منها فاية حجة لي بين يدي الله تعالى وانا الذي اخطات على امتهِ وعلى محل قدسهِ ولذلك حلَّت نقمة الله بي على يدك وجعلك متوليًا عقوبتي والاخذ بحق الله وحق امتهِ مني وذلك عدل منهُ وانصاف فلو انك قتلتني وحدي لهان ذلك عليَّ لاني ارجو الهي عسى يغفر الله ذنبي بقتلي ولاني اخلص بالقتل من مشاهدة خراب البيت المقدس ومن هلاك الامة . اما قتلك اولادي فما تطيب بهِ نفسي ولا احللك منهُ فيا ليتني كما اخلص بالقتل من مشاهدة خراب القدس كنت اخلص بهِ ايضًا من مشاهدة قتل اولادي ويا ليتك اذ قد اردت قتلهم كنت قتلتني قبل ان تقتلهم او كنت تمكنني منهم فكنت اضمهم الى صدري واقبلهم قبل ان تقتلهم فيكون لي بذلك بعض العزاء ثم التفت الشيخ امتاي نحو اولادهِ وجعل يخاطبهم قائلًا يا اولادي انا الذي اتيت بهذا

الظالم الى هذه المدينة فصرت بذلك مشاركًا لهُ في كل افعالهِ ومستوجبًا من الله ان يسلطهُ عليَّ وعليكم على اني لم افعل ذلك الاَّ بامر الكهنة وشيوخ الامة وهم الذين ارسلوني اليهِ حتى استدعيتهُ لهم فصار وبالاً عليهم وعلينا وعدوًّا لهم ولنا ولم نكتفِ بيوحانان القاتول حتى اضفنا اليهِ من هو اعظم شرًّا منهُ والآن يا اولادي ليس ينفعنا البكاء ولا الجزع وليس لنا الاَّ الصبر والرضى بحكم الله عزَّ وجلَّ فان القتل خير لنا من البقاء مع الاشرار وافضل عندنا من مشاهدة خراب القدس وهلاك الامة فاصبروا اذًا ايها الاولاد صبر الشباب الاجلاد وافرحوا بالموت على طاعة الله ولا تهلعوا ولا تجبنوا وتشبهوا بالسبعة الاخوة الذين قتلهم الماردي ذو الدين الردي انتيوخوس وها انا مع كبري وضعفي صابر ثابت ولي اسوة باشمونيت ام اولئك الذين قتلوا بحضرتها وهي صابرة شاكرة وبغيرها ممن حسن صبرهُ ولم يجزع ورضي بحكم الله عزَّ وجلَّ وصار الى ثواب دائمٍ ولئن تقدمتموني يا اولادي فاني لاحق بكم غير متخلف عنكم ولا متأخر عن المسير نحوكم وهذا فهو اقل حزني وتخفيف في غمي لاني لو بقيت بعدكم لعظمت مصيبتي وطال حزني بعدكم وكنت اكون مثل صدقيا الملك الذي شاهد نحر اولادهِ ثم بقي مكابدًا للحزن والغم ولو انهُ قتل معهم لاستراح واعلموا

ان شمعون وان فرق بين اجسامنا فليس يمكنهُ ان يفرق بين ارواحنا وانكم عن قليل تصيرون الى الثواب الباقي والنعيم الدائم فان ساءني ان ارى قتلكم فاني ارجو لكم من الله عزَّ وجلَّ الاجر الجزيل والمنقلب الجميل والمغفرة فتعزوا يا اولادي عن الدنيا واصبروا على القتل ولا تجزعوا من الموت وتقدموني فاني لاحق بكم واسعد من جهتكم فاذا ما لقيتم الصالحين فقولوا لهم ان امتكم وبني آبائكم الذين انشق لهم البحر وجرى لهم من الحجر النهر ووقفت لهم الشمس ونزل لهم منٌّ من السماءِ وتفجرت لهم من الصخرة عيون الماءِ وسيروا في طريقهم بالغمام ورعاهم الانبياءُ بحرصٍ واهتمام وساسهم الصالحون وذل لهم الجبابرة والمقتدرون قد تذللوا بعد العز وشقوا بعد النعيم وتسلط عليهم الاشرار وولي امرهم العصاة الفجار فظلموهم وقتلوهم ولم يشفقوا عليهم ولا رحموهم . ثم قال الشيخ امثاي للسياف افعل ما امرك بهِ الخارجي واقتلني بالسيف الذي قتلت بهِ اولادي ليختلط دمي بدمائهم واطرح جسمي على اجسامهم ليكون ذلك عوضاً مما حرمتهُ منهم في حياتي من معانقتهم ولعل جسمي يسترهم من طائر السماءِ فلا ياكل لحومهم واجعل فمي على ضرباتهم ليكون ذلك عوضاً مما منعهُ من تقبيلهم فان كان شمعون قد فرق بيني وبين اولادي في الدنيا فليس يقدر ان يفرق بيننا في

الموت . ثم رفع الشيخ امثاي يديهِ نحو السماء وصرخ قائلاً ايها الرب العظيم القادر على ما تشاء اسأَلك ان تنتقم من شمعون وتطالبهُ بظلمهِ واسلمهُ مع اولادهِ الى اعدائهِ ولاتحشرهُ مع امتك ولاتمتهُ حتى يرى في اولادهِ وفي نفسهِ ما يكره بعدما يراهُ من خراب القدس وجلاء الامة فيعلم حينئذٍ ان منصرفي احسن من منصرفهِ وان عاقبتي احسن من عاقبتهِ

فلما فرغ امثاي من كلامهِ امر شمعون بقتل اولادهِ الثلثة قدامهُ فقتلوا ثم قتلوا الشيخ بعدهم وطرحت جثثهم الى خارج الحصن ثم امر شمعون في ذلك اليوم بقتل رجل من اجلاء الكهنة يقال لهُ حنانيا فقتل وطرحت جثتهُ على جثة امثاي ثم قتل ارسطوس الكاتب وخمسة عشر رجلاً من كبراء الائمة وصلحائهم وقتل احد عشر رجلاً من وجوه اهل المدينة بلغهُ عنهم انهم انكروا قتل امثاي الكاهن واغتموا منهُ وقتل يهوذا رئيس الالف وجماعة معهُ لانهم ارادوا ان يستأمنوا الى الروم لما نظروا الى ما فعلهُ شمعون بالناس ولما راى العازر بن حناني الخارجي ما فعلهُ شمعون بالناس استعظمهُ وايقن بهلاك المدينة فخرج من اورشليم واقام في بعض المواضع الى ان انصرف تيطس عن المدينة . ثم كان من امرهِ ما سنذكرهُ في اخر المصنف

ذكر عظم المجاعة في اورشليم لما طال الحصار ومات الناس وخبر المرأة التي اكلت ابنها شيًّا

لما طال الحصار على المدينة المقدسة فني كل شيء كان فيها من القوت وجميع الماكول وقوي الجوع على الناس حتى اكلوا الجيف ودبيب الارض وهلك منهم بذلك خلق كثير وكان من سلم لهُ يسير من القمح يخاف ان يطحنهُ او يخبزهُ فيعلم بهِ صوت الطاحونة او بالدخان فيوخذ منهُ ويقتل فكانوا ياكلون القمح حبًّا ويستفون الطحين دقيقًا ويتخاطفون اليسير من القوت اذا وجدوهُ يخطفهُ الاب من ولدهِ والولد من والدهِ فعظم الجوع والجهد واشتد الامر وقوي القحط حتى مات كثير من الناس واشتغل الاحياء بانفسهم فما كانوا يدفنون موتاهم . وبعض الناس كانوا يرمون موتاهم في الآبار والروابي ويلقون انفسهم بعدهم ليموتوا ويستريحوا مما هم فيهِ من البلاء العظيم وكان كثير من الناس يحتفرون لهم حفرات قبورًا يضجعون فيها الى ان يموتوا وبطل البكاء وانقطعت الاصوات وزالت الحنة وذهبت الشكوى وعدم الترثي وامتلأت المنازل والشوارع والازقة من الموتى وكان الخوارج يرمون من يموت وغيرهُ من السور الى الوادي الذي هو شرقي المدينة حتى صار في الوادي منهم عدد عظيم فمر بهم تيطس في بعض الايام فلما رأى

كثرتهم استعظم ذلك واغتم منهُ . ورفع يديهِ نحو السماء وقال
اللهمَّ انك انت العالم اني ما احببت ولا اردت هلاك هولاء القوم
واني ما قصدت لهم الاَّ الخير وقد استدعيتهم الى الصلح وبذلت
لهم الامان ووعدتهم بالاحسان فمنعهم روساؤُهم واشرارهم حتى حلَّ
بهم هذا البلاء العظيم فاسالك ايها الرب ان تبريني من اثمهم
ولا تواخذني بما اصابهم

فلما طال الحصار جاع الخوارج واصحابهم ايضًا واذاقهم الله
ما اذاقوهُ للناس من الجوع وبلغ امرهم الى ان اكلوا الحب الذي
يوجد في زبل الحيوان واكلوا جلود البهائم المائتة ثم اكلوا ما يوجد
من الجلود على سروجهم نعم وعلى سيوفهم وكانوا يطلبون شيئًا من
النبات فلا يجدون لا في ظاهر المدينة ولا في باطنها لان الروم
قطعوا كلما كان حول المدينة من الشجر والنبات وقد كان حول
اورشليم من سائر جهاتها بساتين كثيرة فيها انواع الاشجار
واصناف الفواكه مسيرة اميال كثيرة من كل جهة وكان اذا
اقبل انسان الى المدينة يرى احسن منظر فلم يترك الروم من جميع
ذلك شيئًا وصارت تلك المواضع مثل البرية المقفرة وكان كل
من يعرف تلك البساتين والرياض قديمًا اذا عاينها بعدما اخربها
الروم واهلكوها يبكي ويستوحش . وكان في اورشليم امرأة من

ذوات النعم والسعادات وكان اصلها من مدينة في جيرة الاردن فلما كثرت الفتن هناك في زمان وسباسيانوس انتقلت المرأة الى اورشليم فاقامت بها وكان لها نعمة واسعة وعبيد كثيرون ولم يكن لها غير ولد وحيد صغير تحبهُ حباً شديداً حب الوالدة لولدها الوحيد فلما قويت المجاعة في المدينة ونهبت الخوارج جميع ما كان في منزل المرأة كما فعلوا بغيرها جاعت المرأة وجاع ولدها فلما زاد ما بها مما تجدهُ من الجوع وما يصل الى قلبها من الالم ببكاء ابنها وتضورهِ عدمت الصبر وفقدت التمييز فعملت على ان تقتل ولدها وتاكلهُ لتسد بهِ جوعها وتريحهُ بالقتل مما يقاسيهِ بالجوع فكانت محتارة لا تدري على اي الامرين تحمل نفسها هل تقتل ابنها الوحيد العزيز عليها بيدها وتاكلهُ وذلك من اشنع الامور وافظعها ام تصبر على ما تراهُ بهِ وبنفسها من الضر وألم الجوع وقد فارقها الصبر وغلبها الجوع والاحتياج الى ما لا بد منهُ حتى لم يبقَ لها راي حينئذٍ ازالت عن نفسها الرحمة وابعدت عن جوارحها الاشفاق فقالت لولدها قد كنت اومل يا ابني ووحيدي والعزيز عليَّ انك تعيش حتى تبرني وتقوم باحوالي اذا كبرت وتتولى امري اذا مت وقد كنت اخاف من ان تموت قبلي فاحزن لموتك واصاب لشدتك وأتألم لفقدك وليتني كنت قد ثكلتك وليتك كنت مت

على غير هذه الجهة فدفنتك واجنبتك عند الله ولم ارَ هذا الضر
الذي تكابدهُ والآن يا ولدي قد احاطت بنا البلوى من كل جهة
وعدمنا عقولنا وعميت ابصار قلوبنا وقد ايسنا من الفرج وايقنًا
بالهلاك الكلي والبوار الشامل فالحيّ منا لا يطمع في البقاء والميت
لا يُدفن فانا وانت ها لكان وان مت يا ابني لا يدفنك احدٌ وكنت
مثل غيرك ممن اكلهُ الكلاب وطائر السماء وقد رايت ان اقتلك
لتستريح من ألَم الجوع ثم آكلك بعد ذلك واجعل جوفي الذي
حملك فيهِ قبرًا لك واسد بك جوعي ويكون ذلك عوض البر
الذي كنت اومل ان انالهُ منك وتكون كانك قد كافاتني عوضًا
عن حملي اياك ورضاعتي لك وبالغت في اكرامي وبري وتنال
بذلك عظيم الثواب وخير الجزاء ويكون ذلك عارًا على هولاء
الخوارج الذين اوقعونا في عظم هذه الشدة التي لا مزيد عليها
ويكون ذلك زيادة في سخط الله عليهم وانتقامهِ لامتهِ منهم وحديثًا
يبقى على ممر الدهور يتحدث بهِ الناس جيلًا بعد جيل ثم قبضت
على ناصية ابنها بيدها الواحدة والسكين بيدها الاخرى وهي
كمسلوبة العقل ثم حوت وجهها عنهُ لئلَّا تراهُ ثم ضربتهُ
بالسكين فمات حينئذٍ اخذت بعض لحمهِ شوتهُ على النار واكلت
منهُ حاجتها واحتفظت بما بقي من جثتهِ فلما ارتفع قتار ذلك اللحم

وشمتهُ الخوارج واصحابهم هجموا على المرأة بغضب شديد وحدَّة وقالوا لها ما الذي كنتِ تاكلينهُ ومن اين لكِ هذا اللحم وكيف اكلتِهِ وحدكِ ولم تعلمينا بهِ . فقالت لهم ترفقوا ولا تعجلوا فما كنت با لذي اظلمكم واوثر نفسي عليكم بل قد عزلت لكم النصيب الوافر مما اكلتهُ فاجلسوا اذًا لكي اتيكم بهِ فجلس القوم ومضت ونصبت المائدة قدامهم واخرجت ما بقي من جثة ابنها وجعلتهُ على المائدة وقالت لهم هذا ولدي واعز الاشياء عندي فقتلتهُ بيدي لافراط الجوع بي فاكلت من لحمهِ حاجتي وهذه بقية جثتهِ واعضائهِ ابقيتها لكم فكلوا واشبعوا ولا تكونوا اشد رحمة مني لولدي ولا تضعف قلوبكم عن ذلك فانهُ قبيح بشجعان مثلكم ان تكون امرأةً اقوى قلبًا منكم ومع ذلك فانكم احق ممن رضي ذلك ولم ينكرهُ لانكم الذين جلبتم عليَّ وعلى سكان هذه المدينة هذا البلاء العظيم ولم ترثوا لنا ولا رحمتمونا حتى بلغنا الى هذه الحال السيئة . فلما راى اولئك الخوارج ذلك استعظموهُ وخرجوا مذعورين وخائفين واشتهر خبر المرأة في المدينة فقلق الناس لذلك قلقًا شديدًا وتحقق صحة الوعيد الذي سبق من الله عزَّ وجلَّ فيهم وايقنوا بالهلاك وانكسر الخوارج وكادت ترف قلوبهم وضعفت منتهم واطلقوا للناس الخروج من المدينة فخرج في ذلك الوقت خلق كثير الى الروم ولم

يمنعوهم ولما اتصل الخبر بتيطس استعظمهُ وقلق منهُ جدًّا ورفع صوتهُ الى السماء وقال اللهمَّ انت العالِم الخفيات والمطلع على السرائر والنيات وانت تعلم اني لم آتِ الى هذه المدينة لاحارب اهلها ولا لكي اسيءَ اليهم وقد استدعيتهم الى الصلح دفعات فما اجابوا ولقد شفقت عليهم واردت سلامتهم وامنهم وما اردت هلاكهم ولا هويت عطبهم فلم يشفقوا هم على نفوسهم ولا رحموا ذواتهم حتى انتهى امرهم الى مثل هذا ولقد غمني ما بلغوا اليهِ لاسيما ما عرفتهُ من حال هذه المرأة البائسة وساءَني ذلك واقلقني وما رضيتهُ سريرتي ولا سرت بهِ نفسي ولا اخترتهُ وانا بريءٌ اليك منهُ فاسالك يا رب ان تعفيني من ظلامني ولا تجعلني تحت وزرهِ وطائلتهِ وتبرّي قومي جنايتهُ واثمهُ وان تطالب خوارج هولاء القوم بظلمهم واساءَتهم اليهم وتنتقم منهم وتظفرني بهم

ثم ان تيطس امر اصحابهُ بالاحسان الى اليهود الذين خرجوا اليهِ من المدينة وكانوا جماعة كثيرة رجالاً ونساءً وصبيانًا ففعل اصحاب تيطس كما امرهم بهِ فاطعمهم الطعام فكان كثيرون منهم لا يقدرون يفتحون افواههم وجماعة كثيرة منهم لما اكلوا الطعام ماتوا لوقتهم وكان الصبيان وغيرهم يخطفون الخبز اذ يبصرونهُ وينهشونهُ بلا عقل ثم يموتون عقيب ذلك فلما علم تيطس بامرهم امر

يوسيفوس بن كربون بتدبيرهم فسقاهم اللبن والحسا اياماً حتى لانت امعاؤهم ثم اكلوا الطعام بعد ذلك فعاش كثير منهم وكان بعض هولاء اليهود لما ارادوا الخروج من المدينة قد ابتلعوا ذهباً وجواهر كانت في ذخائرهم لتسلم لهم ممن يتعرض لاخذها منهم لتبقى معهم فيعيشون منها فلما صاروا في عسكر الروم جلس رجل منهم يفتش ما برز منهُ بعد ان تبرز ويخرج منهُ ما كان قد بلعهُ فرآهُ بعض السريان فاخبر رفيقهُ بذلك فقتلا ذلك اليهودي واخذا ما كان معهُ وفشا الخبر فاتفقت العرب والسريان الذين كانوا في عسكر تيطس على قتل اليهود فقتلوا منهم خلقاً كثيراً لطمعهم في اخذ ما كانوا قد بلعوهُ من الذهب والجواهر فلما علم تيطس بذلك انكرهُ وغضب منهُ ثم استدعى اصحابهُ اعني رؤساء عسكرهِ ومتقدّمي جيوشهِ وامرهم بازالة كلما على مركباتهم وانتزاع سائر ما هو من الذهب وغيرهِ من الحلى على آلات سلاحهم وحمائل سيوفهم وغير ذلك من عددهم وامرهم ايضاً بان لا يتركوا شيئاً من الزينة والتوشية واللولو والجوهر على لباسهم وقال لهم ان هذا الذهب وغيرهُ من الزينة مما على عددكم وملابسكم هو الذي حمل العرب والسريان على قتل هولاء اليهود رغبةً فيما يا خذونهُ من الذهب والجواهر التي معهم ليتشبهوا بكم في الزي واللباس المجمل فامتثل

اصحاب تيطس للوقت ما امرهم بهِ وازالوا جميع ما عليهم من
الحلى والذهب . ثم امر تيطس بنفي العرب والسريان من
عسكرهِ وابعادهم فكفوا عن قتل اليهود وكان العرب
والسريان اذا ظفروا بيهوديٍ قتلوهُ في خلوة
طمعاً في ان يكون في جوفهِ
شيءٌ من المال
والجواهر



الفصل الثامن

ذكر هدم السور الثالث

لما علم الروم بسوء حال اهل اورشليم وفناء اكثرهم وضعف من بقي منهم وما هم عليهِ من الضر والجوع طمعوا في اخذ المدينة فتقدموا الى السور الثالث ونصبوا عليهِ الكبش ليهدموهُ فلم يكن للخوارج قوة ان يحرقوهُ كما فعلوا في مثل ذلك فيما تقدم الَّا انهم مع ذلك مع ما هم عليهِ من الضر والبؤس قاتلوا الروم قتالاً شديدًا وقتلوا جماعة كثيرة منهم وقد كان الروم عملوا على ان ينصرفوا عن المدينة ان احرق اليهود الكبش لانهم ضجروا من طول الحرب وامتدادها وضعفت ايضًا قلوبهم لكثرة من قتل منهم وما ظهر لهم من بأس اليهود وقوة قلوبهم فلما كان عند المساء عاد يوحانان واصحابهُ الى المدينة لضعفهم عن محاربة الروم فدفع الروم الكبش على السور في الليل فهدموهُ وصرخوا عند ذلك صراخًا عظيمًا

فصرخوا ايضاً من داخل المدينة واقام الروم موضعهم الى الغداة فلما اصبحوا نظروا واذا قبالة ذلك الموضع الذي انهدم من السور سورٌ جديدٌ قد بناهُ اليهود في تلك الليلة وهم قيام عليهِ وذلك انهم لما عجزوا وضعفوا عن احراق الكبش علموا ان الروم يدفعونهُ على السور فاجتمعوا في الليل فبنوا سورًا داخلاً بازاء الموضع الذي علموا انهُ سينهدم ووقفوا عليهِ فلما نظر الروم الى هذا السور الجديد استعظموا ما فعلهُ اليهود وأيسوا من فتح البلدة فقال لهم تيطس ان هذا السور الجديد لاثبات لهُ لانهُ لم يستحكم فاذا صدمهُ الكبش انهدم سريعًا فصعد الروم على السور المهدوم وقربوا من اليهود ووقف اليهود على السور الجديد الذي ابتنوهُ واشتد القتال بين الفريقين فغلب اليهود الروم وهزموهم وقتلوا كثيرًا منهم فكلّت الروم من محاربة اليهود وقوي عزمهم على الانصراف عنهم فلما عَلِم تيطس بذلك جمع اصحابهُ ثم قال لهم ان كل من يمارس صناعة او يعاني مهمة انما قصدهُ ان يبلغ الى الغاية التي تكمل صناعتهُ بها ويتم عملهُ فلذلك يصبر على كل تعب الصنعة الى ان تكمل فيبلغ غرضهُ الذي يقصدهُ وربما كان آخر العمل اكثر مشقة من اولهِ واتعب فان ضجر منهُ الذي يتولاهُ وتركهُ قبل ان يتمهُ ذهب تعبهُ وبقي عملهُ ناقصًا لا ينتفع بهِ . انظروا الى

مدبّري السفينة كيف يصبرون على التعب في تدبيرها طول مسيرها ليبلغوا الى الغاية التي يقصدونها فاذا هم قربوا الى المكان الذي قصدوهُ واعتراهم الضجر وملك عليهم العجز ولو يسيرًا عطبت السفينة وهلك جميع من فيها وذهب تعبهم ضائعًا باطلاً واذا صبروا ثم احتملوا التعب سلمت السفينة وبلغوا بصبرهم الى حيثما قصدوا وكذلك من ينشي بناء ان ضجر منهُ وتركهُ قبل ان يتمهُ ذهب تعبهُ وبطل اجرهُ وكذلك الفلاح انما يصبر على التعب في فلاحتهِ الارض وزراعتها وحفظها من الحيوان المفسد لما فيها لياخذ مستغلّها فان هو ضجر عند بلوغ الزرع وكمالهِ فتركهُ لم يحصدهُ ويجمعهُ ضاع جميع تعبهِ واتلف غلتهُ وبقي فقيرًا جائعًا وانتم ايضًا انما جئْتم الى هذه الامة لتعيدوها الى الخضوع لكم والطاعة لعزة سلطانكم وقد صبرتم على محاربتها طول هذه المدة واستظهرتم عليها الى هذه الغاية حتى هلك روساؤُها وشجعانها وخربتم حصونها وفنيت عساكرها بالسيف والجوع والوبأ ولم يبقَ منها غير شرذمة يسيرة كالموتى فان انصرفتم بعد هذا ولم تتمّموا عملكم وما قصدتموهُ كنتم قد ضيعتم تعبكم واعنتم عدوكم على انفسكم واهنتموها عند كل من يسمع خبركم ولو كنتم انصرفتم عن القوم قبل هذا لكان اجمل بكم واحسن واما الآن فلا عذر لكم في عجزكم عن محاربة قوم

قد بلغ منهم الضر والجوع الى هذا المبلغ فان انصرفتم عنهم قبل ان تتمّموا عملكم طمع فيكم كل احد واجترأ عليكم كل من كان يخاف منكم ولا تماثلوا اليهود في الصبر والثبات والشجاعة وقوة المنّة وجلادة العزيمة فها قد شاهدتم ما اظهروهُ من الثبات والصبر مع انقراض رجالهم وفناء ابطالهم واجتماع المكاره عليهم وانقطاع رجائهم من البقاء ولم يكفوا عن قتالنا ومحاربتنا اما طمعاً في الظفر او انفةً من الغلبة او رغبةً في بقاء الذكر وانتم احق ان تطلبوا جميل الذكر وترغبوا في الظفر وتحرصوا على الغلبة وتجتهدوا في رفع الضر والعار عن انفسكم ومع ذلك فقد صبرتم ايام نيرون قيصر على محاربة هولاء القوم وعملتم على انكم لا ترجعون عنهم الاَّ بعد ان تظفروا بهم وتهلكوهم او تردوهم الى طاعة الروم فلما ملك وسباسيانوس الذي هو اشجع من نيرون واعظم بأْساً عملتم على ان ترجعوا عنهم قبل ان تظفروا بهم فاي عذرٍ يكون لكم عندهُ واية حجة تحتجون بها عليهِ

فلما سمع الروم كلام تيطس ثبتوا وتشجعوا فلما كان في الليلة التي بعد هذا اليوم اجتمع عشرون رجلاً من شجعانهم وعملوا على ان يدخلوا البلد ومعهم جماعة من العسكر الى ثلمة في السور فصعدوا عليها ودخلوا الى البلد لان اليهود كانوا نياماً لطول تعبهم وجوعهم

وضرهم فلما دخل الروم المدينة صرخوا فاستيقظ اليهود لشدة اصواتهم فصوتوا ولم يفارقوا مواضعهم وسمع تيطس صوت اصحابهِ فعلم انهم قد ملكوا السور فمضى مع جماعة من رجالهِ فوقف عند السور الى الغد فلما صار النهار التقى اليهود مع الروم فانهزم اليهود الى القدس وتبعهم الروم فاقتتلوا في صحن القدس البراني بالسيف وكان بينهم في ذلك اليوم حرب عظيمة لم يجرَ مثلها منذ قط لانهم استقتلوا جميعًا وجدُّوا في الحرب وعلت اصواتهم وارتفع ضجيجهم الى ان سُمِعت من البعد النازح وكثر القتلى في القدس وامتلا صحن القدس الجليل من دماء القتلى واستظهر اليهود في ذلك اليوم على الروم فهزموهم واخرجوهم من القدس وكانت مدة هذه الحرب من الصبح الى ربع النهار فامر تيطس في هذا النهار بهدم موضع كان متصلاً بالقدس يسمى انطونيا واراد بذلك أن يتسع موضع الحرب على اصحابهِ لان محاربتهم لليهود بعد ثلم السور الثالث كانت في صحن القدس البراني فلما هدم هذا الموضع انثلم طريق القدس وصارت الطريق اليهِ سهلة

ذكر مخاطبة تيطس لليهود بعدما جرى على الروم منهم

وكان هذا اليوم يوم عيد لليهود فاجتمع اليهود في القدس ليعيدوا فتقدم تيطس الى القدس ومعهُ يوسيفوس الكاهن

فاستدعى يوحانان ورؤساء الخوارج وخاطبهم بصوت عالٍ
وقال يا معشر اليهود اخبروني ما الذي يدعوكم ان تجلبوا الخراب
على هذا الموضع المقدس وامكم على مخالفتنا ومنازعتنا فان كنتم انما
تفعلون ذلك اجلالاً لهذا البيت واشفاقاً عليهِ من الخراب فقد
علمتم اني لا اريد خرابهُ واني ما جئت لذلك على انكم قد دنستموهُ
وبذلتموهُ لكل نجس ولم تجلّوهُ ولم تكرموهُ واكثرتم فيهِ من سفك
الدماء وارتكاب المحارم وهذا اليوم فهو لكم عيد جليل وهوذا قد
اشتغلتم فيهِ بمحاربة بعضكم بعضاً واهملتم بواجب ما يتعين عليكم
من حق العيد فان قصدكم ان تظهروا شدة باسكم ووفور شجاعتكم
فاخرجوا خارج المدينة الى الصحراء حتى نحاربكم وهناك اظهروا
عالي مآثركم ورفيع هممكم الى ان يغلب منا من غلب ووقروا قدس
الله ونزهوهُ عن الحرب ولا تنجسوهُ بسفك الدماء فيهِ ولا تعطلوا
منهُ القرابين والعبادة فانَّا لا نريد ذلك ولا نختارهُ ولا نقصد
محاربتكم من اجلهِ وانما نحاربكم من اجل مقاومتكم لنا ومحاربتكم
ايانا فان كنتم قد عجزتم عن القتال فانزلوا على حكمنا واقبلوا امرنا
فقال لهُ يوحانان اعلم ايها الملك انهُ ليس لنا قرابين نقربها في هذا
الهيكل اجل من لحومنا ودمائنا ونحن نختار ان نبذل مهجنا ونسفك
دماءنا فيهِ ونستقتل في محاربتنا عنهُ معتقدين ان ذلك يكون لنا

قربانًا مرضيًا وضحية مقبولة. قال لهُ تيطس كيف تطمعون انفسكم انكم تكونون عند الله كالقرابين المرضية اذا قُتلتم في قدسهِ وانتم قد عصيتموهُ واغضبتموهُ بما ارتكبتموهُ من الافعال وهل يقبل الله عزَّ وجلَّ الضحايا والقرابين الاَّ ما كان سالمًا من كل عيبٍ فانتم هولاء قد اجتمعت فيكم المساوي والمعايب وليس يحسب قتالكم عن هذا الهيكل اعزازًا لهُ ولا تستحقون ان توصفوا بفضيلة البأس والشجاعة لان الشجاع انما يقاتل عن مدينتهِ وقومهِ ليصونهم ويمنع عنهم الاذى ليس ليهلكهم ويخرب مدينتهم أَيرضى احدكم ان توخذ مائدتهُ من قدامهِ بغير رضاهُ فاذا كنتم لاتختارون ذلك ولا ترضونهُ فكيف استجزتم ان تعطلوا قرابين الهكم من هيكلهِ وجعلتم فيهِ عوضًا من ذلك قتلاً وجثث موتى وسفك دماء وقد اخبرتكم انني ما قدمتُ اليكم لاقاتلكم ولااخرب مدنكم ولاجئت الاَّ لكي ادعوكم الى مسالمتنا والرجوع الى ما كنتم عليهِ من طاعتنا وقد ظهر لكم اشفاقنا عليكم وايثارنا الخير لكم مع مخالفتكم ايانا ومحاربتكم لنا مما لم يكن غيرنا من الامم يفعلهُ بكم ولا يريدهُ لكم ولعمري ان هذه السجية سجيتنا ومثل هذا المذهب مذهبنا وطريقتنا مع جميع من قاومنا وخالفنا وشق العصا علينا وذلك انَّا لما ظفرنا بهم احسنَّا اليهم وعفونا عنهم وقد علمتم ان ملككم يكنيا لما حاصرهُ بختنصر

ملك بابل خرج اليهِ مستامنًا وسلم نفسهُ وجميع اهلهِ اليهِ لاشفاقهِ
على المدينة وعلى القدس من الخراب وعلى قومهِ من الهلاك فانتفع
بذلك ونفع رعيتهُ وسَلِمَ وسلموا واما صدقيا الملك لما لجَّ في مخالفة
الملك بختنصر ولم يخرج اليهِ كما اشار عليهِ ارميا النبي اهلك المدينة
والامة والقدس ولم يسلم فسبيلكم ان تعتبروا بهذين الملكين فتقتدوا
باصوبهما فعلاً واحمدهما عاقبةً ولا تلجوا في المخالفة التي قد تبين لكم
مضرتها وسوءُ عاقبتها بل ارجعوا الى ما كنتم عليهِ من طاعتنا
اجود ونحن الى افضل مما كنا عليهِ من الاحسان اليكم والاشفاق
عليكم وصنيع الجميل معكم وها انا اعاهدكم عهدًا مجددًا قدام اله هذا
البيت واجعلهُ الشاهد عليَّ وعليكم واضمن لكم ان اطعتم حسن
الصنيع اليكم والعفو عن جميع ما تقدم منكم ومعاملتكم بالجميل
الذي عهدتموهُ قبل ان تعصونا واعطيكم يوسيفوس الكاهن
وجماعة من وجوه اصحابي يكونون رهايني عندكم حتى تسكن انفسكم
الى قولي وتثقوا بي وبعهدي وضماني فاقبلوا نصحي لكم واكتفوا بما
جرى عليكم وارجعوا الى ما كنتم عليهِ من طاعتنا ليحسن حالكم
وحال بلدكم وتعود قرابينكم وعبادتكم الى ما كانت عليهِ وقد جعلت
كلامي هذا حجةً عليكم واعتذارًا الى الله عزَّ وجلَّ في امركم . وكان
يوسيفوس بن كربون الكاهن يترجم للقوم ما يقولهُ تيطس بلسان

الروم عبرانيًا ويبكي بكاءً شديدًا وينتحب انتحابًا حرقًا . ثم قال لهم يوسيفوس اني لستُ اعجب من خراب هذا البيت وهذه المدينة لعلمي ان مدتها قد انتهت لكني اعجب منكم وانتم تقرأون كتاب النبي المعظم دانيال وتعلمون ما ذكرهُ من ابطال القرابين وعدم الكاهن المسيح وزوال المسحة وترون ذلك قد صح وثبت وانتم بعد ذلك لاتخضعون لله عزَّ وجلَّ ولا تستسلمون. فلم يسمع الخوارج كلام تيطس ولا كلام يوسيفوس ولا رجعوا عمَّا هم عليهِ ولا خضعوا غيران جماعة من الكهنة ومن كبراء اليهود خرجوا في ذلك اليوم الى تيطس فامنهم واحسن اليهم ومنع الروم من اذيتهم فلما علم الخوارج بخروجهم منعوا من بقي من اليهود من ان يخرجوا وضبطوا طرق القدس لئلاَّ يخرج احدٌ منهم

ذكر الحرب الاخيرة التي كانت بين اليهود وبين الروم

لما علم تيطس ان كثيرين من اليهود يريدون الخروج اليهِ وان الخوارج يمنعونهم من ذلك تقدم الى الموضع المنهدم من سور القدس ويوسيفوس الكاهن معهُ ليعاود مخاطبة اليهود واستعطافهم فلما نظر اليهود الى يوسيفوس بكوا بكاءً شديدًا وقالوا نحن معترفون بانَّا قد اخطأنا واسانا بمعصيتنا الروم وتحققنا اشفاق الملك علينا وما يريدهُ من سلامتنا وصلاح احوالنا ونحن نرغب

في الخروج اليهِ ولكنا لانجد السبيل الى ذلك لان هولاء الخوارج قد منعونا واستولوا علينا . فلما سمع الخوارج كلامهم تبادروا اليهم ليقتلوهم فبادر اليهم الروم ليخلصوهم وهجموا على اليهود في القدس فقاتلوهم قتالاً شديدًا فانهزم الروم وهربوا الى قدس الاقداس وهو الموضع الاجلّ من جملة القدس فتبعهم اليهود اليهِ وقتلوهم فيهِ فلما علم تيطس ذلك صاح بيوحانان وكان داخل قدس الاقداس وقال لهُ يا يوحانان أَلَم يُكتَب في التوراة ان الغريب الذي يدخل الى هذا الموضع الاقدس يُقتَل ولم يؤْذن لاحد بالدخول اليهِ الاَّ للكاهن الاكبر وذلك في يومٍ واحدٍ في السنة واما انت ايها المتعدي على ربك والمتجاوز فرائض سيدك المخالف شريعة الهك فما اقنعك انك دخلت الى الموضع الذي لايجوز لك ان تدخل اليهِ حتى سفكت دماء الغلف الذين تبعدونهم وتانفون منهم وتكرهونهم وتعرضون عن التقرب اليهم ودماء اليهود ايضًا الذين هم اخوتكم وقد علم الله مني وشهد عليّ اني ما اريد اخرب هذا البيت ولكن اعمالكم السوء هي التي تخربهُ واني اريد ان تطيعونا حتى لانخرب هذا البيت لكن نصونهُ ونحسن اليكم ثم ننصرف . ولما راى تيطس ان القوم لايسمعون كلامهُ ولا يلتفتون اليهِ استدعى من اصحابهِ ثلثين الف رجل اشد مقاتلة وامرهم ان

يدخلوا الى صحن القدس فيحاربوا اليهود واراد ان يدخل معهم فمنعهُ اصحابهُ وقالوا من الاصوب ان تقف انت على موضعٍ عالٍ بحيث يراك اصحابك فتقوى قلوبهم بك ويقاتلون بحضرتك ولا تخاطر بنفسك وبنا فقبل تيطس ما اشاروا بهِ عليهِ واتفق رايهم على ان يكبسوا اليهود في الليل فلما علم اليهود بذلك لم يناموا في تلك الليلة فلم يتم للروم ما ارادوا . ولما كان في الغد تفرق اليهود ووقفوا على طرق القدس فضبطوهُ وحاربوا الروم واتصلت الحروب بينهم واستظهرت اليهود على الروم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وابعدوهم عن القدس . فامر تيطس اصحابهُ ان يكفوا عن قتالهم ومحاربتهم لعلمهِ انهم لايجدون ما ياكلون وان الجوع يفنيهم فلم يجرِ بين الروم وبين اليهود حرب ولا قتال لاشياء جرت فمن ذلك ان الجوع لما اشتد على اليهود كان قوم منهم يستقتلون ويخرجون الى اطراف عسكر الروم في الليل فيسرقون ما وجدوا من الدواب فياكلون فلما علم تيطس بذلك امر ان يحرَس العسكر في الليل فكان عسكر الروم قد انتقل في ذلك الوقت من جبل الزيتون الى المدينة وما حولها وقد تبقت لهم في الجبل دواب ومواشي كثيرة ومعها اقوام يحفظونها وكان تيطس قد بنى في وجه باب القدس الذي يلي الجبل حائطاً ليامن من اليهود ان يخرجوا

الى عسكرهِ من ذلك الباب لانهم قد خرجوا منهُ مرات كثيرة فمضى قوم من اصحاب الخوارج الى هذا الحائط فهدموهُ وصعدوا الى الجبل فقتلوا بعض اولئك القوم الذين كانوا يحفظون الدواب وساقوها ووقف بعضهم يقاتل من يمانعهم من الروم فلم يقدروا عليهم ولكنهم ظفروا بواحدٍ منهم فاسروهُ وكان في جماعة اولئك اليهود رجل قصير اسمهُ يوناثان فلما راى القوم قد اسروا صاحبهُ غضب وتداخلتهُ الحمية فمضى الى عسكر الروم ووقف قدامهم ثم ناداهم قائلاً من كان منكم يدل بشدة باسهِ ويظن انهُ شجاع جبار فيبرز اليَّ فاني اصدق قولي بفعلي ويظهر عند ذلك من هو الموصوف بالمحاربة ومن هو مستحق ان يذكر بالباس والشجاعة وهل الروم هم الذين يستحقون ذلك ام اليهود قال فامتنع الروم من الخروج اليهِ لخوفهم منهُ لانهُ كان حقيرًا رديًّا قبيح المنظر ذميمًا جدًّا فقال الروم ان ظفرنا بهِ لم يكن لنا في ذلك فخر وان ظفر بنا كان ذلك عارًا فوقفوا لذلك عنهُ فقال لهم يوناثان لقد ظهر ضعفكم وتبين عجزكم عن مقاومتنا واتضح فضل شجاعتنا وباسنا ولقد قتلنا فيكم كما نقتل الغنم واهناكم كالعبيد والخدم حتى اردتم ان تهربوا غير مرة ولولا من معكم من الامم الغريبة منكم وكثرة الاجناس التي ليست من طوائفكم لم يكن لكم طاقة بنا ولاثبات

امام القليل منا ومع ذلك فنحن الذين ساعدناكم على انفسنا بقتلنا بعضنا بعضاً حتى فنينا وقل عددنا لما ارادهُ الله من هلاكنا ولولا ذلك لبعد عليكم وعلى غيركم ان تغلبونا وها انا وحدي من جملة اليهود الذين قد اضرَّ بهم الجوع وبلغ منهم الشقاء وطول الحصار فمن كان منكم واثقاً من ذاتهِ بشجاعة ومبارزة واقدام فليبرز اليَّ فبرز اليهِ رجل من شجعان الروم فقتلهُ يوناثان فاغتم الروم لقتلهِ. عند ذلك فرح يوناثان وتداخلهُ العجب والكبر وجعل يتهزأ بالروم ويفتخر عليهم واسرف في شتمهم وتقريعهم واكثر من الطنز بهم والاستخفاف بهم وباجلائهم ولم يشكر الله عزَّ وجلَّ الذي منحهُ الظفر وقواهُ على من حاربهُ. ثم قال للروم براي متشامخ ومعقول مترفع هل بقي منكم احد يبرز اليَّ حتى اقتلهُ ولما كرر هذا الكلام وهو ضاحك مستهزئ اشتدَّ واحدٌ من الروم فرماهُ بسهم فقتلهُ وكان ذلك عقوبة البغي والتعظُّم والتكبُّر والتهجُّم والتجبُّر اذ الحكمة تقول ان الرب يعاند المتعظمين[1]

١ فلذلك ينبغي للعاقل الرصين اذا ظفر بعدوهِ او غلب في احتجاجهِ واعتذارهِ وقهر خصمهُ وانتصر عليهِ في محاكمتهِ الا يزهو ويفتخر ويظن بنفسهِ ويعجب بشجاعتهِ وباسهِ كمتكل على قوتهِ او كواثق ببلاغة اقوالهِ واعجاز الفاظهِ وحجتهِ ويملكهُ التكبر ويستولي على ذهنهِ التعظم والتجبر لئلاَّ يوافيهُ عند ذلك الخذلان من الله وتخلي عنهُ سبحانهُ بل يليق بالمرء اللبيب العاقل ان ينسب جميع ذلك من ظفر في حرب او غلبة في حكم الى الله تعالى والى نصرتهِ سبحانهُ ونجدتهِ

ولما راى اليهود ان قد انهدم سور المدينة وثلموا اسوار القدس وملكوهُ ولم يبقَ شيءٌ يصدهم ورأوا انهم قد عجزوا عن محاربتهم دبروا على الروم تدبيرًا اهلكوا بهِ جماعة منهم وذلك انهُ كان بقرب القدس قصر عظيم مما بناهُ سليمان بن داود ثم زاد فيهِ ملوك البيت الثاني ورفعوا بنيانهُ وزادوا فيهِ جوسقًا رفيعًا عاليًا جدًّا من الخشب الجافي ووزروا ايضًا جميع حيطان القصر بالخشب فمضى اليهود الى هذا القصر فطلوا جميع ما فيهِ من الخشب بالنفط الكثير والكبريت والقار ثم اخفوا فيهِ رجلًا منهم وقالوا لهُ اذا حصل الروم فوق القصر اشعل انت فيهِ النار وكان للقصر باب مخفيّ غير الباب المعروف يخرج منهُ الى موضع اخر لا يفطن بهِ الاَّ من يعرفهُ ثم ان اليهود مضوا في الليل الى الروم الذين في القدس فقاتلوهم واجتمع عليهم من الروم جماعة كثيرة فقاتلهم اليهود ساعة ثم انهزموا قدامهم وطلعوا الى ذلك القصر فتبعهم الروم ودخلوا في اثرهم فلم يجدوا من اليهود احدًا لانهم كانوا قد خرجوا من الباب المخفى وحصل من الروم في القصر جماعة كثيرة وتفرقوا في القصر لينظروا ما فيهِ من الابنية ويتعجبوا من حسنهِ ثم صعدوا الى الطبقة الثالثة واشتغلوا بطلب اليهود وبنظر القصر فخرج ذلك اليهودي الذي اختفى في القصر فاشعل النار في مواضع

يعرفها فيهِ والروم في غفلة عن ذلك فاشتعلت النار في جوانب القصر وقويت فلما رأى الروم ذلك انحدروا ليهربوا فوجدوا اليهود قد وقفوا لهم على باب القصر بالسيوف ليمنعوا من يخرج منهم واحاطت النار بالروم فلم يكن لهم ملجأ ولا منجى ولا مهرب فهلكوا باجمعهم وذلك ان الخارج منهم كان يقتل بالسيف ومن يثبت في القصر صار حريقًا ومن رمى نفسهُ من القصر هلك لان القصر كان مشرفًا شاهقًا وبلغ الخبر الى تيطس فركب في عسكرهِ وجاء الى القصر فلم يقدروا على ان يطفئوا النار ولا امكنهم ان يستخلصوا احدًا من اصحابهم وكان في جملة من هلك جماعة كثيرة من وجوه الروم وكبرائهم فلما راى الروم ما فعلهُ اليهود باصحابهم خافوهم ولم يامنوا منهم ان يحتالوا بحيلة اخرى فخرج من كان منهم في القدس بجملتهم وفي المدينة ورجعوا الى معسكرهم واقاموا في خيمهم وسكنهم

ذكر دخول الروم الى قدس الاقداس ذي الجلال والوقار واحراقهم اياهُ بالنار

فلما كان بعد هذا امر تيطس اصحابهُ ومن قد ورد اليهِ من الجموع من سائر الامم ان يحيطوا بالمدينة ويحاصروها ويضيقوا على من بقي من اهلها فيكفوا امرهم من غير ان يتعرضوا لمحاربتهم ففعلوا كذلك فلما طال الحصار على اليهود مات اكثر من تبقى منهم

وخرج اكثر اصحاب الخوارج الى تيطس فقبلهم ثم دخل الروم الى المدينة والى بيت الله عزَّ وجلَّ فملكوهُ ولم يبقَ من يمانعهم عنهُ وامنوا جميع من يخافونهُ من اليهود وكان تيطس قد اوصى اصحابهُ وأكد عليهم ألاَّ يحرقوا القدس فقال لهُ روساء الروم انك اذا لم تحرقهُ لم نملك اليهود ولا نقهرهم لانهم لا يفترون ولا يكفون من القتال عليهِ ما دام باقيًا فاذا حرقتهُ ذهب عزهم ولم يبقَ لهم ما يقاتلون عنهُ فتنكسر قلوبهم ويذلون وتامن منهم فقال لهم تيطس قد علمت ذلك لكن على سائر الاحوال لا تحرقوهُ حتى امركم بحريقهِ وكانت الطريق الى القدس الاجلّ عليها باب عظيم مصفح بصفائح فضة وكان مغلقًا لان اليهود كانوا قد اغلقوهُ واوثقوهُ فجاء بعض الروم الى هذا الباب فاحرقوهُ لياخذوا الفضة التي عليهِ فلما احرقوا الباب وجدوا الى القدس الاجلّ السبيل فدخلوا اليهِ وتوسطوهُ ثم نصبوا اصنامهم فيهِ وقربوا ذبائحهم لتيطس سيدهم ورفعوا اصنامهم بمدحهِ والثناء عليهِ واقبلوا يفترون على البيت ويتكلمون بالعظائم فلما علم من بقي من اليهود ذلك لم يصبروا فخرج منهم قوم في الليل الى الروم الذين في القدس فقتلوهم فبلغ الخبر الى تيطس فجاء في عسكرهِ الى القدس فقتل اولئك وهرب من بقي منهم الى جبل صهيون فاقاموا فيهِ فلما كان من الغد اجتمع الروم

واحرقوا باب قدس الاقداس وكانت كلها مغشاة بصفائح الذهب فلما سقطت الابواب صرخوا صراخًا عظيمًا فعلم تيطس بذلك فجاء مسرعًا الى قدس الاقداس ليمنعهم من احراقهِ فلم يتم لهُ ذلك لان الناس كثروا واجتمع فيهِ خلق كثير من الروم وغيرهم من الامم التي كانت تعادي اليهود وتطلب التشفي منهم فغلبوا تيطس على رايهِ وهو يصرخ هاتفًا باعلى صوتهِ وهو يجتهد في منعهم وقيل انهُ قتل في ذلك اليوم جماعة من اصحابهِ وذلك انهم دخلوا الى القدس بعظم حنق وحدَّة شديدة وغيظ مفرط فخرج الامر عن يد تيطس ولم يقدر على منعهم ويقال انهُ صاح في ذلك اليوم الى ان بح حلقهُ وانقطع صوتهُ ولم يُسمَع كلامهُ ولما راى قدس الاقداس وشاهد حسنهُ وتفرس في عظم بهجتهِ ورائق جمالهِ وكثرة زينتهِ تحيَّر وتعجَّب وقال حقًّا حقيقيًا ان هذا البيت الجليل ينبغي ان يكون بيتًا لله الاله اله السماء والارض ومسكن جلالهِ ومحل نورهِ وانهُ ليحق على اليهود ان يحاربوا عنهُ ويستقتلوا عليهِ لقد اصابت الامم واحسنت في اعظامها لهذا البيت واجلالها لهُ وحملها لهُ الهدايا والاموال وانهُ لاعظم من هيكل رومية ومن جميع الهياكل التي شاهدناها وبلغنا خبرها والشاهد عليَّ هو الله اني لم اشأ احراقهُ ولكن القوم فعلوا ذلك بافراط شرهم وعظم الجاجهم . ثم اشتعلت

النار في القدس واحرقت وقويت على جميعهِ وكان من بقي من الكهنة لما علموا بدخول الروم الى قدس الاقداس ليحرقوهُ جاءوا مستقتلين فحاربوا الروم الى ان لم يبقَ لهم حيلة ولا قدرة على محاربتهم فلما غلبهم الامر وراوا ان البيت قد احترق قالوا بعد احتراق قدس الله ما لنا وللحياة واي عيش يطيب لنا بعدهُ فزجوا انفسهم في النار فاحترقوا باجمعهم وكان حريق القدس في اليوم العاشر من الشهر الخامس مثل اليوم الذي احرق فيهِ الكلدانيون البيت الاول . ولما علم اليهود الذين تبقوا في المدينة بان قدس الاقداس قد احترق مضوا الى جميع ما في المدينة من القصور الجليلة والمنازل الحسنة والابواب الملوكية فاحرقوا كل ذلك مع جميع ما كان فيها من الزخاير الكثيرة والعدد والاموال . ولما كان في غد هذا اليوم الذي احرق فيهِ القدس ظهر رجل في اليهود يدَّعي النبوة يقول ان هذا البيت يُبنَى كما كان من غير ان يمارس الادميون شيئًا من بنيانهِ لكن يُبنى بقدرة الله عزَّ وجلَّ فدوموا على ما انتم عليهِ من مقارعة الروم والامتناع من طاعتهم ولما سمع كلامهُ من بقي من اليهود اجتمعوا فقاتلوا الروم فظفر الروم بهم فقتلوهم باسرهم وقتلوا ايضًا جمعًا كبيرًا من اعوام اليهود ممن كانوا قبل ذلك قد رحموهم واحسنوا اليهم

ذكر اشياء جرت قبل خراب القدس دلّت على خرابهِ

كان قد ظهر على القدس قبل مجيء وسباسيانوس كوكب عظيم لهُ نور قوي شديد وكان القدس يضيء بذلك الكوكب كضوء النهار تقريبًا فاقام كذلك مدة سبعة ايام عيد الفصح ثم غاب ففرح بهِ اعوام الناس وجهلاؤهم واغتم العلماء واهل الفضل والمعرفة وكانوا قد احضروا الى القدس في ذلك العيد بقرة ليقربوا بها فلما طرحوها ليذبحوها ولدت خروفًا فاستشنعهُ الناس وانكروهُ ومن ذلك ان باب القدس الشرقي كان بابًا عظيمًا ثقيلًا ولم يكن يغلقهُ ويفتحهُ الَّا جماعة من الرجال فلما كان في تلك الايام كانوا يجدونهُ كل يوم مفتوحًا فكان الجهال يفرحون بذلك واهل العلم والمعرفة يغتمون لهُ وظهر بعد ذلك على بيت القدس في الهواء صورة وجه انسان شديد الحسن عظيم الجمال والبهاء ساطع النور والضياء وظهر في الجوّ ايضًا في تلك الايام صور ركبان من نار على خيل من نار يطيرون في الهواء قريبًا من الارض وكان ذلك يرى على اورشليم وعلى جميع ارض اليهود وبعد ذلك سمعت الكهنة في القدس ليلة عيد العنصرة حس جماعةٍ كثيرة يذهبون ويجيئون ويمشون ويذهبون في الهيكل من غير ان يروا

شخص احد بل كانوا يسمعون حسهم فقط ثم كانوا يسمعون صوتًا
عظيمًا يقول امضِ بنا حتى نرحل من هذا البيت وقبل خراب
القدس باربع سنين ظهر في المدينة انسان من بعض العامة كان
يمشي بين الناس كالمجنون ويصيح باعلى صوتهِ قائلاً صوت من
المشرق صوت من المغرب صوت من اربع جهات العالم صوت
على اورشليم صوت على الهيكل صوت على الحصن صوت على
العروس صوت على جميع الناس الذين باورشليم وكان الناس
يمقتونهُ وينتهرونهُ ويستثقلونهُ ويتصورونهُ بصورة متوسوس ولم يكن
هو يفتر من هذا فلم يزل على ذلك حتى احاط الروم بالمدينة.فلما
كان في بعض الايام والحرب على المدينة ابتدأ ان يتكلم بما كان
يتكلم بهِ على عادتهِ فرُمي بحجر على هامتهِ فمات ووُجِد حجر قديم في
ذلك الزمان مكتوب عليهِ اذا كمل بنيان القدس وصار مربعًا
عند ذلك يخرب فلما كان بعد ذلك هدم تيطس البنيان الذي
كان الى جانب القدس المسمى بالعبرانية انطونيا فانهُ تم سور
القدس بهدمهِ وذلك ان اليهود بنوهُ بنيانًا جيدًا واضافوهُ الى
جملة القدس فصار مربعًا وكانوا قد نسوا ذلك المكتوب الذي
وجدوهُ على الحجر فلما راوا القدس قد تربع ذكروا ذلك ووجدوا
ايضًا في جانب حيط قدس الاقداس حجرًا مكتوبًا عليهِ اذا صار

الهيكل مربعًا يملك حينئذٍ على اسرائيل ملك ويستولي على سائر الارض فقال بعض الناس هو ملك اسرائيل وقالت الحكماء والكهنة بل هو ملك الروم

ذكر قتل يوحانان وشمعون الخارجيين .

ثم ان شمعون ويوحانان راسلا تيطس يطلبان منهُ الامان فارسل تيطس يقول لهما قد طلبت هذا منكما واجتهدت فيهِ لرحمتي الناس الذين كانوا يتضورون من الجوع فلم تجيبا الى الصلح ولا رحمتما قومكما ولا رقت جوارحكما لمساكين شعبكما لكنكما لججتما في الشر حتى اخربتما المدينة والقدس الجليل واهلكتما الامة وليس لكما الآن فائدة في الحيوة ولاعذر لي في ابقائكما . ثم ان تيطس اغلظ لهما في القول ثم قال ان من يطلب الامان ينبغي ان يلقي عنهُ سلاحهُ ونستاسرهُ فان كنتما صادقين فالقيا سلاحكما واستاسرا واحضرا لديَّ في شكل المساكين المساقين الى السبي فارسلا اليهِ اننا كنا قد حلفنا قديمًا اننا لاندعن للروم ولاندخل في طاعتك والذي نريد الآن منك هو ان تطلق لنا الخروج حتى نمضي من هذه البلاد وندخل في البرية فقال لهما تيطس قد حصلتما في يدنا وتحت سلطاننا وانتما تظنان اننا لم نملككما الى هذه الغاية ولذلك تتكلمان بهذا الكلام فبالحق انكما لشقيًّا الحظ وسبب ذلك كان

سوء رايكما ومع ذلك فقد كنتما حلفتما انكما تبذلان مهجكما وتستقتلان على بيت الهكما فابقيا اذًا على عهدكما ولاتحنثا في يمينكما ولا تكذبا في قسمكما ولاتطلبا الحيوة بعد خرابهِ فاقام يوحانان وشمعون مكانهما وكانا في جبل صهيون ولم يخرجا الى تيطس وخرج رجل اسمهُ زارخ ومعهُ بنو الملك واهلهُ وجماعة من جملة اليهود وكبراء المدينة فقبلهم تيطس واحسن اليهم فلما علم يوحانان وشمعون بذلك سارا الى منازل هولاء المذكورين فاحرقاها بالنار لئلّا ياخذ الروم ما فيها . ثم ان يوحانان وشمعون انحدرا ليلاً من جبل صهيون الى القدس ومعهما قوم من اصحابهما فقتلوا قائدين للروم كان تيطس وكلهما بحفظ القدس فغضب تيطس من ذلك وامر بقتل من بقي في المدينة من اليهود كان قد ابقاهم فقتل خلق لايحصي عددهم الّا الله سبحانهُ فلما راى من كان مع شمعون من اهل ادوم ان الروم قد قتلوا من قد كانوا استبقوهُ من اليهود ارسلوا الى تيطس يطلبون منهُ الامان فلما علم شمعون بذلك قتل رؤساءهم وكبراءهم ولما هرب الباقون الى تيطس امنهم واحسن اليهم ومنع من قتل اليهود ثم هرب يوحانان وشمعون من الجبل الى موضع استترا فيهِ فلما علم من كان مقيماً معهما انهما قد هربا خرجوا باجمعهم الى تيطس فامنهم واحسن اليهم فاستولى حينئذٍ تيطس على جميع المدينة

فملكها وهدم سور صهيون ثم ان يوحانان طال عليهِ الاستتار واشتد بهِ الجوع والعطش فخرج من الموضع الذي كان فيهِ مستترًا وقد لبس لباس الملك وزيَّهُ وسار الى عسكر الروم فوقف عند قوم منهم فلما راوهُ هابوهُ واتقوهُ فلم يقدموا عليهِ فقال لهم اذهبوا بي الى عريفكم لاخاطبهُ فجاء اليهِ عريف القوم فقال لهُ من انت فقال انا يوحانان واريد ان تمضي بي الى سيدك فمضى بهِ العريف الى تيطس فلما رآهُ تيطس اغلظ لهُ في القول وشتمهُ وامر بان يقيد ويشهر في العسكر. وخرج هوشع الكاهن الى تيطس ومعهُ منارتان ومائدتان من ذهب وآلات كثيرة للقدس جميعها ذهب خالص فسلمها الى تيطس وقبض تيطس على فنحاس صاحب الخزائن وطالبهُ بما تحت يدهِ من الاموال فسلم اليهِ خزائن كثيرة مملوة من آلات ذهب وفضة وجواهر وثياب مرتفعة من ملابس الكهنة واطياب كثيرة. ثم رحل تيطس عن اورشليم متوجهًا الى رومية ومعهُ الغنايم والاموال التي اخذ من بلاد اليهود والسبي الذي سباهُ منهم سوى الذين امنهم

ذكر عدة ما احصي من الموتى الذين ماتوا من اليهود في مدة الحصار وعدد من قتل منهم وسبي

ذكر مناحيم الموكل باحد ابواب المدينة انهُ كان احصى من

اخرج ميتًا من الباب الذي كان موكلًا بهِ فكان عددهم مئة الف وخمسة وعشرين الفًا وثمان مئة وذكر روساء اليهود الذين استأمنوا الروم انهم احصوا الموتى الذين اخرجوا من جميع الابواب ليدفنوا في مدة الحصار والحروب التي كانت في المدينة فكان مبلغ عددهم ست مئة الف هولاء غير من طُرح في الآبار وسوى خلق كثير ماتوا في الشوارع والازقة والمنازل ولم يكن لهم من يدفنهم وغير من طرح الى خارج الحصن ممن مات وقتل وغير ممن قتل في القدس ولم يُدفَن واما الذي عرف من احصاء من قتلهُ الروم في الحرب وغيرهِ ومن قتلهُ الخوارج في مدة تغلبهم على المدينة فكان الف الف ومئة انسان وكان جملة من حصل في السبي مع تيطس غير من امنهُ تسعة وتسعين الف انسان اما اصحاب الخوارج فان اكثرهم هلكوا في الحرب التي كانت بينهم وبين الروم ومن بقي منهم اسرهُ تيطس فلما رحل تيطس عن اورشليم اخذهم معهُ في جملة السبي الذي سبي من اليهود فكان في كل منزلة ينزل بها يلقي منهم للسباع التي معهُ الى ان اهلك جميعهم ولم يبقَ منهم ولا واحد

ذكر العازر بن حناني الخارجي وما كان من امرهِ

قد كنا ذكرنا فيما سلف من كتابنا هذا ان العازر بن حناني

الخارجي لما راى ما فعلهُ شمعون الخارجي من قتل امثاي الكاهن
واولادهِ القتل الجاير وقتلهِ ايضاً غير هولاء من اهل الخير والسلامة
عَلِم ان عاقبة ذلك تأول الى خراب القدس وتنتهي الى ابادة
الامة فانتزح عن المدينة الجليلة فاقام في بعض المواضع الى ان
رحل تيطس وعسكرهُ من اورشليم فلما بعدوا عنها ظهر العازر
ومضى حينئذٍ الى قريةٍ تسمى ماصيو فعمر سورها وشيد حصنها
واوثقها واقام بها وسمع بهِ جماعة من القوم المتفرقين الذين تبقوا
من العبرانيين فاجتمعوا اليهِ واقاموا معهُ فاتصل خبرهم بتيطس
وهو وقتئذٍ بانطاكية فخشي ان يقوى امرهم ويطول باعهم فوجّه من
قوادهِ قائداً اليهم يسمى سلوانس فجاء القائد الى حصن ماصيو في
عسكرٍ كبير ونزل عليهِ وحاصرهُ الى ان فتح الموضع فخرج اليهِ العازر
وحاربهُ وحارب اصحابهُ ومنعهُ ومنع اصحابهُ من الدخول الى ماصيو
وادركهم الليل ولم تدخل الروم الى الحصن . فلما كان في تلك
الليلة جمع العازر اليهود الذين معهُ في الحصن وقد كان القوم
حائرين لايدرون ماذا يصنعون وارادوا ان يطلبوا من الروم
الامان ويخرجوا اليهم ويقبلوا امرهم . ثم افتكروا ان كان الروم
يجيبون الى ذلك ويوفوا بِهِ ويأمنوهم على الحقيقة بعد فتحهم القرية
وقد حصلت بايديهم ملكاً ام لا فلما ضاقت بهم الفسحة ولم يعلموا

على ماذا يعولون وقف العازر في وسطهم وخاطبهم قائلاً اسمعوا مني يا ذرية ابرهيم وانصتوا الى ما اقولهُ يا بني الانبياء انكم طالما قهرتم الامم وغلبتم الممالك وظفرتم بالاعداء وكانت لكم الآثار الجميلة في الحروب اما الآن فقد انعكست الاحوال وذهب ما كان لنا من النجاح والاقبال فغلبتنا اعداؤنا واستولت علينا الغرباء من جنسنا وذلك بخذلان الله لنا وسخطهِ علينا لما عصيناهُ واغضبناهُ وتركنا شريعتهُ وخالفنا طاعتهُ ولم نتمسك برايهِ وبشريعتهِ واعلموا ايها الاخوة ان لكل امر مدة اليها ينتهي وهكذا تكون اوقات المكافحة واحيان الحروب وممارس ذلك تارةً غالب وتارةً مغلوب وعلى ذلك جرى امر الدنيا وليس في الهزيمة عار ولا عيب على المنهزمين ولا فخر في الظفر للغالبين لان الاحوال تنتقل وتتغير فكم منهزم مقهور قد رجع مؤيدًا منصورًا وليس العار والعيب الاَّ في الجبن والفشل وضعف القلب وقلة الصبر عند النوائب والقلق ومفاجاة المصائب وسرعة الخضوع عند النكبة والاستسلام عند المحنة واما الشجاع فهو الذي يصبر على المكروه واذا حصل في الضر لا يغلبهُ الجزع على رايهِ وعقلهِ وقد علمتم اننا قد اجتهدنا في محاربة اعدائنا ومقاومتهم الى ان غلبنا الامر ولم يبقَ لنا حيلة والآن فقد فتحوا حصننا هذا وملكوا بلدنا وقد ايسنا من ان نغلبهم وانقطع

رجاؤنا من الظفر بهم وان ندفعهم عن انفسنا وانتم الآن بين امرين اما ان ترغبوا في الحيوة وتكرهوا الموت وتسلموا انفسكم الى اعدائكم وتحصلوا اسرى تحت ايديهم وتحت حكمهم وتفارقوا ما انتم عليهِ من العزة وترضوا بالذل والهوان وتُنسَبوا بعد الشجاعة والباس الى الضعف والوهن والعجز واما ان تزهدوا في البقاء وتتشجعوا على الموت فتكونوا بذلك قد اكملتم الشجاعة وعزة النفس وقوة القلب والانفة مما يشين وتخلصوا من اذلال الاعداء وتسلطهم عليكم وتحكمهم فيكم واعلموا ان الموت في العز خير من الحيوة في الذل ومن امات نفسهُ كريمًا فقد احياها ومن رغب لنفسهِ في الحيوة مع الذل والهوان فقد اماتها واهلكها فلا ترغبوا اذًا في البقاء بعد زوال اقبالكم وفقد سعادتكم ولا تشفقوا على ذهاب اجسادكم من الموت ولا ترثوا لاولادكم من شرب كاس المنون على الحالة الجميلة فان الموت على الوجه المحمود يُعَدّ حيوة كما ان الحيوة على صفة مذمومة تدعى موتًا وقد علمتم ان اب الآباء ابرهيم لما اخذ ابنهُ الوحيد ليقدمهُ لله عزَّ وجلَّ لم يحصل في وهمهِ انهُ يميتهُ بل اعتقد انهُ يحييهِ اذ اقام طاعة الله ولذلك سارع ولم يتوقف والملك البار يوشيا لما رأى ما عليهِ اهل زمانهِ من كثرة الخطايا وارتكاب المعاصي كره البقاء معهم واختار مفارقتهم ولذلك

زهد في الحيوة الدنيا ورغب في النور الاعظم فبذل نفسهُ الى الموت ولم يجزع من القتل وتعرض لمحاربة فرعون حتى قُتِل واستحق بذلك ان يسمى شجاعًا جبارًا لانهُ قدم على الموت بغير فزع ولم يمنعهُ من ذلك محبة الدنيا والرغبة في الحيوة وليس على الاخيار نقص ولا عيب اذا قتلهم الاشرار والعصاة لان يوشيا الملك كان خيرًا صالحًا وقتلهُ فرعون وكان خاطيًا عاصيًا وذلك ان الدنيا هي نصيب فرعون وامثالهِ من العصاة ولا حظٌّ لهم بعدها في نعيم الاخرة ونصيب يوشيا ومن ضاهاهُ وشاكلهُ من القوم الصالحين فهو ما بعد الدنيا من النور الاعظم حيث السعادة الكلية والبقاء الدائم وقد علمنا ان الاخيار لا ياخذون اجرهم في هذه الدنيا لان الدنيا هي دار عمل واما الآخرة فهي دار جزاء والدنيا هي دار تعب ونصب بغير راحة والآخرة هي دار راحة بغير تعب ونياح خلوًا من كل عنى ونصب وكل خير ينالهُ الانسان من الدنيا فهو ممزوج بكثرة احزان مشوب بما يكدرهُ من نوائب الزمان منغص بما يفاجئهُ من طوارق الحدثان واما ما تصير اليهِ من الآخرة الابرار والقوم الاخيار لا سيما النجباء السعداء المقارعين القبائل الغرباء المحاربين الاعداء فهو هني شهي لا كدور تمازجهُ ولا تنغيص يدانيهِ ويقاربهُ فيجب على من عرف نقص الدنيا وفضل الآخرة ان يؤثر

الافضل على الاخس ويجيز الجازي على الانقص ويشتاق الراهن الداهر على الحاضر الداثر ويرغب فيما يبقى ويزهد فيما يفنى ويسارع الى حيث السعادة الدائمة ولا يسر بطول العمر في الدنيا وليس لهُ في ذلك حظ لان المرء كلما طال عمرهُ في الدنيا كثرت همومهُ وتزايدت احزانهُ وغمومهُ وطال شقاؤهُ واتصل تعبهُ وعناؤهُ واذا قصر عمرهُ خلص من الهموم وتعجل الى الراحة وحصل لهُ السرور العظيم في دار الفرح ومثوى النعيم وقد علمتم يا اخوة ان هابيل لم يطل عمرهُ في الدنيا لان قايين اخاهُ قتلهُ فما ضرَّهُ قصر العمر شيئًا لانهُ صار على ثواب الآخرة واستراح من شقاء الدنيا واما قايين اخوهُ فقد عاش بعدهُ طويلاً الَّا انهُ لم ينتفع بطول عمرهِ لانهُ كان تائهًا فزعانًا مرتعشًا مشردًا مشتتًا طول ايام حياتهِ ثم مات بعد ذلك فصار الى عقاب الآخرة وكذلك نحن لا ننتفع بالحيوة اذا عشنا عيشًا مستميلاً ولا يضر بنا الموت اذا كنا نتخلص في العاجل مما نكرههُ ونصير الى ما نرجو من ثواب الآخرة ونعيمها وقد علمنا ان النفوس مأسورة في هذا الجسد باللحم والعروق والعظام فهذه الاشياء للنفوس كالقيود والاغلال وانما ربطت النفس بالجسد لتدبرهُ وتصلح احوالهُ وتسوس امورهُ ما دامت ساكنةً فيهِ والجسد لا يعلم ما هي النفس ولا ينظرها ولا يدري متى

حصلت فيهِ ولامتى تفارقهُ لانها مستترة فيهِ وهي كالغريبة فيهِ وهو
بعيد عن شبهها لان النفس شريفة رفيعة المحل والجسد ترابي ارضي
لا يفيد شيئًا خلوًا من النفس والنفس دائمة في الجسد فهي كالاسيرة
في السجن وليس تأمن الوقوع في الزلل والسقوط في الخطاء
والهبوط في المعاصي لان الجسد يحركها الى كل ذلك ويزين لها ما قبح
من الافعال ويحسن امامها ذميم الافعال فان اطاعتهُ فيما يدعوها
اليهِ كان ذلك سبب موتها وهلاكها في دار الآخرة. وان عصتهُ
وخالفتهُ نجت من الخطايا والمآثم وصارت بعد الموت الى الحيوة
والنعيم الدائم ولذلك قد تفرح النفس الصالحة بخروجها من الجسد
كما يفرح الاسير اذا خلص من الاسر والمحبوس اذا أُطلق من
الحبس والعبد اذا اعتق من العبودية المرة والمملكة الغاصبة
المستمرة وذلك ان النفس في مدة ارتباطها بالجسد بمنزلة العبد
المملوك بيد الملك الجائر وهي تشبه عبدًا لملك عظيم امرهُ الملك
ان يخدم آخر غريبًا الى مدة معلومة فمضى العبد وخدم ذلك
الرجل كما امرهُ الملك فلما كملت المدة رجع الى مولاهُ وهو مسرور
الى موضعهِ ومستقرهِ الجليل عند الملك فرحًا بخلاصهِ من خدمة
الغريب الجائر لانهُ علم انهُ لم يبقَ لهُ عليهِ سلطان بعد مفارقتهِ اياهُ
ورجوعهِ الى الملك سيدهِ وكذلك انفسنا اسيرة لعبودية هذه

الاجساد وخدمة ما تدعو اليهِ الشهوات في مدة العمر فاذا فارقت
الاجساد بالموت عادت للنور الذي هو مستقرُّها ومحلها ودار
امنها وسعادتها ولذلك حكماءُ الهند لا يندبون موتاهم ولا ينوحون
على من فقد منهم وينكرون البكاء وينهون عنهُ لمعرفتهم ان النفس
استراحت بموت الجسد لانها صارت من العبودية الى العتق
والحرية ومن التعب والنصب الى النعيم والراحة وانتقلت من
العالم الادنى الى العالم الاشرف والاعلى فاذا كان هولاء الامم
الذين لا يعرفون الله عزَّ وجلَّ حق المعرفة لا يكرهون الموت لما
طمعت انفسهم ان يصيروا بعدهُ الى ما هو اخير وافضل من
الدنيا فنحن اولى بذلك منهم اذ كنا مؤمنين بالله سبحانهُ وتعالى
وتيقنَّا فضل الآخرة على الدنيا ولا نشك فيما عند الله سبحانهُ من
خير الجزاء وجزيل الثواب لمن اطاعهُ واتَّقاهُ فان كنتم ترغبون
في حيوة الدنيا وتوثرون ان تستأمنوا للروم في هذا الوقت وتقبلون
حكمهم على انفسكم فقد كان الاولى بكم ان تفعلوا ذلك عندما
اشار بهِ عليكم اغريباس الملك بألَّا تعصوا الروم واعلمكم بانكم
لا تقوون عليهم ولا انتم ممن يستطيع مقاومتهم فما قبلتم منهُ بل
اظهرتم الخلاف عليهم وقتلتم اصحابهم وجلبتم على انفسكم بذلك
البلاء العظيم ثم ابيتم ان تستامنوا الى تيطس لما دعاكم الى طاعتهِ

وبذل لكم الامان وضمن لكم الاحسان ووعدكم بالجميل ولو اطعتموهُ لم يكن عليكم بذلك نقص ولا عيب لانهُ ملكٌ كبير وابن ملكٍ الاَّ انكم لم ترغبوا ذلك بل امتنعتم من طاعتهِ وابيتم الاذعان لهُ حتى اخرب البلاد واحرق القدس الجليل واهلك الامة وكيف ترضون الآن ان تطيعوا غيرهُ وتذلُّوا لهُ وتنزلوا على حكمهِ وايَّة فائدة لكم في البقاء بعد ذهاب عزكم وهلاك جموعكم وخراب ارضكم وانما تبقى منكم عدد قليل منفردين كالمطر على راس الجبل العالي الذي تضربهُ الرياح من كل جانبٍ ومع ذلك لا تعلمون هل يامنكم هذا القائد ام لا ولستم على ثقةٍ ان هو امنكم ان يغدر بكم فترون بانفسكم ما تكرهون وتنظرون اولادكم يتعذبون وهم يصرخون اليكم ويستغيثون بكم فلا تستطيعون ان تجيبوهم ولا يمكنكم ان تخلصوهم وتشاهدون نساءكم وبناتكم مع الغلف الانجاس والكفرة الارجاس يفسقون بهنَّ ولا تقدرون على اعانتهنَّ وتكونون انتم بالاغلال والقيود وليس لكم في انفسكم حيلة واية حيوة تطيب مع هذا البلاء العظيم وكيف يرغب في البقاء ويؤثر الحيوة من هو متوقع الحصول في هذه المكاره القادحة وقد ايقن في وقوعهِ تحت هذه النوائب المبرّحة وكيف لنا اننا كنا متنا ولم نشاهد ما شاهدناهُ والان فاذ قد بلغنا الى هذا المبلغ فالموت اخير لنا من ان نسلم انفسنا للروم

اعدائنا حتى لا نراهم يقتسموننا ويتوزعون اولادنا كالغنم ويستخدموننا كالعبيد والخدم بل الاولى بنا ان نمنعهم من هذه الغنيمة ونصدهم عن هذه الشماتة الذميمة العظيمة وذلك بان نجتمع ونتشجع على قتل اولادنا ونسائنا وانفسنا ولا نكره الموت ولا ننفر منهُ فاننا ورثناهُ بسبب معصيتنا في ابتداء خلقتنا واليهِ مصيرنا ومآلنا فاذا كان لا بد منهُ فموتنا في العز والكرامة افضل لنا من ان نرى في انفسنا واحبائنا ما نكرههُ ثم نموت بعد ذلك فلنعمل على ان نسخو بانفسنا في هذه الحيوة الفانية ونطرحها ولا نضن بها ولا نشح عليها كشيءٍ كريم بل سبيلنا ان نستسهل الموت ونسارع اليهِ ولا نكرههُ لنصون شيوخنا عن الاسر واولادنا عن السبي المرّ ولا نبذل اولاد مدينة قدس الله وفروع جيلهِ الطاهر والمتربين في شريعتهِ للاعداء بل نقتلهم نحن قبل ان يظفروا بهم فان ذلك يكون لنا بمنزلة القربان المرضي المقبول عند الله عزَّ وجلَّ فاذا قتلناهم وامنا منهم خرجنا بعد ذلك وقاتلنا اعداءنا الى ان نقتل كلنا فنهلك في عزنا ونذهب في كرامتنا ويكون الذكر الجميل على طول الزمان باقيًا لنا ولا نقايض ذلك بضدهِ فلما سمع القوم كلام العازر قبلوهُ وركنوا اليهِ وعولوا جميعهم على العمل بهِ ثم جمعوا نساءهم واولادهم فعانقوهم وقبلوهم وقالوا لهم اي شيءٍ احب اليكم ان تموتوا في ارض مرباكم ومولدكم

وبلد آبائكم وموعد اجدادكم وفي عزكم وعلى دينكم او تموتوا مع احب
الناس اليكم في السبي بيد الاعداء فتهلكوا في غير بلادكم ومع غير
اهل دينكم بعد ان تروا في انفسكم ما تكرهون فاختاروا باجمعهم
الموت في مواطنهم وارض بلادهم واقبلوا طول ليلتهم ينوحون
ويبكون ويودع بعضهم بعضاً بانتحاب وعويل شديد وزفرات حارة
فلما كان اخر الليل اخذ جميعهم نساءهم واولادهم وكلاًّ منهم صغيرًا
او كبيرًا فقتلوهم عن آخرهم وطرحوهم في الآبار وردموا عليهم
التراب ثم خرجوا بعد ذلك الى عسكر الروم وهم مستقتلون فلم
يزالوا يحاربوهم الى ان قتلوا جميعًا بعدما افنوا من الروم عدة وافرة
وانصرف هولاء القوم من الدنيا وهم يعتقدون انهم قد اصابوا فيما
فعلوا ويرون انهم قد بذلوا انفسهم في طاعة ربهم والحماية لدينهم فلم
تظفر الاعداء بهم ولا اسروا واحدًا منهم وهكذا كان جهادهم وكفاحهم
وعلى هذا الوجه كان تصرفهم ومتصرفهم والله العالم وحده والخبير
بمفردهِ الجائل على انفراد قلوبهم بمكافاتهم في نقلبهم ومجازاتهم في
منقلبهم ودار مسرتهم ونسالهُ تعالى حسن الكفاية وحميد العاقبة
والستر الجميل والمسامحة والعفو والغفران والتجاوز عما
سلف والسلامة عما يستانف بجودهِ ولطفهِ
واحسانهِ

اصلاح خطا

ان كلمة نيكانور في الفصل الثاني صوابها نيكاتور وكلمة الفيموس صوابها القيموس وحيث توجد كلمة انتيفونوس صوابها انتيغونوس وان وجد في الكتاب خطأ فهو طفيف لايخفى على الفطن وكلمة يوسف في الفصل السادس صوابها يوسيفوس

فهرس ما تضمنه هذا الكتاب

الفصل الاول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

فهرس

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

وكان الفراغ من طبعهِ في ١١ ايار سنة ١٨٧٢